التاريخ والمؤرخون في مصر

في القرن التاسع عشر

الدكتور
جمال الدين الشيال
أستاذ التاريخ الإسلامي

مكتبة الثقافة الدينية

اهداءات ٢٠٠٠

أسرة د/ جمال الدين الشيال

الإسكندرية

التاريخ والمؤرخون في مصر

في القرن التاسع عشر

التاريخ والمؤرخون في مصر

في القرن التاسع عشر

الدكتور
جمال الدين الشيال
أستاذ التاريخ الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر
ت : ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧

مكتبة الثقافة الدينية

رقم الإيداع	٢٢٤٨/٢٠٠٠
الترقيم الدولي	977-5250-72-2

محتويات العدد

صفحة

القسم الثانى : دراسة مقارنة

صفحة

صفحة

فهرس الصور

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم الدكتور أحمد عزت عبد الكريم

مضى زمن كان الناس فيه يتناقشون : هل التاريخ علم أو ليس بعلم ؟ هل يستطيع التاريخ أن يقوم بنفسه ويستقل عن علوم أخرى ظل مدة طويلة ملتصقا بها حتى يكاد أن يكون جزءاً منها كاللاهوت (فى الغرب النصرانى) أو الحديث (فى الشرق الإسلامى) أو الأدب أو الفلسفة ؟ مضى هذا الزمن واستقل التاريخ عن تلك العلوم واستقر علما قائما بذاته له أصوله وطرائقه ومدارسه .

وقد أسهم العرب بنصيب كبير فى حركة (بناء) التاريخ . وقد سار تطور التاريخ عند العرب مسيره عند الغرب . نما معرفة ساذجة من معارف العرب قبل الإسلام ، ثم تكمل شيئاً فشيئاً حتى أصبح علما من أجل علومهم وأعظم شأناً [1] . والحق أن نمو

(١) انظر الفصل الذى كتبه الأستاذ عبد الحميد العبادى عن التاريخ عند العرب فى ترجمته العربية لكتاب هرنشو : علم التاريخ . القاهرة ١٩٣٧ م

التاريخ — كعلم — سار متسقاً مع تكوين الدولة العربية ونموها . ارتبط أولا بالحاجة إلى جمع مادة « السيرة » وكتابتها ، ومن هنا جاءت صلة التاريخ بالحديث ، وحرى تحقيق المادة التاريخية على النحو الذى تحرى به تحقيق مادة الحديث . ثم مضى العرب فى اتساع دولتهم ونمو حضارتهم يوسعون أفق التاريخ ، حين أخذوا يعنون بجمع الأخبار ، أخبار الفتوحات وأخبار الشعوب التى اتصلوا بها ، مما حفز خيال المؤرخين وأدى إلى توسيع نطاق التأليف التاريخى . . . إلى أن استقام التاريخ فى يد ابن خلدون علما ثابت الدعائم وطيد الأركان ، ومن بعده مضى تلاميذه فى مصر يؤسسون فى كتابة التاريخ فى القرن التاسع (الخامس عشر الميلادى)[1] مدرسة كانت أقوى ما عرف العرب فى تاريخهم .

ثم جاءت فى تاريخ الثقافة العربية فترة انقطاع ، نتيجة لغلبة الترك وتعطل الموارد وانقطاع الاتصال بالعالم الخارجى إلا فى أضيق الحدود . حتى كان القرن الثامن عشر فبدأت تلوح فى أفق مختلفة من العالم الإسلامى : فى الجزيرة العربية وفى الهند وفى مصر بعض ظواهر من اليقظة الفكرية ، ومنها — وخاصة فى مصر — معاودة التأليف التاريخى على أسلوب حاول أصحابه — وعلى رأسهم

---

(١) انظر : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر للدكتور محمد مصطفى زيادة .

عبد الرحمن الجبرتى — أن يحاكوا به أسلوب مدرسة القرن الخامس عشر.

ومن هنا جاء خطر الجبرتى فى كتابة التاريخ المصرى بعد طول انقطاع. والجبرتى يقف فى العصر الذى عاش فيه (أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر) على مفرق الطرق : فهو — من جهة — متأثر كل التأثر بالتأليف التاريخى والإسلامى وخاصة مدرسة القرن الخامس عشر، متأثر بمقوماتها وعقليتها الدينية والفكرية ووسطها الاجتماعى، متأثر بأسلوبها ومنهجها فى كيفية جمع مادة التاريخ والتأليف منها، هو متأثر بهذه المدرسة وإن لم يستطع أن يرتفع إلى مستواهم. وهو — من جهة أخرى — قد بدأ ينفعل بالأحداث الخطيرة التى كانت تجرى من حوله والتيارات الجديدة التى أخذت تناوش تفكيره، فهو يرى النظم والأوضاع التى عاش فى ظلها تتهاوى من حوله، لتخلى طريقها لنظم وأوضاع جديدة لم يعش حتى يشهد اكتمال بنائها. ولكن الجبرتى — فى رأينا — وإن أثرت فيه هذه الاتجاهات والتيارات الجديدة إلى حد أحدثت عنده تلك (الاهتزازات) التى يلحظها قارئ المجلدين الأخيرين من تاريخ الجبرتى، إلا أنها عجزت عن تطوير تفكيره وأسلوبه، فظل منتمياً للمدرسة التى نشأ فيها، لم ير الجبرتى فى تلك الأحداث إلا « بداية الملاحم العظيمة والحوادث الجسيمة، والوقائع النازلة والنوازل الهائلة . . . وتوالى

المحن واحتلال الزمن ، وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع ، وتتابع الأهوال واختلاف الأحوال ، وفساد التدبير وحصول التدمير وعموم الخراب وتواتر الأسباب ، وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون »[1] .

ومن هنا يحق لنا أن نعد الجبرتى آخر تلاميذ مدرسة المؤرخين الإسلاميين فى العصور الوسطى ، ولا نعده أول تلاميذ مدرسة القرن التاسع عشر . فمصر القرن التاسع عشر شىء آخر لم يعرفه الجبرتى ، وإن عرفه لم يفهمه . وكان حتما أن تتطور الثقافة فى مصر على أيدى رواد جدد يعملون على المواءمة مع الحياة المصرية الجديدة . ومن هذا التطور الثقافى العام استمد التأليف التاريخى فى القرن التاسع عشر عناصر تكوينه .

وهذا هو ما وقف عليه صديقنا الدكتور جمال الدين الشيال جهده لبحثه . وللدكتور الشيال من دراساته فى التاريخ الإسلامى ما يمكنه من تعقب هذا التطور ووصفه على أدق نحو . فهو قد عاش مع المؤرخين الإسلاميين ووقف على مؤلفاتهم ومناهجهم ونشر الجمهرة منهم ، وهو قد اطلع على تاريخ حركة الترجمة فى مصر فى القرن التاسع عشر وكتب فيها . فكتابه

---

(١) هذا أول ما كتبه الجبرتى فى وصف حوادث سنة ١٢١٣ هـ (سنة نزول حملة بونابرت) فى أول المجلد الثالث من كتابه (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) .

الذى يسرنى أن أقدم له اليوم (التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر) ثمرة لدراساته المستفيضة وصحبته الطويلة للمؤرخين الإسلاميين فى العصور الوسطى والرواد الأول للحركة الثقافية فى مصر الحديثة .

وقد عنى الدكتور جمال الشيال بتعقب المؤرخين الذين عاشوا فى مصر فى ذلك العصر ، فترجم لهم ووصف آثارهم ، ثم أعقب ذلك ببحث مقارن لمختلف الاتجاهات فى التأليف التاريخى ومناهجه والعوامل المؤثرة فيه . فجاء كتابه — فى الواقع — سجلا حافلا للنهضة الثقافية فى مصر فى القرن التاسع عشر . فنحن نهنئه بهذا الجهد العلمى الكبير الذى تعتز « المكتبة التاريخية » بنشره فى مستهل إنتاجها . وعلى الله قصد السبيل .

٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ — أحمد عزت عبد الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

عشت فى مصر القرن التاسع عشر زمنا ما فى فجر شبابى، عندما كنت أعد بحثى للماجستير عن « تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر » ، فتعرفت على منعرجات هذا الموضوع وكشفت الغطاء عن كثير من خفاياه ، وفهمت قدراً من بواعث النهضة المصرية فى هذه الحقبة من الزمن ، وأحببت الكثيرين من رجالات الفكر وقادة مصر الذين أسهموا فى حركة التقدم بوطنهم فى القرن التاسع عشر.

ولهذا رحبت بالدعوة حين وجهت إلى من مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن للاشتراك فى مؤتمر يعقد بها فى صيف ١٩٥٨ لبحث موضوع « حركة التأليف التاريخى فى الشرقين الأدنى والأوسط »[١] ، فقد أقترح على أن أكتب ورقة

---

(١) عقد هذا المؤتمر فى مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن =

(School of Oriental and African Studi.s. University of London)

وسمي المؤتمر باسم

"Conference on Historical Writing on the Near and Middle East."

وعقد فى المدة من ٣ يونيو إلى ٩ يوليه سنة ١٩٥٨

لهذا المؤتمر موضوعها « حركة التأليف التاريخى فى مصر فى القرن التاسع عشر » .

وكان نظام المؤتمر يقتضى أن تكتب الأبحاث وترسل إلى المدرسة حيث تقرأ فى حلقات البحث فى الفصل الدراسى الثانى وتناقش ، ثم يعقد المؤتمر فى الصيف ويحضره أعضاؤه فيقرأ كل منهم بحثه ويشترك الأعضاء فى مناقشته .

وقد اشترك فى المؤتمر تسعة وأربعون عضواً كلهم من أساتذة التاريخ الإسلامى فى جامعات العالم ومن المشتغلين بالاستشراق أو بالأبحاث التاريخية المتصلة بالشرقين الأدنى والأوسط ، أذكر من بينهم : الأستاذ جب من جامعة هارفارد ، والأستاذ جرونباوم من جامعة كاليفورنيا ، والأستاذ كلود كاهن من جامعة استراسبورج ، والأستاذ فوك من جامعة هال ، والأستاذ روزنتال من جامعة ييل ، ومؤرخ الحروب الصليبية الأستاذ رانسمان ، والأستاذ شبولر من جامعة هامبرج ، والأستاذ شاخت من جامعة ليدن ، والدكتور عبد العزيز الدورى من جامعة بغداد ، والدكتور نبيه أمين فارس من الجامعة الأمريكية ببيروت . . . الخ .

ومثّل الجمهورية العربية المتحدة الدكتور سامى الدهان عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ، وكاتب هذه السطور .

وقدم للمؤتمر تسعة وأربعون بحثاً كلها قيم ، وكل منها يتناول

ناحية من نواحى تطور حركة التأليف التاريخى فى الشرقين الأدنى والأوسط منذ ظهور الإسلام إلى وقتنا الحاضر ، وقرر المؤتمر فى جلسته الختامية طبع هذه البحوث فى كتاب مستقل ، وسيكون هذا الكتاب عند ظهوره مرجعاً هاماً لكل من يريد التأريخ للتاريخ الإسلامى فى مختلف عصوره .

وقد بدأت — عندما وصلتنى الدعوة إلى الاشتراك فى المؤتمر — أعد بحثى فى حدود الصفحات التى عينها لى ، ولكن الموضوع شاقنى فلم ألبث أن وجدت نفسى أسترسل فى البحث والاستقصاء والاستيفاء والكتابة حتى وجدت آخر الأمر أننى كتبت كتاباً مكوناً من قسمين : القسم الأول فيه دراسة تفصيلية لحركة التأليف التاريخى والمؤرخين فى مصر فى القرن التاسع عشر ، والقسم الثانى فيه دراسة تحليلية مقارنة لهذه الحركة وبواعثها وأهدافها وموضوعاتها وأسلوبها . . . إلخ

ووجدت نفسى فى حيرة : كيف أرسل للمؤتمر كتاباً وقد طلب منى بحثاً محدد الصفحات والكلمات ، وأخيراً وجدت القسم الثانى من الكتاب قريباً من القدر المطلوب فأرسلته للمؤتمر وخاصة أنه أكثر شمولا ، وبعيد عن التفصيلات ، وعنوان هذا البحث :

« دراسة مقارنة لحركة التأليف التاريخى فى مصر فى القرن التاسع عشر » .

"A Comparative Study of Egyptian Historiography in the Nineteenth Century."

هذا وقد كنت وضعت كتابى أولا باللغة العربية ، ثم ترجمته بعد ذلك إلى اللغة الإنجليزية ، والنسخة العربية هى هذه التى بين أيدى القراء ، تحت عنوان « التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر » ، وأما النسخة الإنجليزية فقد جعلت عنوانها :

"A History of Egyptian Historiography in the nineteenth century"

وأرجو أن أوفق قريباً لتقديمها للمطبعة .

ولقد أضفت إلى هذه النسخة العربية فى آخرها ملحقاً قدمت فيه بياناً بأسماء المؤرخين المصريين فى القرن التاسع عشر وأسماء كتبهم التاريخية ، كما أضفت إليه قائمة كاملة بمراجع البحث ليرجع إليها من يريد التحقق أو الاستزادة.

وإنى أتقدم بالشكر الجزيل للصديق العزيز الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبدالكريم أستاذ التاريخ الحديث بجامعة عين شمس ، فقد تفضل باختيار كتابى هذا ليكون واحداً من كتب المجموعة القيمة التى يشرف على إخراجها بعنوان « المكتبة التاريخية » .

والله أسأل أن يوفقنى دائماً لما فيه الخير لأمتنا العربية وتاريخها المجيد ؟ .

الاسكندرية { ٢ جمادى الآخرة ١٣٧٨ — ١٣ ديسمبر ١٩٥٨ } **جمال الدين الشيال**

القسم الأول

التأليف التاريخي في مصر

في القرن التاسع عشر

— ١ —

تطور التأليف التاريخى

فى مصر الإسلامية

بدأت حركة التأليف التاريخى فى مصر الإسلامية بابن عبد الحكم صاحب كتاب « فتوح مصر والأندلس » ، ثم نشطت هذه الحركة بعد ذلك نشاطاً عجيباً لم تشهده بلد من البلاد الإسلامية ، وأنتج المؤرخون المصريون إنتاجاً ضخماً وألفوا فى معظم فنون التأليف التاريخى ، وظلت هذه الحركة نشيطة عصراً بعد عصر ، وتتابع المؤرخون المصريون قرناً بعد قرن ، وكل منهم يضيف إلى جهد سابقيه ، إما تكملة أو تذييلا أو إضافة أو ابتكاراً ، حتى إذا كان القرن الخامس عشر الميلادى وجدنا أن حركة التأريخ فى مصر الإسلامية بلغت أوجها ووصلت الذروة من حيث وفرة الإنتاج وتنوعه ، ومن حيث عدد المؤرخين العظام الذين ظهروا فى هذا القرن .

ولعل السمة الظاهرة التى تميز مؤرخى مصر فى هذا القرن

أنهم كلهم مؤلفو موسوعات ، وأنهم جميعاً وافرو الإنتاج ، ويكفى أن نشير هنا إلى أسماء بعضهم من أمثال : ابن خلدون ، والمقريزى ، وابن حجر ، والعينى ، وابن تغرى بردى ، وابن الصيرفى ، والسخاوى ، والسيوطى ، وابن إياس[1] ... الخ .

وكان آخر من عرفته مصر من المؤرخين فى نهاية العصر المملوكى : ابن إياس ، وابن زنبل الرمال ، وهما مؤرخان لهما قدرهما ، فقد شهدا نهاية عصر المماليك — عصر الاستقلال — ، وبداية العصر العثمانى — عصر التبعية والغزو الخارجى — ، وقد أرخا للفتح العثمانى فى كتابيهما تأريخاً له قيمته .

وقد شهد الشرق الأوسط الإسلامى فى بداية القرن السادس عشر تغيراً أساسياً ، فقد نجح الأتراك العثمانيون فى القضاء على الدولة المملوكية فى مصر والشام ، وفى الانتصار على الدولة الصفوية ، ونتيجة لهذا الانتصار المزدوج ضمت مصر والشام ، كما ضم العراق إلى أملاك الدولة العثمانية ، وأصبحت القسطنطينية بعد انتقال الخلافة الإسلامية إليها مركز الثقل ، ومحور الارتكاز فى العالم الإسلامى .

ولعل هذا يفسر لنا بعض التفسير ركود الحركة العلمية بوجه

---

(١) راجع : محمد مصطفى زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

عام — وحركة التأليف التاريخى بوجه خاص — فى مصر طيلة القرون الثلاثة التى خضعت فيها للحكم العثمانى ؛ فقد أصبحت القسطنطينية مركز النشاط العلمى فى العالم العثمانى ، فهى مقر السلطان والخليفة ، بل هى عاصمة الدولة الإسلامية ، والدولة كانت تركية اللسان ، فمن البديهى إذن أن تنشط حركة التأليف بين علماء الأتراك ، وباللغة التركية ، وأن تضعف حركة التأليف باللغة العربية ، يضاف إلى هذا أن السلطان سليماً الأول كان قد صحب معه حين خروجه من مصر عدداً من كبار العلماء وكل ماهر فى فن أو صنعة ، كما حمل معه معظم ما كانت تزخر به مكتبات القاهرة من نوادر الكتب والمؤلفات .

لهذا لا نعجب إذا لاحظنا أن حركة التأليف التاريخى التى ظلت مستمرة متصلة منذ ابن عبد الحكم إلى ابن إياس قد انقطعت خلال هذه القرون العثمانية الثلاثة ، فلا نجد مؤرخاً مصرياً له شأن أو قيمة بعد ابن إياس ، اللهم إلا إذا اعتبرنا صوفيا كالشعرانى[1] مؤرخاً حين يكتب كتابه « الطبقات الكبرى » فى تراجم الصوفية[2] ، ويستمر هذا الفراغ ملحوظاً إلى أن يقرب

---

(١) انظر : توفيق الطويل : الشعرانى – مجموعة أعلام الإسلام – ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

(٢) حقيقة لقد ظهر فى مصر فى العصر العثمانى عدد من المؤلفين الذين كتبوا فى التاريخ ، ولكنهم فى جملتهم لا يستطيعون أن يرقوا إلى مرتبة =

= من مؤرخي القرن الخامس عشر أو القرون التي قبله، ومن المفيد — ونحن نتتبع هنا تطور الحركة التاريخية قبل القرن التاسع عشر — أن نشير إلى بعض هؤلاء المؤرخين وإلى إنتاجهم .

فمنهم محمد بن أبي السرور البكري الصديقي ، عاش في القرن الحادي عشر الهجري (١٧ م) وتوفى سنة ١٠٨٧ ﻫ ، وله ثلاثة كتب تاريخية لا زالت مخطوطة ، هي :

(ا) الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة ، وفيه يؤرخ لولاة مصر وقضاة العسكر في العصر العثماني إلى سنة ١٠٥٤ ﻫ .

(ب) عيون الأخبار ونزهة الأبصار ، وهو تاريخ مختصر لمصر والدول التي تعاقبت على حكمها إلى آخر عصر المماليك الجراكسة .

(ﺣ) المنح الرحمانية في الدولة العثمانية ، وفيه يؤرخ لسلاطين آل عثمان وينتهي إلى سنة ١٠٢٩ ﻫ (انظر ترجمته في : محمد توفيق البكري : بيت الصديق ، القاهرة ١٣٢٣ ﻫ ، ص ٧٣ — ٧٨ ؛ وإبراهيم العبيدي المصري : عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق ، القاهرة ١٢٨٧ ﻫ) .

ومنهم : الإسحاقي المنوفي (محمد بن عبد المعطي بن أبي الفتح) ، وهو من رجال القرن الحادي عشر (١٧ م) كذلك ، ترجم له المحبي فقال : إنه كان قاضيا فاضلا عالما مؤرخا ، كثير النظم ، صحيح الفكرة ، وله تاريخ لطيف ورسائل كثيرة ، قرأ ببلده على شيوخ كثيرين ، وكان يتردد إلى مصر ، وأخذ بها عن أكابر علمائها ، وتوفي في نيف وستين وألف ببلدة منوف ، وكتابه التاريخي سماه « لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول » ، ورتبه على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة ، وأرخ فيه لمن ولي مصر من حكام منذ الفتح العربي إلى أوائل القرن الحادي عشر ، وانتهى من تأليفه سنة ١٠٣٣ ﻫ ، وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة طبعات مختلفة في السنوات ١٢٧٦ و ١٢٩٦ و ١٣٠٠ .

ومنهم الجزري الحنبلي (عبد القادر الأنصاري) وهو من رجال القرن العاشر (١٦ م) وقضى معظم حياته موظفا في إدارة الحج بالقاهرة ، وصحب قافلة الحج من مصر إلى الحجاز سنوات كثيرة ، وألف في سنة ١٥٥٤م =

= كتابا بعنوان «الدرر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة »، والكتاب يشبه أن يكون مذكرات شخصية ، وقد ضمّنه مؤلفه معلومات قيمة كثيرة عن أخبار الحج ومنازله وكيفية الرحيل والنزول والإقامة ، وأرخ فيه لمن حج بالناس من الخلفاء والصحابة والأمراء والأعيان من مختلف البقاع والأماكن ، كما شرح مناسك الحج على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل ، ورتب الحوادث فيه على السنين الهجرية ، وتوجد من هذا الكتاب نسخة ناقصة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ومنه نسختان لم يشر إليهما بروكلمان ، إحداهما فى المكتبة التيمورية بالقاهرة ، والثانية – وهى أكثر أهمية لأنها بخط المؤلف – وتوجد فى مكتبة الأزهر تحت رقم ٢٨٤٤ تاريخ . انظر أيضا : (Jacques Jomier : *Le Mahmal et la Caravane Egyptienne des Pelerins de la Mecque, XIIIe —XXe Siecle, Le Caire 1953)* ونحب أن نشير هنا كذلك إلى أن المصريين كانوا هم السابقين إلى وضع كتب تترجم لرجال قرن بأكمله ، بدأ هذا النوع من كتب التراجم ابن حجر حين ألف كتابه « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » ، ثم أتى بعده تلميذه السخاوى فألف كتابه « الضوء اللامع فى تراجم أعيان القرن التاسع » .

ثم انقطع هذا اللون من ألوان التأليف التاريخى من مصر فى العصر العثمانى ، وانتقل إلى أيدى المؤرخين السوريين ، فألفوا كتبا ثلاثة ضخمة للترجمة للرجال الذين عاشوا فى قرون العصر العثمانى الثلاثة : العاشر ، والحادى عشر ، والثانى عشر : أرخ الغزى (نجم الدين محمد بن محمد) لرجال القرن العاشر فى كتابه : « الكواكب السائرة فى تراجم أعيان المائة العاشرة » .

وأرخ المحبى لرجال القرن الحادى عشر فى كتابه « خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر » .

وأرخ المرادى لرجال القرن الثانى عشر فى كتابه : « سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر » .

وحاول مؤرخ مصرى (من رجال القرن الرابع عشر الهجرى)، هو =

القرن الثامن عشر من نهايته ، وتبدأ فى مصر محاولة للاستقلال والانفصال عن الدولة العثمانية على يد على بك الكبير(١) ، وتمهد هذه النقطة إلى نهضة علمية تظهر على استحياء ، ويظهر عدد من العلماء والأدباء والمفكرين ذوى نشاط ملحوظ ، فنسمع عن السيد محمد مرتضى الزبيدى(٢) — صاحب تاج العروس فى شرح القاموس ، وشرح كتاب الإحياء للغزالى ، وغيرهما من الكتب الوفيرة العدد — ، وعن شيخ الأزهر الشيخ الشبراوى(٣) الذى يقول شعراً فيه لمحة من لمحات التجديد ، وعن الشيخ إسماعيل

= أحمد تيمور إتمام السلسلة فيما بعد بالترجمة لرجال القرن الثالث عشر ، ولكنه لم ينجز من مؤلفه هذا إلا قسما يسيرا ، هو الذى طبع بعد وفاته بعنوان : « تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر » ، القاهرة ١٩٤٠ . انظر : جمال الدين الشيال : الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق الإسلامى الحديث ، ج ٢ ، مصر والشام ، القاهرة ١٩٥٨

(١) انظر : محمد رفعت رمضان . على بك الكبير ، القاهرة ١٩٥٠ وما به من مراجع .

(٢) انظر ترجمته فى : (الجبرتى : عجائب الآثار ، ج ٢ ، ص ١٩٦ — ٢١٠ ، حوادث سنة ١٢٠٥ هـ) و (الشبلنجى . نور الأبصار فى مناقب آل البيت المختار ، بولاق ١٢٩٠) ، و (على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ٣ ، ص ٩٣ — ٩٤) و (الشيال : الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق الإسلامى الحديث ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٤٥ — ٧٩) .

(٣) للشيخ الشبراوى ترجمة وافية فى « عجائب الآثار » للجبرتى .

الخشاب[١] — الشاعر الناثر — ، وعن الشيخ حسن الجبرتى[٢] — العالم الرياضى الفلكى — ، وعن الشيخ حسن العطار[٣] ، وهو شيخ آخر من شيوخ الأزهر له ولع بقراءة الكتب المترجمة عن اللغات الأوروبية وخاصة فى علمى التاريخ والجغرافيا ، ثم نسمع أخيراً عن عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ المعروف .

والجبرتى هو الذى سيصل ما انقطع من حبل الحركة التأليفية التاريخية ، فهو أول مؤرخ مصرى يظهر بعد ابن إياس وابن زنبل ، وبعد أن خلت مصر من المؤرخين الكبار ثلاثة قرون كاملة .

---

(١) و (٢) و (٣) لهؤلاء الشيوخ تراجم وافية فى « عجائب الآثار » للجبرتى .

— ٢ —

الجـــبرتى

ومدرسته

والجبرتى يعتبر بحق أول مؤرخى مصر فى القرن التاسع عشر ، لقد عاش حقيقة معظم سنى حياته فى القرن الثامن عشر (فقد ولد فى سنة ١١٦٧ هـ = ١٧٥٤م) ، ولـكنه أدرك القرن التاسع عشر ، وعاش فى الربع الأول منه (فقد توفى سنة ١٨٢٥) ، وشهد أحداثاً هامة ، فقد شهد مقدم الحملة الفرسية وأحداثها وخروجها ، وشهد الصراع الذى انتهى بتولية محمد على حكم مصر ، ثم شهد أخيراً السنين الأولى من حكم هذا الوالى ، وقد أرخ لهذا كله فى كتابيه التاريخيين القيمين : « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس» و «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار».

وتنتسب أسرة الجبرتى[1] إلى « جبرت » أحـد الأقاليم

---

(١) راجع ترجمة الجبرتى فى

— خليل شيبوب : عبد الرحمن الجبرتى ، العدد ٧٠ من مجموعة اقرأ، القاهرة ١٩٤٨ .

الإسلامية في الحبشة ، وقد خرج عبد الرحمن — الجد السابع لمؤرخنا — في القرن العاشر الهجرى (١٦ م) لأداء فريضة الحج ، فجاور بمكة ثم بالمدينة ، وتلقى العلم على من كان بهما من شيوخ ، ثم رحل إلى مصر ، واتصل بعلمائها ، ثم اختير شيخاً لرواق الجبرت ، وظلت هذه المشيخة في سلالته ردحاً طويلا من الزمن .

وكان الشيخ حسن — والد المؤرخ — من أكبر علماء

= — سركيس : معجم المطبوعات العربية .

— الزركلى : الأعلام .

— جورجى زيدان : تاريخ الآداب العربية .

— محمود الشرقاوى : مصر في القرن الثامن عشر ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٥٥ .

— الشيال : تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

— الشيال : الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامى الحديث ، ج ٢ ، مصر والشام ، القاهرة ١٩٥٨ .

Lane = *Manners and Customs of Modern Egyptians (Index under Abd al-Rahman)*.

— Brocchi (G. B) = *Giornale della Asservazioni fatte ne' viaggi in Egitto, nella Siria e nelle Nubia. Bassanno, 1841. t I, II)*.

Macdonald = *Al Djabarti (art. in Enc. Is)*.

Von Kremer = *Beitrage zur Arab Lexicographie, Vienne, 1883—1884.*

(وهى رسالة في لغة كتاب عجائب الآثار للجبرتى) .

عصره ، وواسع المعرفة بعلوم الشرع والعلوم الرياضية ، كما كان يتقن اللغتين التركية والفارسية « حتى أن كثيراً من الأعاجم والأتراك يعتقدون أن أصله من بلادهم ، لفصاحته فى التكلم بلسانهم ولغتهم» ، وقد عنى عناية خاصة بالعلوم الرياضية حتى أتقن الكثير من فروعها ، وبخاصة الفلك والهندسة والحساب والمساحة والجغرافيا ، وكان يدرس فى الأزهر علوم الحكمة والهيئة والهندسة والتوقيت ، وهو آخر من درسها فيه ، وكان منزله فى الصنادقية مقصداً لتلاميذه المقربين إليه ، وكانت له فيه مكتبة عامرة أباحها للطلاب ، ولكل من يريد القراءة والمراجعة والاستفادة ؛ وكانت هذه المكتبة تضم الكتب النادرة باللغات الثلاث كما كان فيها الكثير من الآلات الفلكية والهندسية .

فى هذا الجو العلمى نشأ ابنه عبد الرحمن ، فأخذ العلم عنه وعن أصدقائه وعن شيوخ العصر ، وفى مقدمتهم السيد محمد المرتضى الزبيدى(١) .

وقد خلف له أبوه ثروة كبيرة أغنته عن السعى وراء الرزق ، لهذا تفرغ للعلم والدراسة ، يقضى وقته بين حلقات الأزهر وبين مكتبته فى بيته ، فلما أتت الحملة الفرنسية إلى مصر فى سنة ١٧٩٨

---

(١) انظر : (الشيال : الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق الإسلامى الحديث ، ج ٢ ، مصر والشام ، القاهرة ١٩٥٨) .

ترك القاهرة إلى مزرعته في إبيار ، ثم عاد إليها بعد قليل ، واتصل بعلماء الحملة وزارهم في مقرهم . وشاهد مكتبتهم وتجاربهم العلمية وأعجب بها ، ووصفها وصفاً دقيقاً ، ولما أعاد « مينو » تشكيل الديوان اختار الجبرتي(١) عضواً فيه .

وكان الجبرتي قد بدأ يجمع مسودات كتابه « عجائب الآثار » قبل مجيء الحملة الفرنسية ، وهو يؤرخ فيه لمصر في القرن الثاني عشر الهجري (١٨م) ، وفي الربع الأول من القرن الثالث عشر (١٩ م) ، وهو يلخص في مقدمة كتابه طريقته في التأليف ، يقول :

« إني قد سودت أوراقاً في حوادث آخر القرن الثاني عشر وما يليه ، وأوائل القرن الثالث عشر الذي نحن فيه ، جمعت فيه بعض الوقائع إجمالية ، وأخرى محققة تفصيلية ، وغالبها محن أدركناها وأمور شاهدناها ، واستطردت في ضمن ذلك سوابق سمعتها ، ومن أفواه الشيخة تلقيتها ، وبعض تراجم الأعيان المشهورين ، من العلماء والأمراء المعتبرين ، وذكر لمع من أخبارهم وأحوالهم ، وبعض تواريخ مواليدهم ووفياتهم . فأحببت جمع شملها ، وتقييد شواردها في أوراق منسقة النظام ، مرتبة على السنين والأعوام »

---

(١) انظر : (الجبرتي : عجائب الآثار) و (الشيال : تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية ، القاهرة ١٩٥١) .

فهو يعنى فى تاريخه بأمرين : تسجيل الأحداث ، والترجمة للعلماء والأمراء المعتبرين .

ويبدو من المقدمة أن الجبرتى كان قد وضع لتاريخه خطة واضحة تتلخص فى أن يصدره بمقدمة موجزة يلخص فيها تاريخ مصر منذالفتح الإسلامى — أو على أقل تقدير منذ الفتح العثمانى — إلى أوائل القرن الثانى عشر الهجرى (١٨ م) ، ثم يبدأ بعد ذلك تأريخاً مفصلا لمصر فى القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر .

وعندما بدأ كتابة التصدير الموجز بحث عن المراجع التاريخية الأصلية ، فلم يجد معظمها ، وإنما عثر على بعض أجزاء منها مبعثرة فى مكتبات المساجد والمدارس ، لا تصلح للاعتماد عليها أو الأخذ عنها ، فهو يشير فى مقدمة تاريخه إلى كبار المؤرخين الإسلاميين والمصريين من أمثال الطبرى ، والمسعودى ، وابن الجوزى ، وابن الأثير ، وابن دقماق ، وابن خلدون ، والمقريزى ، والعينى ، والسخاوى . . إلخ ، ثم يعقب عليها بقوله :

« قلت : وهذه صارت أسماء من غير مسميات ، فإنا لم نر من ذلك كله إلا بعض أجزاء مدشتة بقيت فى بعض خزائن الأوقاف بالمدارس ، مما تداولته أيدى الصحافين ، وباعها القومة والمباشرون ، ونقلت إلى بلاد الغرب والسودان ، ثم ذهبت

بقايا البقايا فى الفتن والحروب ، وأخذ الفرنسيون ما وجدوه إلى بلادهم[١] » .

وكان الجبرتى منذ بدأ يؤلف تاريخه يسجل الأحداث فى مسودات أو «طيّارات» — كما يسميها هو — ، وهى أشبه ما تكون بالبطاقات أو « الفيشات » ، فلما بدأ يجمع هذه المسودات ليكتب تاريخه فى صورته النهائية ، وأحب أن يقدم للتاريخ بمقدمة يوجز فيها أحداث القرون السابقة لم يجد تحت يده مرجعاً يؤرخ للعصر العثمانى ، وبعد بحث طويل عثر على تاريخين وصفهما بالركاكة وسوء الترتيب ، أحدهما كراسات كتبها بعض العامة من الأجناد ، والثانى تاريخ لشخص يدعى أحمد چلبى بن عبد الغنى ، أرَّخ فيه لمصر منذ الفتح العثمانى إلى سنة ١١٥٠ هـ ، ومع هذا فقد استعار أحد أصحابه هذا الكتاب الأخير فأضاعه ، يقول الجبرتى فى مقدمته :

« ولما عزمت على ما كنت سودته أردت أن أوصله بشىء قبله ، فلم أجد بعد البحث والتفتيش إلا بعض كراريس سوَّدها بعض العامة من الأجناد ، ركيكة التركيب ، مختلة التهذيب والترتيب ، وقد اعتراها النقص فى مواضع ، فى خلال بعض الوقائع ؛ وكنت ظفرت بتاريخ من تلك الفروع ، لكنه على

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ، ح ١ ، ص ٦ .

نسق فى الجملة مطبوع ، لشخص يقال له أحمد چلبى بن عبد الغنى ، مبتدئاً فيه من وقت تملك بنى عثمان للديار المصرية ، وينتهى كغيره ممن ذكرناه إلى خمسين ومائة وألف هجرية ؛ ثم إن ذلك الكتاب استعاره بعض الأصحاب ، وزلت به القدم ، ووقع فى صندوق العدم » .

ويستطرد الجبرتى فى شرح خطته ، فيقول إنه لم يجد بعد هذين المرجعين مرجعاً آخر أرخ لهذه الحقبة من الزمن ، أى للسبعين سنة الأولى من القرن الثانى عشر (١٨ م) ، فاضطر عند التأريخ لها أن يرجع إلى روايات الشيوخ المسنين ، وإلى الوثائق الرسمية التى يحتفظ بها الكتبة والمباشرون ، وإلى النقوش المرقومة على الآثار وشواهد القبور ؛ أما الأحداث التى وقعت بعد سنة سبعين ومائة وألف فهو قد شاهدها وعاصرها ، وشارك فى بعضها ، وكان على صلة بكثير من الرجال الذين صنعوها ، ولذلك كان يسجلها فى مسوداته ، فلما بدأ يكتب تاريخه فى صورته النهائية كانت هذه المسودات هى مرجعه الأول والأخير ، وكان هو المؤرخ الوحيد لهذه الأحداث ؛ والجبرتى يتم وصف خطته بقوله :

« ومن ذلك الوقت إلى وقتنا هذا لم يتقيد أحد بتقييد ، ولم يسطر فى هذا الشأن شيئاً يفيد ، فرجعنا إلى النقل من أفواه

الشيخة المتنتين ، وصكوك دفاتر الكتبة والمباشرين ، وما انتقش على أحجار قبور المقبورين ، وذلك من أول القرن إلى السبعين ؛ وما بعدها إلى التسعين أمور شاهدناها ، ثم نسيناها وتذكرناها ، ومنها إلى وقتنا أمور تعلقناها ، وقيدناها وسطرناها : إلى أن تم ما قصدنا بأى وجه كان ، وانتظم ما أردنا استطراده من وقتنا إلى ذلك الأوان ... إلخ » .

يعنينا من هذا التحليل التفصيلى أن نشير إلى أن الجبرتى اتبع فى تأليف تاريخه منهجاً علمياً دقيقاً ، فهو يحاول استشارة المراجع عند الكتابة عن السنوات التى لم يعشها ولم ير أحداثها ؛ وهو ينقل عن المعاصرين ويستعين بالوثائق وبالآثار وبالنقوش عند الكتابة عن السنوات التى عاشها فى طفولته وفى شبابه الأول ، ولكنه أنسيها لأنه لم يكن يسجل أحداثها ؛ وهو عندما نضج وبلغ مبلغ الكهولة الواعية كان يسجل الحوادث فى طيّارات أو بطاقات استعان بها فيما بعد عند تنسيق تاريخه وكتابته فى صورته النهائية ؛ ولست أحسب أن هناك منهجاً فى التأليف التاريخى أسلم أو أقيم من هذا المنهج .

والجبرتى بعد هذا قد اختار لتاريخه طريقة الحوليات ، فهو يؤرخ للسنين سنة بعد أخرى ، ويختم كل سنة بالترجمة لمن توفوا فيها من الأمراء ، وشيوخ الأزهر وعلمائه ، والأدباء ،

والشعراء ، والتجار والبارزين من رجال المجتمع ونسائه بوجه عام .

وكتاب «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار» يعتبر — كما قال « مكدونالد Macdonald » فى ترجمته للجبرتى فى دائرة المعارف الإسلامية « أعظم تواريخ مصر فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر »[١] ؛ فهو لا يعنى بالأحداث السياسية والتراجم وحسب ، بل إنه سجل حافل بألوان الحياة التى كان يحياها المجتمع المصرى فى هذين القرنين ، فهو لا يقصر تراجمه على كبار الأعيان والشخصيات البارزة ، بل يترجم لكثير من الباعة وأهل السوق وأرباب الحرف ، والمتصوفة والمتدروشين والمجاذيب ومدعى النبوة والمجانين ؛ وهو فى الأزمات الاقتصادية يذكر أسعار الغلال واللحم واللبن والسمن والتمر والبن والحطب والفحم ، والذهب والفضة ، ويشير إلى الأوبئة والطواعين والأمراض ، ويؤرخ لتعمير المساجد والقصور ، وإنشاء القناطر والترع ، ويسجل خوارق الطبيعة كهبوب رياح شديدة وانخفاض شديد فى درجة البرودة أو الحرارة ... إلخ .

فالكتاب على هذا الوضع له أهمية اجتماعية كبيرة ، لأنه صورة مفصلة من حياة الشرقيين ، وقد أفاد منه « لين » وهو

---

(١) راجع : (دائرة المعارف الإسلامية ، مادة « جبرتى ») .

يعلق على الطبعة التى أخرجها من ألف ليلة »[١] ؛ ويزيد فى أهميته أن الجبرتى كان أميناً الأمانة كلها وهو ينقل هذه الأخبار أو يسجل هذه الصور ، فهو كما قال عن نفسه لم يخترع شيئاً من تلقاء نفسه ، ولم يكتب حادثة حتى كان يتحقق صحتها بالتواتر والاشتهار[٢] . والكتاب[٣] بعد هذا خير ما أرّخ للسنوات

(١) انظر المرجع السابق .

(٢) راجع : (محمود الشرقاوى : مصر فى القرن الثامن عشر ، ح ١ ، ص ٢٦) .

(٣) طبع كتاب « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » طبعات كثيرة ، كانت أولاها فى مطبعة بولاق سنة ١٢٩٧ هـ ، والثانية فى المطبعة الشرفية سنة ١٣٢٢ ، وكلتاهما فى ٤ أجزاء ؛ وطبع طبعة ثالثة على هامش (الكامل فى التاريخ لابن الأثير ، القاهرة ، ١٣٠٢ هـ) كما طبع الجزء الثالث منه بعنوان « تاريخ الفرنساويين فى مصر » ، مطبعة جريدة مصر ، الإسكندرية ، ١٨٧٨) قام على نشره أديب إسحق ؛ وقد ترجم هذا الجزء إلى اللغة التركية بأمر السلطان سليم الثالث ، وجعل عنوانه : « إنقاذ مصر من الفرنساوية » .

وترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية أربعة من المصريين ، هم : شفيق بك منصور يكن ، وعبد العزيز كحيل بك ، وجبرائيل كحيل بك ، واسكندر عمون أفندى ، وطبعت الترجمة الفرنسية فى مصر فى ٩ أجزاء سنة ١٨٨٨ ، وعنوانها :

"*Merveilles Biographiques et Historiques ou Chroniques du Cheikh Abd el- Rahman el-Djabarti. Traduites de l'Arab par Chafik Mansour Bey, Abdulaziz Kahil Bey Gabriel Nicolas Kahil Bey et Iskander Ammon Effendi Le Caire, 1888—1896.*

الأخيرة من العصر المملوكى ، وللحملة الفرنسية على مصر والشام ، وللسنوات الأولى من عصر محمد على ، وهو ملىء بالوثائق الرسمية ، ففيه — على سبيل المثال لا الحصر — : صورة للمنشور الذى أذاعه نابليون بونابرت عند نزوله بأرض مصر ، وقطعة من رسالة نابليون التى وجهها إلى أهل مصر يعلل فيها عدم استيلائه على عكا ، والنص الكامل لمحاكمة سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر ، وصورة كتاب وجهه السلطان إلى عرب البحيرة بأن يكفوا عن قطع الطريق والعدوان على الناس ، ونسخة جواب كتبه الشيخ إسماعيل الخشاب على لسان هؤلاء الأعراب بأنهم سيلتزمون الطاعة ، وصور لكثير من الأوامر واللوائح والقوانين التى كان يصدرها الحكام ، سواء أكانوا عثمانيين أم أمراء مماليك أم فرنسيين ... إلخ .

وقد ساعده على جمع هذه الوثائق مكانته فى المجتمع ، وما كان بينه وبين الأمراء وكبار رجال الدولة والعلماء من صلات ، فقد كان صديقاً لكثير من أمراء المماليك — وخاصة محمد بك الألفى — وكان صديقاً لكبار الشيوخ والعلماء الذين كانوا أعضاء فى الديوان ، بل لقد كان كاتم سر الديوان الشيخ إسماعيل الخشاب من أقرب أصدقائه إليه ، وكان هو — كما أسلفنا — أحد أعضاء الديوان أيام الجنرال منو .

بقيت نقطة أخيرة نحب أن نجلوها ونناقشها ، وهى : لم ألف

الجبرتى كتابه هذا ؟ ولم جعل موضوعه . التراجم أولا ، ثم الأخبار ثانياً ؟

هذه نقطة هامة لا يستطيع أن يوضحها إلا من يقرأ كتاب « عجائب الآثار» قراءة شاملة متئدة مستوعبة ، فقد روى الجبرتى قصة تأليف هذا الكتاب فى أماكن مختلفة ، روى طرفاً منها فى الاستطرادات التى تحدث فيها عن نفسه ، وروى طرفاً ثانياً عند ترجمته لأستاذه السيد محمد المرتضى الزبيدى ، وروى طرفاً ثالثاً عند ترجمته لمؤرخ الشام المرادى .

والقصة طريفة لأنها تربط بين « عجائب الآثار » وبين كتابين تاريخيين هامين ألفا فى مصر والشام فى نفس القرن ، وهما : « المعجم المختص » للمرتضى الزبيدى ، و « سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر » للمرادى .

روى الجبرتى هذه القصة فى سياق ترجمته للمرادى ، قال :

«كان رحمه الله مغرماً بصيد الشوارد ، وقيد الأوابد ،واستعلام الأخبار ، وجمع الآثار ، وتراجم العصريين على طريق المؤرخين ، وراسل فضلاء البلدان البعيدة ، ووصلهم بالهدايا والرغائب العديدة، والتمس من كلٍ جمع تراجم أهل بلاده ، وأخبار وأعيان أهل القرن الثانى عشر بحسب وسع همته واجتهاده » .

ثم عقب على هذا بقوله :

« وكان هو السبب الأعظم الداعى لجمع هذا التاريخ — يقصد

كتابه عجائب الآثار — على هذا النسق » .

ثم أوضح الجبرتى بعد هذا أن شيخه الزبيدى كان واحداً ممن راسلهم المرادى يسألهم أن يمدوه بتراجم القطر أو البلد الذى يعيشون فيه ، وقد سأل الزبيدى أن يجمع له تراجم المصريين الذين عاشوا فى القرن الثانى عشر ، وكان الزبيدى مشغولا بمؤلفاته الأخرى ، وهو بعد ليس مصرى الأصل ، ولهذا رأى أن يلجأ إلى تلميذه عبد الرحمن الجبرتى ليعينه فى هذا الأمر ، فطلب إليه أن يجمع هذه التراجم دون أن يعرفه بالقصد من جمعها ؛ واستجاب الجبرتى لاقتراح أستاذه ، وجمع ما تيسر جمعه ، وحمله إليه يوماً وعنده بعض الشاميين وأطلعه عليه ، يقول الجبرتى :

« فسر بذلك كثيراً ، وطارحنى وطارحته فى نحو ذلك بمسمع من المجالس » .

وأرسل الزبيدى بعض هذه التراجم إلى صديقه المرادى ، وأفاد من البعض الآخر فى وضع معجمه ؛ ثم توفى الزبيدى بعد قليل ، وختم على تركته بما فيها من كتب وأوراق مدة ما ، ثم بيعت مكتبته بالمزاد ، واشترى الجبرتى منها ما أراد ، ووجد هذه التراجم وغيرها من مسودات الشيخ ورسائله[1] وأوراقه ضمن

---

(١) عثر الجبرتى فى رسائل الزبيدى على الرسالة التى كان قد أرسلها إليه المرادى يستحثه على موافاته بالتراجم التى جمعها ، وأثبت الجبرتى نص هذه الرسالة فى كتابه « عجائب الآثار » ، وتاريخها ربيع الثانى سنة ١٢٠٠ هـ

ما اشترى ، وأفاد منها كثيراً عند تأليف كتابه عجائب الآثار

وعلم المرادى بوفاة السيد محمد المرتضى ، فأرسل إلى الجبرتى له القصة كلها ، ويسأله أن يبحث عن بقية التراجم التى كان قد جمعها السيد له ويرسلها إليه ، يقول الجبرتى :

« فعند ذلك أرسل إلى (أى المرادى) كتاباً ، وقرنه بهدية على يد السيد محمد التاجر القباقيبى ، يستدعى تحصيل ما جمعه السيد من أوراقه ، وضم ما جمعه الفقير (أى الجبرتى نفسه) وما تيسر ضمه أيضاً وإرساله ... ، فلما رأيت ذلك وعلمت سببه ، وتحققت رغبة الطالب لذلك جمعت ما كنت سودته وزدت فيه ، وهى تراجم فقط دون الأخبار والوقائع ، وفى أثناء ذلك ورد علينا نعى المترجم (المرادى) ففترت الهمـة ، وطرحت تلك الأوراق فى زوايا الإهمال مدة طويلة حتى كادت تتناثر وتضيع ، إلى أن حصل عندى باعث من نفسى على جمعها ، مع ضم الوقائع والحوادث والمتجددات على هذا النسق » .

فالمثير الأول هو المرادى ، وشروعه فى تأليف كتاب فى تراجم رجال القرن الثانى عشر .

وأنتج هذا التعاون العلمى بين المرادى والزبيدى والجبرتى محصولا تاريخيا ضخماً ، أنتج كتباً تاريخية ثلاثة :

أولها « المعجم المختص » للزبيدى ، وقد ترجم فيه لشيوخه

ولمن أخذ عنه أو ساجله أو جالسه من رفيق وصاحب وصالح ؛ قال فى مقدمته :

« وقد أذكر فيه من أحبنى فى الله أو أحببته ، أو استفدت منه شيئاً ، أو أنشدنى شيئاً ، أو كاتبنى أو كاتبته ، أو بلوت منه معروفاً وكرماً ... إلخ » .

وقد عثر الجبرتى على مسودة هـذا المعجم فى تركة الزبيدى بعد وفاته ، وقال إنه يقع فى نحو عشرة كراريس ، ورتبه صاحبه على حروف المعجم ، غير أنه لم يتمه ، وترك فى الحروف بياضات كثيرة ، وغالب ما فيها — على حد قوله — « أفاقيون من أهل المغرب والروم والشام والحجاز ، بل والسودان ، والذين ليس لهم شهرة ولا كثير بضاعة من الأحياء والأموات ، وأهمل من يستحق أن يترجم من كبار العلماء والأعاظم ونحوهم ... »[١] .

والكتاب الثانى هو « سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر » للمرادى ، وقد طبع بعد ذلك فى ثلاثة مجلدات .

والكتاب الثالث هو « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » للجبرتى . .

وهذه القصة تشرح لم سمى المؤلف كتابه بهـذه التسمية ،

---

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

فهو قد بدأ بجمع التراجم لغيره ، ولما عثر على هذه الحصيلة من التراجم فى تركة الزبيدى وبدأ يؤلف كتابه رأى أن يؤرخ للأحداث كذلك ، فجاء كتابه شاملا للتراجم والأخبار جميعاً .

وللجبرتى كتاب آخر فى التاريخ عنوانه « مظهر التقديس فى زوال دولة الفرنسيس »[1] لايزال مخطوطاً ، والكتاب كما هو واضح من عنوانه يؤرخ للحملة الفرنسية وللسنوات الثلاث التى قضتها فى مصر ، والجبرتى يذكر أن صديقه الشيخ حسن العطار قد شاركه فى تأليف هذا الكتاب ، فهو يقول إنه ألف كتابه وضم إليه ما كتبه الشيخ حسن العطار من النثر والشعر ، ثم يقول عند تحديد عنوان الكتاب : «وسميناه : مظهر التقديس» فى حين أنه قال عند ذكر عنوان تاريخه الأول : « وسميته : عجائب الآثار » .

ومع هذا فإنه يبدو عند المقارنة أن القدر الذى شارك به العطار كان قدراً ضئيلا ، ومعظمه مقطوعات من الشعر ، أما الكتاب فى معظمه فمن وضع الجبرتى ، بل هو يكاد يتفق مع ما كتبه فى « عجائب الآثار » عند التأريخ لسنوات الحملة ،

---

(١) طبع هذا الكتاب أخيراً فى القاهرة ضمن مجموعة « اخترنا لك » ، ولكن الطبعة للأسف الشديد سقيمة ومليئة بالأخطاء المطبعية ، والذى نعرفه أن الأستاذ محمد شفيق عربال يعد الكتاب طبعة محققة تحقيقا علميا تظهر قريباً .

والفروق بين النصين ضئيلة ، من زيادة أو حذف ، وأوضح الفروق بينهما تحامله في «مظهر التقديس» على الفرنسيين ، وإعلان الفرح لجلائهم عن مصر ، في حين أن ما كتبه عنهم في «عجائب الآثار» يتسم بالاعتدال والتقدير لأعمالهم في بعض الأحيان ، والسبب في هذا واضح ، فالأجزاء التي كتبها في «عجائب الآثار» كان يكتبها إبان وقوعها ، وأثناء وجود الفرنسيين في مصر ، فهو يسجل ، ويقدر أحياناً وينقد أحياناً أخرى ، أما مظهر التقديس فقد كتبه مدفوعاً بروحه القومية لإعلان الغبطة بزوال هذا الكابوس الأجنبي ، والفرح بخروج الفرنسيين وجلائهم عن مصر ، هذا إلى أنه كتبه ليقدمه للوزير يوسف باشا الذي قاد القوات العثمانية الزاحفة على مصر لإخراج الفرنسيين ، وقد ذكر الجبرتي في نهاية الكتاب(١) أنه انتهى من تأليفه في نهاية شهر شعبان سنة ١٢١٦هـ.

---

(١) وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية المسيو «كاردان Cardin» ترجمان القنصلية الفرنسية في الإسكندرية ، وألحق به ترجمة مختصرة لكتاب نقولا الترك ، وطبعت الترجمتان في مجلد واحد في الإسكندرية سنة ١٨٣٥ ، ثم في باريس سنة ١٨٣٨ بعنوان .

"Journal d'Abdorrahman Gabarti pendat l'Ocupation Française en Egypte suivi d'un précis de la même Campagne par Moallem Nicolas Turki Secrétaire du prince des Druzes, traduit de l'Arabe par Alexandre Cardin, Dragoman (sic) Chancelier du Consulat Générat de France à Alexandrie, 1835, Paris 1838.

والجبرتى — كما أسلفنا — هو أول من عمل على إحياء حركة التأليف التاريخى المصرى بعد أن هدأت هذه الحركة وخفتت فى القرون الثلاثة : السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ، فكان أول من استأنف التأريخ لمصر بعد ابن إياس وابن زنبل ، ومع هذا فقد وقف الجبرتى وحده فى عصره ، فلم يظهر إلى جانبه مؤرخ يدانيه أو يقرب منه ، حقيقة لقد حاول بعض معاصريه تأليف كتب فى التاريخ ، ولكن جهودهم فى هذا الميدان قليلة كما ضئيلة كيفاً ، ومع هذا فلا بأس من الإشارة إلى هؤلاء وإلى جهودهم ، فهم يكونون فى رأينا مدرسة كان يتزعمها الجبرتى ، ويبدو فيها كالعملاق ، وهم إلى جانبه كالأقزام .

الشيخ عبد الله الشرقاوى :

أول هؤلاء الشيخ عبد الله الشرقاوى[1] ، شيخ الجامع الأزهر ورئيس الديوان الأول الذى كونه نابليون ، وقد ألف رسالة تاريخية صغيرة عنوانها : « تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين » ، وتقع فى ٥٦ صفحة ، وطبعت فى

---

(١) ترجم له الجبرتى فى « عجائب الآثار » ، وفيات سنة ١٢٢٧ هـ ؛ انظر أيضا : (سليمان رصد : كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر ، القاهرة ١٣٢٠) و (عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية ، ج ١ .

القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) ، وقد نص المؤلف في مقدمته على السبب الذي دفعه إلى تأليف هذا الكتيب ، قال :

«إنه لما حل ركاب الصدر الأعظم ، والوزير الأفخم ، والدستور الأكرم ، حضرة مولانا الوزير يوسف باشا ، بلغه تعالى من المرادات ماشا ، بمدينة بلبيس فى شهر رمضان المعظم سنة ١٢١٤ بعد حصول الصلح بينه وبين طائفة الفرنساوية فى قلعة العريش ، وذهبت مع بعض علماء مصر للاقاته ، طلب منى بعض الإخوان من أتباع ذلك الصدر الأعظم أن أجمع كتاباً متضمناً لواقعة الحال المذكورة ، فأجبته إلى ذلك مستعيناً بعون القادر ، وذكرت فيه ما يتعلق بمصر وحكامها من أول الزمان إلى وقتنا هذا ... ورتبته على مقدمة وثلاثة أبواب . . »

وقد تكلم المؤلف فى المقدمة عن فضائل مصر وما ورد فيها من الآيات والأخبار ومن كان فيها من الأنبياء والصديقين وغير ذلك .

وفى البـاب الأول أرخ لمصر فى عهود الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين ، وللدولتين الطولونية والإخشيدية .

وفى الباب الثانى أرخ لدولة الفواطم والدولتين الأيوبية والمملوكية .

وفى الباب الثالث أرخ لدولة آل عثمان ، ولمن تصرف فى

مصر من نوابهم ، وإيراد أخبارهم ومدة مقامهم بالديار المصرية وأحكامهم » .

والكتاب قليل القيمة ، فهو موجز غاية الإيجاز ، والمؤلف ينقل عمن سبقه من المؤرخين من أمثال ابن عبدالحكم والمسعودى والقضاعى وغيرهم ، ويكثر النقل بصفة خاصة عن كتاب « حسن المحاضرة » للسيوطى .

والجديد الذى له قيمة فى هذا الكتاب هو البيان الذى أثبت فيه أسماء نواب أو باشوات مصر فى العهد العثمانى منذ الفتح فى أيام سليم الأول إلى مجىء الحملة الفرنسية ، ثم الفصل الذى أوجز فيه الحديث عن الحملة الفرنسية وأهم أحداثها وأعمالها (من ص ٥٤ إلى ص ٥٩) ففيه بعض معلومات قيمة لا بأس بها .

وللشيخ الشرقاوى كتاب آخر فى التراجم لا يزال مخطوطاً لم يطبع بعد ، وعنوانه . «التحفة البهية فى طبقات الشافعية»(١) ، والسبب فى تأليفه واضح ، فالشيخ شافعى المذهب ، ولهذا عنى بتأليف هذا الكتاب فى تراجم الشافعية ، وقد بدأه بالترجمة للإمام الشافعى ، ثم أصحابه ، ثم فقهاء الشافعيين طبقة بعد طبقة ، والمؤلف هنا كما كان فى الكتاب السابق ، لم يأت بجديد ، بل اعتمد على

---

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٧٨ ؛ انظر أيضا : (جورجى زيدان : تاريخ الآداب العربية ، ج ٤ ، ص ٢٤٤) و (فهرس دار الكتب المصرية ، ج ٥ ، ص ١٢٨) .

الكثيرين الذين ألفوا فى تراجم الشافعية قبله من أمثال : السبكى ، والأسنوى ، وابن قاضى شهبة ؛ ثم هو عند الترجمة للمتأخرين من فقهاء الشافعية الذين عاشوا بين سنتى ٩٠٠ و ١١٢١ ﻫ اعتمد اعتماداً كبيراً على حسن المحاضرة للسيوطي ، والطبقات الكبرى للشعرانى ، وأخيراً على معاصره عبدالرحمن الجبرتى .

الشيخ اسماعيل الخشاب :

وثانى هؤلاء المؤرخين هو الشيخ إسماعيل الخشاب[١] ، واحد من أصدقاء الجبرتى المقربين إليه ، وقد كان أبو الخشاب نجاراً ، ثم احترف تجارة الأخشاب ، غير أن ابنه لم يشأ أن يمتهن مهنة أبيه ، وتثقف ثقافة العصر الدينية اللغوية ، وتلقى العلم على مشايخ العصر ، واتصل منهم بالشيخ العروسى (شيخ الجامع الأزهر (١١٩٣ — ١٢٠٨ = ١٧٧٩ — ١٧٩٣) وبالعلامة السيد محمد المرتضى الزبيدى — صاحب تاج العروس — ، وبالشيخ محمد الأمير مفتى المالكية[٢] . . . إلخ ، ثم أقبل على قراءة الكتب

---

(١) انظر : (الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٢٢٣) و (نفس المؤلف : تاريخ الترجمة فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية) .

(٢) وله مدائح قالها فى هؤلاء الأعلام ذكرت فى ديوانه ، ص ٣٥٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ .

الأدبية وكتب التاريخ ، « وأولع بذلك . . . حتى صار نادرة عصره فى المحاضرات والمحاورات ، واستحضار المناسبات والماجريات ، وقال الشعر الرائق والنثر الفائق ... »[١] .

واتصل الخشاب برجال الحملة الفرنسية وعلمائها ، فالجبرتى يروى شعراً قاله فى رجلين منهم أحدهما اسمه « ريج »[٢] ، والثانى واحد من رؤساء كتابهم من العارفين ببعض العلوم العربية ، يقول الجبرتى :

« ولما وردت الفرنساوية لمصر اتفق أن علق (أى الخشاب) شاباً من رؤساء كتابهم ، كان جميل الصورة لطيف الطبع ، عالماً ببعض العلوم العربية ، مائلا إلى اكتساب النكات الأدبية ، فصيح اللسان بالعربى ، يحفظ كثيراً من الشعر ، فلتلك المجانسة مال كل منهما للآخر ، ووقع بينهما توادد وتصاف حتى لا يقدر أحدهما على مفارقة الآخر ، فكان (الخشاب) تارة يذهب لداره ، وتارة يزوره هو ... »[٣]

---

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ، ج ٤ ، ص ٢٥٤ .

(٢) هو العلامة « ريج Raige » أحد أعضاء لجنة الترجمة بالمجمع الفرنسى الذى أنشأه بونابرت فى مصر . انظر : (الشيال : تاريخ الترجمة فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية ، القاهرة ١٩٥١) .

(٣) الجبرتى : عجائب الآثار ، ج ٤ ، ص ٢٥٦ ؛ وقد وردت =

ويبدو أن هذه الصداقة بين الخشاب وبين بعض المستشرقين من علماء الحملة مهدت له السبيل للاتصال الرسمي بقادة الفرنسيين ، فلما أعيد تأسيس الديوان في عهد « مينو » أختير الشيخ إسماعيل ليكون أمينا لمحفوظات الديوان ، أو على حد تعبير الجبرتي : « كاتب سلسلة التاريخ » ، فكان هو « المتقيد برقم كل ما يصدر في المجلس من أمر ونهى ، أو خطاب أو جواب ، أو خطأ أو صواب » ، وذلك لأن « القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ، ثم يجمعون المتفرق في ملخص يرفع في سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخاً عديدة يوزعونها في جميع الجيش حتى لمن كان منهم في غير مصر من قرى الأرياف ، فتجد أخبار الأمس معلومة للجليل والحقير منهم »(١) .

ولقد أخطأ كل من جورجي زيدان والأب لويس شيخو فهم هذا النص ، فأثبتا في كتابيهما عن تاريخ الآداب العربية في القرن ١٩ أن هذه السجلات التي كان يكتبها الخشاب تعتبر

= القصيدة التي قالها الخشاب في هذا الفرنسي في ديوانه الذي جمعه صديقه الشيخ حسن العطار ، ص ٣٥٠ ، ولكن تحت هذا العنوان : « وقال يصف غلاما في حلة سوداء مرصعة » .

(١) الجبرتي : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٤٤ — ١٤٥ ؛ ج ٤ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .

أول صحيفة عربية صدرت فى الشرق ، قال جورجى زيدان فى الجزء الرابع من كتابه « تاريخ اللغة العربية » :

« إن هذه النشرة التى كان يدونها الخشاب وتطبع ثم توزع على الجنود تشبه أن تكون أول جريدة عربية رسمية ، ولكنها عسكرية . . »(١) .

ثم قال فى نفس المرجع إن الفرنسيين أنشأوا فى مصر « ديواناً للقضايا كان يصدر صحيفة اسمها « التنبيه » يشرون فيها ما يجرى فيه ، ويفرقونها على العمال ، وكان يحررها السيد اسماعيل الخشاب ، فهى كالصحيفة العسكرية القضائية »(٢) .

وقال شيخو استنتاجاً من نص الجبرتى : « فهذه كما ترى جريدة يومية ، وهى أول جريدة ظهرت فى العربية »(٣) .

والذى تذكره المراجع الفرنسية أن الجنرال مينو أصدر مرسوماً فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٠٠ بإنشاء جريدة عربية اسمها التنبيه(٤) "L'Avertissment" واختار السيد إسماعيل الخشاب

---

(١) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ح ٤ ، ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٢ :

(٣) لويس شيخو : آداب اللغة العربية فى القرن ١٩ ، ج ١ ، ص ١٥ — ١٦ .

(٤) Roussau : *Kleber et Menou en Egypte.* p. 375-377.

وانظر أيضا :

Riganlt : *Le General Abdalla Menou et la Dernière Phase de l'Expedition d'Egypte.* P. 161.

ليكون رئيساً لتحريرها ، وذلك تحت إشراف أعضاء الديوان من العلماء ، ويكون من أغراضها البحث فى أعمال الديوان وأعمال الحكومة الفرنسية ، ونشر الأخبار الداخلية والخارجية ، وبعض المقالات فى الفنون والعلوم والأخلاق ... الخ .

« على أن الآمال التى علقت على ظهور التنبيه لم تتحقق ، إذ أن الظروف السياسية واضطراب الأمن كل ذلك حال دون ظهور الجريدة ، وبقى مرسوم إنشائها معطلا حتى جلا الفرنسيون عن مصر »(١) .

وقد ظل الخشاب يلى وظيفته هذه فى الديوان « ضحوة يومين فى الجمعة » طول عهد منيو حتى خرجت الحملة من مصر ، وذلك مقابل أجر شهرى قدره سبعة آلاف نصف فضة .

وواضح جداً من عبارة الجبرتى أن الخشاب لم يكن إلا كاتب الديوان أو مسجل مضبطته ، وإذ كانت هذه العناية بتدوين ما يقال فى الديوان جديدة وغريبة على الجبرتى فقد عللها بعناية القوم « بضبط الحوادث اليومية فى جميع دواوينهم » ، لأنهم كانوا « يجمعون المتفرق فى ملخص » ، ويوزعونه « فى جميع الجيش » ، ولا يعقل أن يوزع هذا الملخص فى جميع الجيش — الفرنسى طبعاً — باللغة العربية ، والصحيح أن هذا الملخص الذى كان

---

(١) (إبراهيم عبده : تاريخ الوقائع المصرية ، ص ٦) و (الشيال : تاريخ الترجمة فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية ، ص ٢٤ — ٢٩) .

يطبع وتوزع نسخ منه فى جميع الجيش حتى لمن كان فى الأرياف هو الصحيفة الفرنسية "Le Courier de L'Egypte" التى كانت تصدر كل خمسة أيام [١] ، والذى يعنينا أن نذكره هنا أن الشيخ إسماعيل الخشاب حاول أن يكتب تاريخاً لمصر فى هذه الحقبة من الزمن معتمداً على ما تحت يده من محاضر الديوان وسجلاته ، فاختار لنفسه بعض ما ورد فيها ، ولكن مصير هذا المشروع وهذه المختارات مجهول ، فنحن لا نكاد نسمع عنها إلا ما ذكره الجبرتى فى قوله : « فجمع (أى الخشاب) من ذلك عدة كراريس لا أدرى ما فعل بها » .

فهذا تاريخ لم يولد ولم يعد أن يكون مشروعاً أعد له إسماعيل الخشاب كراسات ضمنها الكثير من المادة والوثائق التى نقلها من مضابط الديوان وسجلاته ، ولو انه أتمه ، أولو أن هذه الكراسات بقيت ووصلتنا لأمدتنا بمادة غزيرة وثيقة عن تاريخ مصر فى عهد الحملة الفرنسية ، وعن الديوان الذى أنشأه الفرنسيون ، ومدى اختصاصه وأعماله وأثره فى حكم مصر والمصريين .

وللخشاب كتاب تاريخى آخر أرخ فيه لمصر فى القرن الثامن عشر ، وتوجد منه نسخة لا تزال مخطوطة فى المكتبة الأهلية

---

(١) إبراهيم عبده : المرجع السابق ، ص ٥ .

بباريس تحمل هذا العنوان « تاريخ حوادث وقعت بمصر من سنة ١١٢٠ (١٧٠٨ م) إلى دخول الفرنسيس »[١] .

ونستطيع أن نضيف إلى مدرسة الجبرتى مؤرخين آخرين ، أحدهما عالم من علماء الأزهر ، والثانى سورى مسيحى .

الشيخ خليل بن أحمد الرجبى :

أما الأول فهو الشيخ خليل بن أحمد الرجبى الشافعى ، ولم أعثر له على ترجمة توضح تاريخ حياته ، وإنما عثرت فى دار الكتب المصرية على مخطوطة من تأليفه عنوانها : « تاريخ محمد على باشا »[٢] ، وقد أرّخ فى هذا الكتاب لمصر فى عهد محمد على ، فتحدث عن إصلاحاته الداخلية وسياسته الخارجية ، وعن تطهير البلاد من ظلم الحكام وإخراجهم من البلاد المصرية ، وعن حروبه مع الوهابيين ، وتنظيمه للجيوش الحربية وغير ذلك ؛ وقد ألف هذا التاريخ تلبية لأمر الشيخ محمد بن أحمد العروسى[٣] شيخ الجامع الأزهر ، ورتبه على مقدمة وسبع مقالات وخاتمة .

---

(١) وتوجد فى المكتبة التيمورية بالقاهرة صور شمسية من هذا الكتاب تحت رقم ٢١٠٧ تاريخ .

(٢) مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٥٨٥ تاريخ .

(٣) انظر ترجمته فى (سليمان رصد : كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر ، القاهرة ١٣٢٠ هـ ، ص ١٣٧ — ١٣٨) و (على عبد الواحد وافى : لمحة فى تاريخ الأزهر ، القاهرة ١٩٣٦ ، ص ٩٠) .

ويعتقد البعض أن الشيخ خليلا الرجبى ألف هذا الكتاب ليغارض به تاريخ الجبرتى ، فقد انتقد الجبرتى بعض أعمال محمد على وإصلاحاته فى أكثر من موضع من تاريخه ، أما تاريخ الرجبى فكله تمجيد لمحمد على وتقريظ لأعماله(١) .

والذى نستطيع أن نقوله إن تاريخ الرجبى ألف بين سنتى ١٢٣٣ و ١٢٤٥ هـ (١٨١٧ و ١٨٢٩ م) ، فالسنة الأولى هى السنة التى تولى فيها الشيخ محمد العروسى مشيخة الأزهر ، والسنة الثانية هى السنة التى توفى فيها ، ولم يشر المؤلف فى أية صفحة من صفحات كتابه إلى أنه ألفه تنفيذاً لأمر محمد على أو للدفاع عنه ، أو ليعارض به تاريخ الجبرتى ، وإنما ذكر فى ديباجة كتابه أنه ألفه إجابة لرغبة الشيخ محمد بن أحمد العروسى — شيخ الجامع الأزهر — .

- **نقولا الترك :**

وأما المؤرخ السورى فهو نقولا الترك ، المؤرخ الثانى للحملة الفرنسية باللغة العربية — بعد الجبرتى — .

ولد فى دير القمر بلبنان سنة ١٧٦٣ ، وتوفى بها سنة ١٨٢٨ ، كان والده من القسطنطينية ، وارتحل إلى دير القمر حيث ولد له نقولا الذى نبغ فى الأدب شعراً ونثراً ، واتصل

---

(١) محمود الشرقاوى : مصر فى القرن الثامن عشر ، ج ١ ، ص ٣٢

بخدمة الأمير بشير الشهابي ، وله فيه مدائح كثيرة ، ثم سافر إلى مصر ، وقيل إن سيده أرسله إليها ليدرس عن كثب مدى ما ترمى إليـه أطماع الفرنسيين ، وفى مصر اتصل بالفرنسيين وترجم لهم [١] ، وقد ألف عن مشاهداته التى جمعها أثناء مقامه فى مصر [٢] كتابه الذى أرخ به للحملة الفرنسية ، وسماه : « ذكر تملك الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية » ، وقد ترجم هذا

---

(١) راجع : (سركيس : معجم المطبوعات العربية ، ص ٦٣٠ — ٦٣٢) و : (Huart : *Histoire de la-Litterature Arabe)* و (شيخو : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠ و ١٨ — ١٩ و ٣٥ و ٣٦ — ٤٠ و ٥٥ و ٦٠) (El. Turk: *Histoire de l' Expedition des Francais en Egypte. Paris, 1839. Avertissement par Desgranges.* P.P. VII—VIII).

(٢) تذكر بعض المراجع أن نقولا الترك غادر مصر مع رجال الحملة الفرنسية أثناء خروجهم فى سنة ١٨٠١ ، والذى أرجحه أنا أنه لم يغادر مصر فى هذا التاريخ ، وإنما بقى فى دمياط حتى سنة ١٨٠٥ ، فقد جاء فى : (قرألى : السوريون فى مصر ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٨٧) أن القس أنطون مارون ذكر فى مذكراته الخاصة أنه كان « يرسل إلى رئيسه العام بدير اللويزة ، ما يفيض عن نفقته من منتوجات القطر المصرى وارداته ، تارة بواسطة الخواجا نقولا الترك الشاعر الكاتب الشهير لما سافر من مصر إلى دمياط وتوجه إلى بر الشام فى آب سنة ١٨٠٤ ، وكانون الأول سـنة ١٨٠٥ ، وطورا بواسطة يوسف عيروط فى دمياط ... الخ » ، وقد ورد فى سجل العماد لسـنة ١٨٠٥ بكنيسة دمياط الكاثوليكية اسم الطفل « ميخائيل الترك » فلعله ابن رزقه نقولا . انظر (المرجع السابق ، ق ١ ، ص ١٣٣) .

الـكتاب إلى اللغة الفرنسية مسيو ديجرانج M. Desgranges ونشر النص العربى والترجمة فى باريس سنة ١٨٣٩ .

ويبدو أنه كان يوجد من هـذا التاريخ نص آخر أتم وأكمل من النص الذى ترجمه ديجرانج ، وقد ترجم كاردان Cardin قسما من هذا النص الـكامل وألحقه بالترجمة الفرنسية لعجائب الآثار للجبرتى ، وقد عثر الأستاذ جاستون ڤييت على نسخة من هذا النص الـكامل لتاريخ الترك وقد وصل فيها إلى حوادث سنة ١٨٠٤ ، فترجمه كله إلى اللغة الفرنسية ، ونشر النص العربى الـكامل والترجمة الفرنسية مع تعليقات وشروح قيمة[1] .

(١) نشر هذا الكتاب تحت هذا العنوان :

(مذكرات نقولا ترك ، نشرها وترجمها وعلق عليها جاستون ڤييت ، القاهرة ، مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، ١٩٥٠

Nicolas Turc : *Chronique d'Egypte* 1798,1804 *editée et traduite par Gaston Wiet. Le Caire* 1950.

— ٣ —

محمد على والتاريخ

رأينا كيف بدأت النهضة الجديدة فى ميدان التأليف التاريخى فى مصر فى نهاية القرن الثامن عشر على أيدى شيوخ من الأزهر برز منهم عبد الرحمن الجبرتى ، وأنها كانت نهضة تلقائية ظهرت مع تباشير النهضة الفكرية العامة التى كانت توشك على الظهور فى أواخر القرن الثامن عشر ، والتى ظهر من طلائعها الشيوخ الشبراوى ومرتضى الزبيدى وحسن العطار وإسماعيل الخشاب .

وفى أوائل القرن التاسع عشر ولى محمد على حكم مصر باختيار الشعب ، وظل يحكم مصر نحو نصف قرن (١٨٠٥ — ١٨٤٨) ، وبدأ منذ اللحظة الأولى سياسة إصلاحية جديدة تعتمد اعتماداً كبيراً على النقل عن الغرب ، ففتح كثيراً من المدارس الجديدة على النظام الأوربى ، وأرسل الكثيرين من الشبان المصريين فى بعثات إلى أوربا لتلقى العلوم الحديثة هناك ، وتخرج الطلاب من المدارس الجديدة ، وعاد المبعوثون من بعثاتهم ، وشارك هؤلاء وأولئك مشاركة فعالة جدية فى إقامة صرح النهضة التى بدأها محمد على .

ومع هذه النهضة العامة استمرت النهضة التاريخية التى بدأها الجبرتى فى طريقها ، ولكنها اتخذت سبيلا آخر ، وتأثرت بعوامل جديدة كثيرة .

اعتمدت الحركة العلمية الثقافية فى عصر محمد على اعتماداً كلياً على الترجمة ، وحركة التاريخ لم تشذ عن هذا الاتجاه ، فهى جزء من الحركة الثقافية العامة ، ولهذا فقد ترجم فى عصر محمد على — مع ما ترجم — عدد كبير من كتب التاريخ الأوربية .

وقد قام بترجمة هذه الكتب التاريخية عدد من موظفى الحكومة إجابة لرغبة محمد على نفسه ، فقد كان يحب أن يقرأ هذه التواريخ ويفيد منها ، وذلك أن محمد على كان يرى نفسه — وهو منشىء دولة جديدة وصاحب سياسة جديدة فى الحكم — فى حاجة إلى أن يقرأ ويدرس تراجم أمثاله من القواد والملوك ليفيد من خبرتهم وتجاربهم ، ويتجنب أخطاءهم .

قال محمد على مرة للدكتور بورنج Bowring فى حديث له : « لقد أخبرنى الكولونيل دوهامل C. Duhamel « أننى أصبح رجلا عظيما إذا أنا قرأت التاريخ وألممت بالألفاظ اللطيفة التى يمكن أن أعثر عليها فى الكتب ، ولكننى الآن لست رجل ألفاظ بل رجل أعمال » ، ثم عاد فقال فى نفس الحديث : « لقد نصحنى الكولونيل أن أدرس التاريخ لأتعلم منه الحكم ، ولكننى وصلت سناً لا تسمح

لى بدراسة التاريخ ، لقد كتب إلى ولدى يطلب تعليماتى عندما أحاطت به الصعاب ، غير أنى رأيت أن خير تعليمات هى أن أذهب إليه بنفسى ، وقد سافرت إلى يافا وأخضعت الفتنة حالا ، وهذا هو الحكم العملى »[١] .

هذه كانت خطة محمد على فى الحكم ، العمل لا الكلام ، غير أن تاريخه ينبئنا بأنه لم يهمل هذه النصيحة ، بل لقد أقبل على كتب التاريخ والتراجم ونظم الحكم بوازع أول من نفسه ، ووازع ثان من هذه النصائح التى كان يسديها إليه بعض أصدقائه من الأوربيين ، فترجمت له إلى اللغة التركية كتب فى سيرة النبى محمد ، وفى تاريخ الاسكندر ، ونابليون ، وكاترين ملكة روسيا ، وترجم له تاريخ إيطاليا ، وكتاب الأمير لميكافيللى ، ومقدمة ابن خلدون . . . الخ .

وفيما يلى بيان تفصيلى بما ترجم من هذه الكتب ، وقد ترجمها جميعاً موظفون يجيدون الفرنسية والتركية ، أو الفرنسية والعربية ، وهم مجموعة عجيبة ، فيهم السورى واليونانى والتركى[٢] ، وبعض هذه الكتب طبع والبعض الآخر لا يزال مخطوطاً :

---

(١) Bowring: *Report on Egypt and Candia*, P. 145.

(٢) يبدو أن محمد على كان قد أنشأ فى القلعة غرفة للترجمة تترجم له خاصة ما يأمر بترجمته ، وأن معظم هذه الكتب التى نذكرها ترجمت فى هذه الغرفة ، أما أعضاء هذه الغرفة فهم المترجمون المذكورون إلى جانب =

١ — ترجمة مظهر التقديس بخروج الفرنسيس ، تأليف المؤرخ المصرى الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ، ترجمه عن العربية إلى التركية السيد أحمد عاصم أفندى ، وفرغ من ترجمته فى غرة ربيع الأول سنة ١٢٢٥ هـ (١٨١٠) ، ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً[1] فى دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٨٨٥٤ .

٢ — الأمير فى علم التاريخ والسياسة والتدبير ، تأليف مكياڤللى ، ترجمه عن الإيطالية إلى العربية الأب رفاييل أنطون زاخور ، ولا تزال نسخته المخطوطة — بخط المترجم — محفوظة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٤٣٥ تاريخ . وقد فصلنا الكلام عن هذا الكتاب ، وعن ترجمته مرة ثانية إلى اللغة التركية ، وعن رأى محمد على فى الكتاب ، وعمن أشار عليه بترجمة الكتاب وقراءته فى فصل خاص من فصول كتابنا « تاريخ الترجمة والحركة

= هذه الكتب ، يؤيد ترجيحنا هذا رواية رحالة إنجليزى معاصر زار هذه الغرفة بالقلعة وذكر أسماء هؤلاء المترجمين ؛ هذا الرحالة هو سانت چون Saint John ، فقد قال فى كتابه *Egypt and Mohemed Ali. VI P.* 127 - 129 أنه زار فى القلعة غرفة كانت بها لجنة تقوم بترجمة بعض الأوراق والكتب ، وذكر من أسماء المترجمين بها : Kalvagi (هو چاكو ڤاكى أرجيرو بولو مترجم قترينه تاريخى إلى اللغة التركية) و Artauin Effendi, (هو أرتين أفندى) ,Yaussoufi Effendi و Stephan Effendi (هو أسطفان أفندى) .

(١) انظر فهرس الكتب التركية المحفوظة بدار الكتب المصرية .

الثقافية فى عصر محمد على »(١)، وذكرنا فى ذلك الفصل أن محمد على أمر بهذه المناسبة فترجمت له مقدمة ابن خلدون إلى اللغة التركية ليقارن بينها وبين كتاب الأمير .

٣ — « التلخيصات المتعلقة بتدبير أمور سلطنة الدولة العثمانية » تأليف الأمير قوچه مصطفى بك الكورجه لى ، فاتح بغداد . ومن أصحاب السلطان مراد خان الرابع ، ألفها وقدمها له حينما وقع الاختلال وظهرت الفتن فى أوائل سلطنته ، ترجمه عن التركية إلى اللغة العربية عبد الله أفندى عزيز بن خليل الكاتب والمترجم بديوان الخديوى باسكندرية ، وكتب له مقدمة فى صورة « عرض حال » ورفعها إلى محمد على باشا ، أتم ترجمته فى سنة ١٢٤١ (١٨٢٥) ، ولا زال هذا الكتاب مخطوطاً ومعه الأصل التركى فى دار الكتب المصرية بالقاهرة .

---

(١) جمال الدين الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على » ص ٨٠ — ٨٢ وراجع أيضا :

Maria Nallino: *Interno a Due Tradusioni Arabe Del "Principe" Del Machiavelli (Oriente Moderno, 1931*, P. 604 - 616).

Charles Bachatly: *Un Manuscrit Autographe de Don Raphael* (*Bulletin de l'Institut d' Egypte XIII*, 1931, P. 27)-35) *& Un Membre Orientel du Premier Institut d' Egypte-Don Raphael*-(1759 - 1831) *(Bulletin de l' Institut d' Egypte. t XVII*, 1934-1935. P. 237 - 260). St. John : *Egypt and Mohemed Ali, vol*, 2. P. 453-454.

٤ — قترنيهٔ تاريخى ، تأليف المؤرخ الفرنسى كاسترا ، وهو كتاب فى تاريخ الأمبراطورة كاترين الثانية ، وبه مقدمة قصيرة عن تاريخ روسيا ، ترجمه عن الفرنسية إلى التركية « چا كوقا كى أرجيربولو » الموظف والمترجم بالديوان الخديوى ، وقد طبع فى بولاق سنة ١٢٤٤ (١٨٢٩) ثم أعيد طبعه فى سنة ١٢٤٦ (١٨٣١) تحت عنوان : « ايكنجى قترنيهٔ نام روسية ايمبراتوريجه نك تاريخى » بعد أن راجعه وصححه سعد الله آمدى أفندى .

٥ — تاريخ نابليون بونابرته ، وهو مذكراته التى كتبها بنفسه حينما كان منفياً فى جزيرة سانت هيلانه ، ترجم عن الفرنسية إلى التركية وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٧ (١٨٣٢) ، ولم أعثر على اسم مترجمه .

٦ — ترجمهٔ سير الحلبى ، وهو ترجمة السيرة النبوية الحلبية المشهورة ، ترجمها عن العربية إلى التركية سعيد أحمد يلم ، وطبعت فى بولاق سنه ١٢٤٨ (١٨٣٨) .

٧ — ترجمة تاريخ دولة إيطاليا ، تأليف المؤرخ الإيطالى « بوتا » ترجمه إلى اللغة التركية عبد الله أفندى عزيز وحسن أفندى الكاتبان بالديوان الخديوى ، وطبع فى مطبعة سراى

الاسكندرية[1] سنة ١٢٤٩ (١٨٣٤) .

٨ — تاريخ نابليون بونابرته تأليف « الدوق دى روفيجو » ترجمه إلى التركية المترجمان السابقان ، وطبع فى مطبعة سراى الاسكندرية[2] سنة ١٢٤٩ (١٨٣٤) .

٩ — سفارت نامهٔ رفاعة بك . وهى رحلة رفاعة إلى باريس ، ترجمها عن العربية إلى التركية — بأمر من محمد على — المولى رستم أفندى بسيم العرضحالجى بالدائرة السنية الخديوية ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٥ (١٨٤٠) .

١٠ — شرح قصيدة البردة ، ترجمه عن العربية إلى التركية أحمد أفندى مصطفى ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٦ (١٨٤١) .

هذه هى الكتب التاريخية التى ترجمت فى عصر محمد على

---

(١) و (٢) يبدو أن هذين الكتابين ترجما تحقيقا لرغبة إبراهيم باشا ، والدافع لترجمتهما واضح ، فقد ترجما فى ١٢٤٨ (١٨٣٣) والحرب السورية الأولى على وشك الانتهاء . كتب حسن أفندى إلى إبراهيم باشا فى ٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٥١ يذكر له أنه أنجز الباقى من ترجمة تاريخ إيطاليا (عابدين ، محفظة ٢٥٢ رقم ٢٠) ، وفى ٢١ رمضان ١٢٤٨ كتب إبراهيم باشا إلى سامى بك يوصيه أن يأمر عزيز أفندى القائم على طبع تاريخ نابليون بالجد والنشاط لإخراج الأجزاء الباقية (عابدين محفظة ٢٤٣ رقم ١٥٣ مكرر) ، وفى ٨ شوال ١٢٤٨ أرسل زكى أفندى إلى إبراهيم باشا بما يفيد أنه بعث إليه ثلاثة أجزاء أخرى من تاريخ نابليون الذى طبع حديثا بمعرفة عزيز أفندى (عابدين دفتر ٤٠١ ، وتحت الرقم ٤٠٢ إشارة إلى أن حسن أفندى التاتار نقل هذا الكتاب إلى العربية . انظر أيضا عابدين محفظة ٢٤٧ رقم ١٩٦ بتاريخ ١٣ ربيع الآخر ١٢٤٩) .

وبأمره إلى اللغة التركية تبين فى وضوح اتجاهه نحو تثقيف نفسه ثقافة تاريخية واسعة ، ونستطيع أن نضيف إليها ما ترجمه خريجو مدرسة الألسن إلى اللغة العربية من كتب فى تاريخ أوربا فى عصورها المختلفة ، وتاريخ فرنسا وبطرس الأكبر (وسنتحدث عنها بالتفصيل فيما بعد) فما لا شك فيه أن كثيراً من هذه الكتب كانت تقرأ لمحمد على أو تعرض عليه فيقرأها قبل طبعها .

ونلاحظ أخيرا أن هذه الكتب جميعها ترجمت تحقيقاً لرغبات محمد على أو لرغبات ابنه إبراهيم ، ولولا هذه الرغبات ما ترجمت هذه الكتب ، ومما يلفت النظر أنه كثيراً ما كانت تتفق رغبة محمد على مع رغبة ابنه إبراهيم فى ترجمة كثير من هذه الكتب ، ففى ٢١ رمضان سنة ١٢٤٨ كتب إبراهيم باشا إلى والده يخبره أن مختار أفندى الدويدار كان قد ترجم « وصايا فردريك الأكبر إلى قواده » وهو فى باريس ، ويقترح الموافقة على طبعها[1] ، ومن العجيب أن هذا الكتاب كان واحداً من الكتب الأولى التى ترجمت فى عصر محمد على ، فقد ترجمه عن الفرنسية إلى التركية « شانى زاده محمد عطاء الله »[2] فى سنة ١٢٢٠ ، وأمر محمد على بطبعه فى مطبعة بولاق بعد إنشائها ، وليس فى مقدمة الكتاب

---

(١) عابدين دفتر ٢٤٣ ، رقم ٤٤ — ٤٦ .

(٢) ترجم هذا الكتاب تحت عنوان : « وصايا نامه سفرية » ، ويقع فى ١٤٥ صفحة من القطع الصغير .

أو خاتمته ما يبين السنة التى طبع فيها ، ولكننى أرجح أنه طبع حوالى سنة ١٨٢٢ أو ١٨٢٣ [١] . ولهذا كتب محمد على إلى ابنه فى ٨ شوال يخبره بأن هذا الكتاب سبق أن ترجم وطبع [٢] .

هذه الكتب التاريخية المترجمة إلى اللغة التركية أفادت محمد على حقاً ، كما أفادت ابنه إبراهيم وبعض القواد وكبار موظفى الحكومة من الأتراك أو ممن كانوا يعرفون اللغة التركية ، وقد تكون قررت أو وزعت على تلاميذ بعض المدارس التى كانت تدرس اللغة التركية ، ولكن أثرها مع هذا كان محدوداً ، فلم تنتشر بين المصريين ولم يقرأوها ، وإنما سيكون الأثر واضحاً وقوياً للكتب التاريخية التى ترجمها رفاعة الطهطاوى وتلاميذه فى مدرسة الألسن إلى اللغة العربية .

(١) انظر : الشيال : تاريخ الترجمة ، ص ١٦٢ — ١٦٣ .
(٢) عابدين دفتر ٢١٠ رقم ٤٠٤ .

— ٤ —

رفاعة الطهطاوى

ومدرسته

رفاعة رافع الطهطاوى [1] :

ولد رفاعة فى مدينة طهطا سنة ١٨٠١ ، وفيها تلقى علومه الأولى ، ثم أتم دراسته فى الأزهر ، ثم أرسل ليكون إماماً

---

(١) راجع ترجمته بالتفصيل فى المراجع الآتية :
— الشيال : رفاعة الطهطاوى ، مجموعة أعلام الإسلام ، القاهرة ١٩٤٥ .
— الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على ، القاهرة ١٩٥٢ .
— إبراهيم عبده : تاريخ الوقائع المصرية ، القاهرة ١٩٤٢ .
— إبراهيم عبده : أعلام الصحافة العربية ، القاهرة ١٩٤٤ .
— إبراهيم عبده . تطور الصحافة المصرية ، القاهرة ١٩٤٤ .
— أحمد أحمد بدوى : رفاعة الطهطاوى بك ، القاهرة ١٩٥٢ .
— أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، القاهرة ١٩٤٨ .
— أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، القاهرة ، ١٩٣٨ .
— أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر ، عصر عباس وسعيد وإسماعيل ، القاهرة ١٩٤٥ .

للبعثة العلمية التي أرسلها محمد علي إلى فرنسا في سنة ١٨٢٦ ، وهناك تخصص في دراسة اللغة الفرنسية ، وترجم كثيراً من الفصول والرسائل عن اللغة الفرنسية إلى العربية أثناء إقامته في باريس ، وأعد نفسه للاشتغال بالترجمة ، وخاصة ترجمة الكتب التاريخية والجغرافية .

وبعد خمس سنوات عاد إلى مصر فعين مترجماً في مدرسة

— أمين سامي : التعليم في مصر ، القاهرة ١٩١٧ .
— جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ، القاهرة ١٩٣٧ .
— جورجي زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، القاهرة ١٩٢٢ .
— صالح مجدي : حلية الزمن بمناقب خادم الوطن ، نشر الشيال ، القاهرة ١٩٥٨ .
— عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية في مصر ، عصر محمد علي ، القاهرة ١٩٣٠ .
— علي مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة ، ج ١٣ ، بولاق ١٣٠٥ هـ .
— عمر طوسون : البعثات العلمية في عهد محمد علي ، الإسكندرية ١٩٣٤ .
— لويس شيخو : الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، بيروت ١٩٢٦ .
— محمد حسين هيكل : تراجم مصرية وغربية ، القاهرة ١٩٢٩ .
— محمد الصادق حسين : رفاعة الطهطاوي ، مقال في السياسة الأسبوعية ، السنة الثانية ، العدد ٦٤ .
—Carra de Vaux: *Les Penseurs de l' Islam, Paris 1926.*
—Dunne (Heyworth): *Printing and Translations Under Muhammad Ali of Egypt. J.R.A.S. part III. july* 1940. P.P. 243-259.



رفاعة رافع الطهطاوى

الطب بالقاهرة ، ثم نقل بعد سنتين مترجماً بمدرسة الطوبجية فترجم بعض الكتب الهندسية والجغرافية .

وقد شغف رفاعة أثناء وجوده فى باريس بدراسة العلوم الإنسانية بوجه عام ، وعلمى التاريخ والجغرافيا بوجه خاص ، ولهذا ترجم بعض الرسائل التاريخية والجغرافية(١) أثناء دراسته فى العاصمة الفرنسية ، ويبدو أنه — بعد إتمام دراسته وعودته إلى مصر — عقد العزم على أن يفرغ لترجمة الكتب الفرنسية فى هذين العلمين ، فإنه يقول فى رحلته : « وإن شاء الله تعالى يصير التاريخ على اختلافه منقولاً عن الفرنسية إلى لغتنا ، وبالجملة فقد تكفلنا بترجمة علمى التاريخ والجغرافيا بمصر السعيدة ، بمشيئته تعالى » .

ولهذا بادر رفاعة أثناء قيامه بوظيفة مترجم فى مدرسة الطوبجية بإنشاء مدرسة خاصة لتدريس هذين العلمين ، وستكون هذه المدرسة النواة الأولى لمدرسة الألسن التى ستنشأ فيما بعد .

مدرسة التاريخ والجغرافيا :

ولم نشر المراجع التى كتبت عن تاريخ التعليم فى عصر محمد على إلى هذه المدرسة ، ولكن بعض وثائق العصر أشارت إلى وجودها ، فقد صدر أمر من محمد على إلى ناظر الجهادية فى ١٤

---

(١) راجع الشيال : رفاعة الطهطاوى ، ص ٢٧ — ٢٨ .

جمادى الآخرة سنة ١٢٥١ (قبيل إنشاء مدرسة الألسن) «بتعيين «عبده» مدرساً للجغرافيا بمكتب النبادة بدمياط ، وهو من ضمن الأربعة التمميين السابق إرسالهم لطرة للقيام بتدريس (يقصد بتعليم) الجغرافيا بمدرستها ، وهم من الذين رباهم الشيخ رفاعة وإرسال ١٠ شبان للشيخ لتربيتهم» .

وهذه كما يتضح من نص الأمر السابق لم تكن مدرسة بالمعنى الصحيح ، ولكنها لم تعد أن تكون فصلا ملحقاً بمدرسة المدفعية خصص لتعليم بعض الطلبة علم الجغرافيا ، ليتخرجوا مدرسين لهذا العلم فى المدارس الحربية الأخرى ، غير أن رفاعة يسمى هذا الفصل بالمدرسة ، ويذكر أنها أنشئت بموافقة « مشورة الجهادية » لتعليم الجغرافيا والتاريخ ، لا الجغرافيا وحدها ، وقد أشار إلى هذه المدرسة فى مقدمة الكتاب الجغرافى الذى ترجمه بعنوان : « التعريبات الشافية » ، قال : « لما سمحت مشورة الجهادية ، ذات الآراء السنية الذكية ، أن أفتح لفنون الجغرافيا والتاريخ مدرسة تكون على قراءة هذه العلوم مؤسسة ، لتشتهر ثمراتها الزاهرة . . أخذت عدة تلامذة لهذا المغنى الممدوح وتوجهت بالقلب والقالب لتعليمهم بصدر مشروح ، وليس بيدى من كتب الجغرافيا شىء باللغة العربية يحتوى على التفصيل والترتيب على نسق ما فى الكتب الأفرنجية ، فلهذا اعتمدت

كتاباً موجزاً فى هذا الفن النفيس ، موضوعاً لدارس مبادئ العلوم بمدينة باريس ، وشرعت فى ترجمته درساً بعد درس لهذا القصد حتى لا يضيع السعى ولا يخيب الجد ، ولما رأيت أن مؤلفه أطنب فى أوربا لسكونها وطنه ، وأوجز فى غيرها حيث لم تكن داره ولا سكنه ، فبهذا الوصف لا يكون لنا كافياً ، ولا لغليل المتطلعين إليه شافياً ، وكنت اطلعت على غيره من كتب العلوم الجغرافية ، ومارست كثيراً منها ، وراعيتها حق رعايتها مدة إقامتى بمملكة الفرنساوية ، وأردت أن أتمم المرام بتلخيص ما يناسب المقام ، حتى تحصل الموازاة والموازنة ، والمعادلة والمقارنة . . » إلى أن قال : « . . وإن شاء الله يترجم من اللغة العربية إلى التركية حتى تكون ثمرته عامة جلية . . الخ » .

لم يقنع رفاعة بهذا الفصل أو بهذه المدرسة « كما يحب أن يسميها » فقد كانت له أهداف كبرى ترمى إلى نقل « التاريخ على اختلافه » عن الفرنسية إلى العربية ، فتقدم بعد قليل إلى محمد على يقترح إنشاء مدرسة أخرى لتعليم اللغات ، ووافق هذا الاقتراح هوى فى نفس محمد على ، فقد كان يريد ترجمة عدد كبير من الكتب الأروبية فى مختلف العلوم والفنون[1] ليستعين بها الطلاب فى مدارسه الجديدة ، وكان يعوزه فى مصر وجود

(١) راجع الشيال : رفاعة الطهطاوى ، ص ٤٠ = ٥٢ .

المترجمين الذين يتقنون اللغات الأوربية ليقوموا بهذه المهمة ، فأسرع بالموافقة ، وأنشئت مدرسة الألسن فى أوائل سنة ١٢٥١ (١٨٣٥) ، وعين رفاعة ناظراً لها ، وفى أوائل سنة ١٢٥٨ (١٨٤١) أنشئ قلم للترجمة[١] وألحق بالمدرسة ، وعين فيه خريجوها ليقوموا بترجمة الكتب التى تطلب الحكومة ترجمتها .

وسوف لا أتحدث هنا بالتفصيل عن هذه المدرسة وهذا القلم وعن جهودهما[٢] ، وإنما أحب أن ألفت النظر هنا إلى نقطة هامة لها اتصال وثيق بموضوع بحثنا هذا ، ذلك أن التاريخ اعترف به كعلم لأول مرة فى تاريخ التعليم فى مصر الإسلامية ، وجعل لأول مرة مادة من مواد الدراسة فى مدرسة الألسن ، وعين له مدرس خاص لتدريسه ، ولسنا نعرف أن التاريخ كان علماً يدرس فى المساجد أو المدارس فى مصر أو غيرها من أقطار العالم الإسلامى .

حقيقة لقد نبغ كثيرون من علماء المسلمين فى التاريخ وألفوا فيه مئات الكتب التاريخية الهامة ، بل لقد نضجت الدراسات التاريخية نضوجاً واضحاً ووصلت فى تطورها إلى مرحلة هامة حاسمة فى القرن الخامس عشر الميلادى ، فوضع ابن خلدون فى مفتتح هذا القرن مقدمته التى فلسف فيها التاريخ وحاول فيها لأول مرة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥ — ٥٦ .

(٢) فصلت هذا الحديث فى كتابين لى هما : « تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على » و « رفاعة الطهطاوى » .

أن يبين أثر العوامل الجغرافية والجو والبيئة فى أخلاق الشعوب وثرواتهم ، وفى العمران ، وفى تطور التاريخ بوجه عام .

وفى نهاية هذا القرن وضع السخاوى كتابه « الإعلان بالتوبيخ[1] » الذى حاول فيه أن يؤرخ للتاريخ فى العالم الإسلامى .

وحقيقة كان بعض المؤرخين يقرأ كتبه التاريخية لتلاميذه أو يجيزهم لرواية هذه الكتب عنه ، ولكن هذه الجهود كلها كانت جهوداً شخصية تسير فى نطاق الهواية الفردية الحرة بعيداً عن معاهد العلم ومدارسه ، ولم نعثر على نص أو إشارة تفيد اعتراف مدرسة من هذه المدارس بالتاريخ كعلم ، أو تضعه بين مناهجها ، ولم نسمع عن أستاذ تفرغ فى مدرسة من هذه المدارس أو عين لتدريس التاريخ ؛ ولم تكن مصر ولم يكن العالم الإسلامى بدعا فى هذا ، فقد كان هذا هو المتبع فى أوربا إلى نفس الوقت تقريباً ، لقد ظهر فى أوربا فى العصور الوسطى وفى عصر النهضة عدد من المؤرخين ، ولكن التاريخ لم يعترف به كعلم ولم يكن يدرس فى الجامعات الأوربية إلى أواسط القرن الثامن عشر ، وكان الملك جورج الأول أول من أنشأ كرسياً للتاريخ الحديث

---

(١) انظر : (السخاوى : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) ، (Rosenthal: *A History of Muslim Historiography.*, Leiden 1952)

بكل من جامعتى أوكسفورد وكمبردج فى أواسط القرن الثامن عشر ، غير أن الأستاذ جوش يقول : « ولكن الأساتذة الذين تولوا هذا الكرسى — ومن بينهم الشاعر جراى Gray — لم يحاضروا البتة أو قل أن حاضروا فى هذا العلم »(١) ؛ وكذلك لم تعترف فرنسا بالتاريخ كعلم إلا فى سنة ١٧٦٩ عند ما أنشئ فى الكوليج دى فرانس Collége de France كرسى للتاريخ والأخلاق .

ولا نستطيع أن نقول إن شيئاً كهذا حدث فى مدرسة الألسن فى مصر ، فلم ينشأ بها كرسى للتاريخ إذ لم تكن جامعة بالمعنى المعروف فى أوربا ، ولم يعين أستاذ خاص لتدريس التاريخ بها ، وإنما الذى نحب أن نقرره أن الحكومة المصرية اعترفت لأول مرة بالتاريخ والجغرافيا كعلمين يدرسان فى مدارسها الحديثة ؛ بل لقد كان الاعتراف بالجغرافيا أوضح وأقوى من الاعتراف بالتاريخ ، فكانت الجغرافيا مادة تدرس فى المدارس الابتدائية(٢) الحديثة ، ولم تعترف مناهج هذه المدارس بالتاريخ ، وإنما اعترفت به مناهج المدارس التجهيزية ، وكان تلاميذ السنة الثالثة يدرسون النصف الأول من كتاب الجغرافيا ومن كتاب تاريخ

---

(١) Gooche: *History and Historians in the 19 th Century*, P. 12.

(٢) المصدر السابق ص ١٧٧ .

القدماء تأليف رفاعة أفندى ، وكان تلاميذ السنة الرابعة يدرسون النصف الثانى من هذين الكتابين[1] .

وعمل رفاعة على تدريس التاريخ فى مدرسة التاريخ والجغرافيا التى أنشأها بعد عودته من البعثة ، ولما أنشئت مدرسة الألسن لم يكن التاريخ يدرس بها فى أول سنة ، ولكن لجنة الامتحان اقترحت فى نهاية هذه السنة الأولى تدريس التاريخ بها « وأرسلت إلى أوربا لشراء كتب فرنسية فى الأدب والقصص والتاريخ[2] » .

مهما يكن من أمر فقد كانت هذه خطوة لها أهميتها الكبرى وكان الفضل الأكبر فيها لرفاعة ، ولم يقنع رفاعة بهذا فقد كانت له أهداف أكبر يريد تحقيقها لتدعيم دراسة التاريخ ولتدعيم حركة التأليف التاريخية فى مصر الحديثة .

ولقد كانت جهوده كلها موجهة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر لترجمة الكتب التاريخية ، ولتزويد المكتبة العربية بمجموعة من الكتب المعربة تغطى تاريخ العالم بقدر الإمكان ، وقد عمل فى هذا الميدان رائداً يحيط به ويساعده جماعة من نوابغ تلاميذه خريجى مدرسة الألسن .

أما فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر (وخاصة فى

---

(١) احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، ص ٢٢٩ (نقلا عن وثائق عابدين) .

(٢) المصدر السابق ص ٣٣٣ .

عصر إسماعيل) فقد خطا رفاعة الخطوة الثانية الطبيعية ، وبدأ يؤلف فى التاريخ ، وفى تاريخ مصر بالذات .

عاشت مدرسة الألسن نحو الخمسة عشر عاماً بدأت تسيطر فيها على شئون الثقافة العامة فى مصر ، وأنتجت فى إبانها الإنتاج العلمى الوفير ، ويبدو أن رفاعة كان يراعى رغبات الوالى وحاجات الحكومة والمدارس عند اختيار الكتب التى تترجم ، ولكنه كان يتخير الكتب التاريخية تبعاً لخطة رسمها لنفسه ، فإنه يتضح من مراجعة هذه الكتب أنه كان يريد أن يترجم كتباً مختلفة تغطى تاريخ العالم منذ أقدم العصور حتى أحدثها ، وإن كان تاريخ فرنسا قد حظى منه بعناية خاصة ، فقد ترجم فيه أكثر من كتاب ، ولعل هذا راجع لثقافة رفاعة الفرنسية ، أو للعلاقات التى كانت تربط بين مصر وفرنسا منذ نزلت بأراضيها الحملة ، أو لاستعانة محمد على بالفرنسيين فى إصلاحاته إيثاره إيفاد معظم البعثات إليها .

وقد عنى رفاعة بعلم التاريخ هذه العناية ، وعهد إلى تلاميذه بترجمة الكتب الكثيرة فيه لأسباب متعددة ، أولها ميله الخاص وثانيها وأهمها ما كان يحسه من شغف محمد على الشديد بدراسة حوادث الأمم وتراجم عظماء الرجال .

بدأ رفاعة بتنفيذ هذه الخطة ، فاختار كتاباً فى تاريخ الدول والشعوب القديمة من مصريين وسريانيين وبابليين وأكراد

وفرس ويونانيين . . إلخ ، وعهد إلى تلاميذه فى مدرسة الألسن بترجمته ، وسمى هذا الكتاب بعد تعريبه « بداية القدماء وهداية الحكماء » ، ولما كان هذا الكتاب فى أصله الفرنسى « ناقصاً فى تاريخ الخليقة والعرب ، وكان فى كتاب عماد الدين أبى الفدا سلطان حماة ما يفى بالأرب » فقد أضاف رفاعة إليه فصولا من هذا الكتاب « لكمال المطلوب وبلوغ المرغوب » .

والمطلوب والمرغوب — كما رجحنا — هو تغطية تاريخ العالم بسلسلة من الكتب ، ولهذا نراه لا يتقيد بنصوص المؤلفين عند الترجمة ، بل يبيح لنفسه إضافة أجزاء من كتب عربية قديمة ليكمل بها ما فى هذه الكتب من نقص ، وليحقق خطته التى رسمها لنفسه .

وكان هذا الكتاب أول كتاب تاريخى ترجمه مدرسة الألسن ، فقد طبع فى سنة ١٢٥٤ (١٨٣٩م) واشترك فى ترجمته ثلاثة من تلاميذ رفاعة هم : مصطفى الزرابى ومحمد عبد الرازق ، وعبد الله أبو السعود .

وبعد الفراغ من ترجمة هذا الكتاب فى تاريخ العالم القديم ، تخير رفاعة كتاباً آخر فى تاريخ العصور الوسطى ، وعهد لمصطفى الزرابى بترجمته ، فخرج كتاباً كبيراً فى جزئين ، وقدم له رفاعة بما يؤكد خطته التى زعمناها ، قال : « . . . يقول الفقير إلى الله تعالى رفاعة رافع ناظر مدرسة الألسن : هذه رسالة فى تاريخ

القرون المتوسطة تكملة لتاريخ القدماء الذى طبعه ولى النعم .. الخ »
وقد سمى هذا الكتاب : « قرة النفوس والعيون بسير ما توسط من القرون » .

تناول هذان الكتابان تاريخ العصور القديمة والمتوسطة ، وقد انقسم العالم فى العصور الحديثة إلى دول كثيرة مختلفة ، ولكل دولة تاريخها ، وقد عنى رفاعة بتاريخ فرنسا خاصة للأسباب المتقدم ذكرها ، فعهد إلى أحد النابغين من تلاميذه — أبى السعود أفندى — بترجمة كتاب « نظم اللآلىء فى السلوك فيمن حكم فرنسا من الملوك » ، فترجم وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٧ .

وبعد سنوات عهد إلى تلميذ آخر هو حسن قاسم بترجمة كتاب ثان فى تاريخ فرنسا من تأليف المؤرخ الفرنسى « مونيقورس » ، وطبعت الترجمة فى بولاق سنة ١٢٦٤ .

وقد عرف رفاعة أن محمد على يعنى عناية خاصة بدراسة سير أمثاله من الملوك والمصلحين ، والذين نهضوا بأممهم نهضات يذكرها التاريخ ، ولهذا اختار « تاريخ ملك من ملوك الفرنج تعلو همته بينهم على المريخ ، هو تاريخ بطرس الأكبر ، الذى فضله بين ممالك أوربا أشهر من أن يذكر »(١) ، وعهد إلى نابغ آخر من تلاميذه ومواطنيه — وهو أحمد عبيد الطهطاوى — بترجمته

(١) الروض الأزهر فى تاريخ بطرس الأكبر ، ص ٣ .

والكتاب من تأليف الفيلسوف الفرنسى المعروف ڤولتير .

ومن كتب التراجم التى عربها خريجو الألسن كذلك كتاب « مطالع شموس السير فى وقائع كارلوس الثانى عشر » — ملك السويد — ترجمه محمد مصطفى البياع « وكانت ترجمته بأوامر مدير المدارس، لا زال (مختاراً) لإبراز الدرر والنفائس [1] » .

ولما كان الكتاب يؤرخ لمملكة « أسوج » — السويد — حتى عهد كارلوس الثانى عشر ، فقد رأى المترجم أنه من المناسب أن يذيله « بتذييل لطيف يذكر فيه من حكمها بعده من الملوك إلى عهدنا هذا (طبع الكتاب سنة ١٢٥٧) على طريق الإيجاز ، لتعلم أحوال تلك البلاد الشمالية ، وتتم بذلك فائدة الكتاب » .

وقد انتخب المترجم هذا التذييل من « كتاب المؤلف راغوان فى أحوال القرن الثامن عشر »[2] .

هذه هى الخطة التى رسمها رفاعة لتزويد المكتبة العربية بعدد من الكتب يغطى تاريخ العالم فى عصوره القديمة والمتوسطة والحديثة ، قد عمل على تنفيذها بالاستعانة بنفر من تلاميذه خريجى الألسن .

وقد كان لهذه الخطوة أهمية كبرى فقد أصبح بين أيدى

---

(٢) مطالع شموس السير ، ص ٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٥ .

المثقفين المصريين وقراء العربية ولأول مرة مجموعة من الكتب التاريخية تؤرخ للعالم فى عصوره المختلفة تأريخاً علمياً صحيحاً ، وقبل هذا لم يعن المؤرخون المسلمون إلا بالتأريخ للعالم الإسلامى ولم يحاولوا أن يؤرخوا للعوالم أو للشعوب غير الإسلامية (١) تأريخاً خاصاً ، وما ذكروه عن بعض الدول والشعوب التى اتصلت بالعالم الإسلامى كالدولة البيزنطية ، أو الجمهوريات الإيطالية ، أو المسيحيين فى أسبانيا ووسط أوربا ، أو الفرنج المشتركين فى الحروب الصليبية لم يعد أن يكون شذرات أو فقرات أو فصولا قصيرة محدودة غير واضحة المعالم .

وأما ما كتبه المؤرخون المسلمون عن تاريخ العالم فى العصور القديمة فإنه ملىء بالخرافات ، ولكن هذه التواريخ التى ترجمها رفاعة وتلاميذه حملت إلى قراء العربية — للمرة الأولى — معلومات صحيحة وجديدة ، فقد عنيت أوربا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عناية خاصة بالبحوث الأثرية وكشف الأثريون عن كثير من المدن والآثار القديمة وألفت كتب كثيرة فى تاريخ

---

(١) B. Lewis: *Th Arabs in History. London* 1950. P. 164 to 165.

والترجمة العربية لهذا الكتاب : العرب فى التاريخ ، ترجمة نبيه أمين فارس ، ومحمود يوسف زايد ، بيروت ١٩٥٤ ، ص ٢٣٥ — ٢٣٦ .

الدول والحضارات القديمة بعد أن أفاد مؤلفوها كثيراً من الكشوف الأثرية .

ومما لا شك فيه أن هذه الكتب — رغم أنها مترجمة غير مؤلفة — كانت أقوى تأثيراً فى المجتمع المصرى من الكتب التاريخية التى ترجمت من قبل إلى اللغة التركية بأمر محمد على ، فقد ترجمت هذه إلى اللغة العربية وطبع من كل كتاب ألف نسخة ، وكان بعضها يقرأ أو يدرس فى المدارس الحديثة وخاصة مدرسة الألسن ، وأقبل على قراءتها عدد كبير من خريجى هذه المدرسة ؛ والمرجح أنها انتشرت أيضاً فى أوساط المتعلمين فى مصر والبلاد العربية ، والنتيجة الهامة لهذه الحركة فى رأيى أن المثقفين من قراء العربية بدأوا ينظرون إلى التاريخ نظرة إنسانية بعد أن كانوا ينظرون إليه — على ضوء المؤلفات التاريخية القديمة — نظرة محلية محدودة ، وبدأوا يعرفون أن هناك أمماً وشعوباً أخرى لها حضاراتها وثقافتها وتاريخها — وإن اختلفت عنهم فى الدين — .

وكان من الممكن أن تؤتى مدرسة الألسن ثماراً أنضج وأن تؤثر فى الثقافة العربية أثراً أقوى وأوضح لو أنها استمرت فى طريقها ، ولكن عباساً الأول لم يكد يلى عرش مصر (سنة ١٨٤٨) حتى أمر بإغلاق هذه المدرسة ، وأبعد رفاعة إلى السودان ليشرف على مدرسة إبتدائية أنشئت فى الخرطوم ، وشتت

تلاميذه ومعاونيه فى المصالح والإدارات الحكومية المختلفة .

ومات عباس فى ١٨٥٤ ، وخلفه سعيد ، فأعاد رفاعة إلى مصر ، ثم عينه ناظراً للمدرسة الحربية فى القلعة ، ولم ييأس رفاعة ، بل رحب بالمنصب الجديد ، وسعى حتى صبغ المدرسة بصبغة مدنية واضحة ، وأقحم الدراسات التى يتقنها ويميل إليها فى المنهاج إقحاماً ، فجعل دراسة اللغة العربية واجبة على الجميع ، وترك للتلاميذ حرية اختيار إحدى اللغتين الشرقيتين : الفارسية والتركية ، وإحدى اللغات الأوربية : الإنجليزية والفرنسية والألمانية .

وفى سنة ١٨٦٣ ولى إسماعيل عرش مصر ، وكان إسماعيل يرمى — من يوم أن تولى الحكم — إلى إصلاح القضاء فى مصر ليفل من حدة الأجانب ، ولهذا بدأ يعد العدة لهذا الإصلاح بوضع المشروعات لترجمة القوانين الفرنسية ، وإعداد المصريين الذين يصلحون لتولى مناصب القضاء الجديد ؛ ولترجمة القوانين أنشىء قلم الترجمة الجديد فى سنة ١٨٦٣ ، ولإعداد القضاة أنشئت مدرسة الألسن الجديدة فى سنة ١٨٦٨ .

وعين رفاعة ناظراً لقلم الترجمة ، فاختار معاونيه فى العمل جماعة من تلاميذه القدامى خريجى مدرسة الألسن القديمة هم : عبد الله السيد ، وصالح مجدى ، ومحمد قدرى ، ومحمد لاظ ، وعبد الله أبو السعود ، وبدأ رفاعة وتلاميذه بترجمة القانون الفرنسى (Code Napléon) .

ولكن رفاعة لم يكن يعنيه القانون فى كثير أو قليل ، وإنما كان يعنيه علم التاريخ ، ولهذا خطا فى عهد إسماعيل الخطوة الثانية الطبيعية ، وترك الترجمة وبدأ يؤلف فى علم التاريخ .

ومؤلفات رفاعة فى التاريخ تختلف عن ترجماته ، كما أنها تمثل فى رأيى مرحلة من مراحل تطور الدراسات التاريخية التى عرفتها أوربا ومرت بها فى القرن التاسع عشر ؛ فقد امتاز القرن التاسع عشر فى أوربا بميزتين هامتين ، إحداهما سياسية والثانية ثقافية ، أما الأولى فهى ظهور الثورات الشعبية وحركات التحرير والوحدة القومية ، وأما الثانية فهى حركة العناية بالآثار والحضارات القديمة والكشوف الأثرية التى ألقت كثيراً من الأضواء الجديدة على التاريخ القديم وعلى الحضارات المصرية والأشورية والبابلية واليونانية والرومانية .

وقد كان لهاتين الميزتين أو الظاهرتين أثرهما الواضح فى حركة التأليف التاريخى فى أوربا فى القرن التاسع عشر ؛ فعنى المؤرخون الأوربيون بنواحى التاريخ القومى ، وبدأ المؤرخون فى كل دولة من دول أوربا يضعون الكتب فى تاريخ بلادهم وقومهم ، وكان ذلك كله رد فعل للظاهرة الأولى ، كما أنهم بدأوا يفيدون من نتائج الكشوف الأثرية ويضعون المؤلفات الجديدة فى تاريخ الحضارات القديمة ، وكانت هذه الحركة صدى للظاهرة الثانية .

وكان لهاتين الظاهرتين أثرهما كذلك فى حركة التأليف التاريخى فى مصر فى هذا القرن ، وانعكس هذا الأثر فى جهود رفاعة وتلاميذه فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

حقيقة لم يدرك رفاعة ثورات المصريين على الحملة الفرنسية ، فقد ولد فى سنة ١٨٠١ ، وهى السنة التى جلت فيها الحملة عن مصر ، ولكنه سمع عنها الكثير ولا شك من أستاذه الشيخ حسن العطار ، وقرأ عنها الكثير فى كتابى الجبرتى : « عجائب الآثار » و « مظهر التقديس » ، ثم هو قرأ الكثير عن الثورة الفرنسية الكبرى أثناء دراسته فى باريس ، وترجم فصولا عنها فى الكتب التى ترجمها هو وتلاميذه فى تاريخ فرنسا ، ثم هو قد قرأ كثيراً من مؤلفات الكتاب الفرنسيين الذين مهدوا لقيام الثورة الفرنسية من أمثال روسو وفولتير ومونتسكيو ، بل لقد ترجم لمونتسكيو(١) ، واختار كتابين من كتب فولتير أحدهما فى تاريخ بطرس الأكبر ، والثانى فى تاريخ الرومان ليترجمهما اثنان من تلاميذه فى الألسن ، ورفاعة أخيراً شهد بنفسه ثورة سنة ١٨٣٠ فى فرنسا ، وترجم فى رحلته الدستور الفرنسى الذى وضعه لويس الثامن عشر ، وسماه « شرطة » La Charte .

لهذا كله اتجه رفاعة — عندما بدأ التأليف فى التاريخ —

---

(١) انظر الشيال : رفاعة الطهطاوى ، ص ٩٠ — ٩٢

اتجاها قومياً ، ووضع لنفسه خطة جديدة ترمى إلى وضع مؤلف ضخم متعدد الأجزاء فى تاريخ مصر منذ عهد الفراعنة إلى العصر الحديث .

وقد كان للجهود التى بذلها علماء الحملة الفرنسية فى مصر أثر جد واضح فى لفت الأنظار إلى الآثار المصرية القديمة وضرورة دراستها دراسة علمية سليمة ، فقد سجل رسامو الحملة وبوجه خاص البارون « دينون » فى كتاب وصف مصر مجموعة كبيرة من صور هذه الآثار المنتشرة فى أنحاء مصر من الإسكندرية إلى أسوان(١) ، وكانت هذه الصور رائعة ودقيقة ، ولهذا فقد لفتت أنظار العلماء والمؤرخين فى أوربا بعد نشر كتاب وصف مصر (١٨٠٩ — ١٨١٣) إلى ضرورة البحث والتنقيب عن هذه الآثار لدراستها دراسة علمية .

كذلك كان لعثور رجال الحملة على حجر رشيد أثر جد خطير ، فقد عكف العلماء بعد ذلك على قراءة ما عليه من نصوص ، إلى أن وفق العالم الفرنسى شامبليون فى فك رموز الكتابة الهيروغليفية ، وبهذا أمكن قراءة ما عثر عليه من نصوص على أوراق البردى وعلى المقابر والمعابد والآثار المصرية

(١) انظر : عبد المنعم أبو بكر : البحوث الأثرية وأثرها فى كتابة التاريخ القديم (المجلة التاريخية ، المجلد الخامس ، ١٩٥٦ ، ص ٣ — ٤٦)

المختلفة ، وكانت هذه النصوص هى المفتاح الذى قاد المؤرخين إلى التعرف على أصول الحضارة المصرية القديمة وأسرارها ، بعد أن ظلت قروناً طويلة وهى سر مغلق لا يعرف كنهه ، ويكفى أن نرجع إلى ما كتبه المؤرخون المصريون فى العصر الإسلامى عن بقايا هذه الآثار لنعرف إلى أى حد كانوا يجهلون بسائط هذا التاريخ ، ويرجع هذا الجهل إلى ضياع أصول اللغة المصرية القديمة وعدم وجود من يستطيع قراءة خطوطها المختلفة ، حتى لقد كان هؤلاء المؤرخون المصريون المسلمون يصفون النقوش التى توجد على الآثار فيقولون إنها مكتوبة « بالقلم المجهول » .

ثم أقبل الباحثون والمنقبون الأوربيون على الحفر وكشفوا عن كثير من الآثار المصرية القديمة ، وبدأ المؤرخون والأثريون أمثال ماريت وماسبيرو وبروكش وغيرهم يفيدون من نتائج هذه الكشوف فيكتبون تاريخ مصر القديم كتابة جديدة صحيحة إلى إلى حد كبير ، وكان لهذه الحركة أثرها فى رفاعة ، فهو عندما أراد أن يؤلف كتابه فى تاريخ مصر لم يبدأ بالفتح العربى ، أو بظهور الإسلام ، أو ببدء الخليقة كما كان يفعل سابقوه جميعاً من المؤرخين فى العصر الإسلامى ، بل بدأ بتاريخ مصر القديم وخصص الجزء الأول لتاريخ مصر فى عصور الفراعنة والبطالمة والرومان والبيزنطيين ، ووقف عند الفتح العربى ، وسماه « أنوار توفيق

الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى إسماعيل » لأنه قدمه للخديو إسماعيل ، وقد طبع هذا الجزء فى بولاق فى سنة ١٢٨٥ .

وهذا الجزء يعتبر بدءاً لمرحلة جديدة من مراحل فهم التاريخ المصرى . ، فقد كان المؤرخون المصريون فى العصر الإسلامى إذا عالجوا هذا التاريخ بخسوه حقه وأنقصوا من قدره ، لأنهم كانوا يجهلون حقائقه ، ولا يعرفون عنه إلا خليطاً من الخرافات والأباطيل، ولأن هـذا العصر فى نظرهم كان يمثل الوثنية القديمة التى كانت تعبد الأصنام من دون الله وتعترف بتعدد الآلهة . .

ولـكن رفاعة كان أول مؤرخ مصرى عرف تاريخ مصر القديم على حقيقته فى ضوء ما وصلت إليه الـكشوف الأثرية وما كتبه المؤرخون الأوربيون فى عصره ، وهو أول مؤرخ مصرى آمن بأمجاد هذا التاريخ المصرى الفرعونى القديم ، ولم يلعنه ولم ينقص من قدره ، بل أعلن اعتداده واعتزازه به حين كتب عنه ، فمصر فى رأيه أم الحضارات « ولم تسبقها أمة فى ميدان التمدنية ولا فى حومة تقنين القوانين وتشريع أحكام الأحكام المدنية ، ولم تجحد نعمة اقتباس علومها أمة ولا ملة ، ولا أنكرت الاستضاءة بنور نبراسها مملـكة عظيمة ولا دولة[١] » .

---

(١) أنوار توفيق الجليل ، ص ٥

ورفاعة يختلف فى فهمه للتاريخ المصرى عمن سبقه من المؤرخين المصريين اختلافاً واضحاً ، وذلك لأن معظم هؤلاء المؤرخين كانوا يفهمون هذا التاريخ فهماً مجزءاً ، فيكتبون عن تاريخ كل خليفة أو ملك على حدة ، ويؤرخون لكل سنة على حدة ، لذلك آثروا طريقة الحوليات عند كتابة تواريخهم ، وقليل منهم من استطاع أن ينظر النظرة الشاملة لتاريخ مصر فى جملته ، أو لتاريخ عصر برمته ، أو تاريخ خليفة أو ملك كوحدة قائمة بذاتها ، أما رفاعة فقد فهم التاريخ المصرى فهماً جديداً ، ونظر إليه نظرة شاملة ، وأدرك أنه تاريخ مستمر ، وأن الحضارة المصرية سلسلة متصلة الحلقات على العكس من بعض الحضارات القديمة الأخرى ، « فما اختصت به مصر من بين الممالك أن كل مملكة تستنير برهة ثم تنطفى ، وتشرق شمس بهجتها ثم تختفى ، فكأنما نورها شىء ما كان ، ولا لمع ضوؤها فى زمن من الأزمان ، وأما مصر فأغرب شىء من بقاء شمس سعدها وارتقاء كوكب مجدها أنها بقيت سبعين قرناً حافظة لمرتبتها العليا ، لها اليد البيضاء والسلطنة المعنوية على سائر ممالك الدنيا[1] » .

ثم هو يرى أن مصر لها تاريخ مجيد قديم عريق فى القدم ، يمتد بجذوره إلى الماضى السحيق ، إلى عصر الفراعين وما قبل

(١) المرجع السابق ، ص ٩

الفراعين ، وأن مصر كانت منذ هذا العصر البعيد ذات حضارة مزدهرة تشع أنوارها على العالم ، وأن هذه الحضارة بقيت شعلتها مضاءة خلال العصور جميعاً ، سواء أكانت هذه العصور عصور قوة واستقلال أم عصور ضعف وتبعية ، بل لقد فطن رفاعة إلى حقيقة واضحة ، وهى أن مصر عندما كانت تفقد استقلالها المادى كانت تظل حاملة لشعلة الحضارة ، وكانت تبز غيرها من الدول فى ميدان الفكر والعلم ، وكانت الدول الأخرى تفيد من نهضة مصر العلمية ؛ حدث هذا فى العصرين اليونانى والرومانى ، أما فى العصر الإسلامى فقد وقفت مصر تذود عن حماها وعن حمى الشرق الإسلامى ، فانتصرت على جيوش أوربا الصليبية أكثر من مرة ، وأسرت كبيراً من ملوك أوربا هو الملك لويس التاسع وأودعته سجونها إلى أن منّت عليه وعفت عنه وأطلقت سراحه .

فطن رفاعة إلى هذا كله وعبر عنه لأول مرة فى كتاب يكتب باللغة العربية ، قال فى المقدمة واصفاً أمجاد الحضارة المصرية ، وشارحاً فكرة استمرارها ، وأثرها فى جميع دول العالم : «فقد كانت (مصر) فى أيام الفراعنة أم أمم الدنيا ، وكانت شوكة سلاحها قوية ، وهيبتها فى القلوب متمكنة علية ، وفى أيام الإسكندر ومن بعده البطالسة ، وأزمان دولة الرومانيين القاهرة العابسة ، كانت مصر أيضاً رحيبة الدولة مهيبة الصولة ، كما انتقش فى سجايا قلوب الأمم

من نخارها ، وارتسم فى مرايا الملل من رفعة منارها ، فكانت إهابتها بالقوة المعنوية بقدر إهابتها أيام الفراعنة بالقوة الحسية ، أو ليس أن حكماء الاسكندرية وعلماءها وفلاسفتها اشتهروا بالعلوم العقلية لاسيما علم الأخلاق والعوائد ، وكثرت آراؤهم ومذاهبهم ، وأخذ عنهم الصادر والوارد ، والمتردد والوافد عموم المنافع والفوائد ، فتشعبت منها العلوم فى سائر معالم البلاد ، فتغيرت أحوال البلاد تغايير حثيثة ، ونشأ عنها صورة حوادث الأزمان الحديثة ، وكذلك فى القرون الوسطى المعلومة التى افتتاحها فتوح الإسلام لمصر فى حالة مفهومة ، تجدد فى مصر ما لا مزيد عليه من التقدمات والأهمية مما لا يكاد يوجد فى غيرها من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية ، إذ كانت قطب رحى ديار الإسلام ومركز دائرة شريعة خير الأنام ، فقد انتصر سلاطينها على ملوك الإفرنج ، وغلبوا الجم الغفير وهزموا الجند الكثير ، وظهروا عليهم فى جهاد أهل الصليب وخلصوا بلاد القدس وغيرها من أيديهم بتوطين النفس فى الحرب على الشدة والتصليب ، ولما ظهر ملك فرنسا بجهة دمياط والمنصورة ظهر عليه جند مصر فرجعت جيوشه مهزومة مقهورة ، وفادى بنفائس الأموال نفسه ، وعاد إلى بلاده . . . ومن سوابق هذه المخالطات الشرقية ، وعلائق التقدمات الأندلسية انتشر التمدن من المشرق إلى المغرب ، وأعظم الفضل لديار مصر فى انتشار

هذا التمدن المرقص المطرب . . »[١] .

هذا الفهم الجديد لتاريخ مصر ، وهذا التعبير الجديد عن هذا الفهم هو مظهر من مظاهر الإفاقة ، وظهور الوعى القومى الجديد ، وهو يختلف اختلافاً بيناً واضحاً عن فهم المؤرخين المصريين السابقين لتاريخ بلادهم .

وإنى أعتقد أن هذا الفهم الصحيح للتاريخ المصرى الذى بدأه رفاعة كان له أثره الواضح فى الأجيال التالية ، فقد استقر فى أذهان القادة والناس ، وظلت هذه النغمة تتردد على ألسنتهم وتعمل عملها فى إيقاظ أرواحهم أثناء جهادهم المتصل للحصول على الاستقلال فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، ولست أقول هذا القول افتراضاً ، بل هناك من الأدلة ما يثبته ، فقد طلب عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية وهو مختف فى مخبئه مجموعة من الكتب ليقرأها فى وحدته ، كان من بينها كتب رفاعة الطهطاوى ، وقد اتصل مصطفى كامل الزعيم الوطنى فى شبابه الأول بعبد الله النديم ، بعد أن عفا عنه الخديو وعاد إلى مصر ، وتأثر به وتتلمذ عليه ، ونحن لو درسنا الكثير من خطب ومقالات عبد الله النديم ومصطفى كامل وغيرهما ممن أتى بعدهما من الكتاب والزعماء الوطنيين دراسة مقارنة لتأكدت لدينا هذه الحقيقة ولوجدنا

---

(١) أنوار توفيق ، ص ٩ — ١٠

هؤلاء جميعاً يرددون هذا الفهم الحديد للتاريخ المصرى والذى عبر عنه رفاعة — كما قلنا — لأول مرة .

وقد بدأ رفاعة هذا الجزء بمقدمة فى جغرافية مصر ، تكلم فيها عن نهر النيل وفروعه وترعه ، وأهميته بالنسبة لمصر ، وأثره فى تاريخها وشعبها وحضارتها ، وختم هذه المقدمة بالكلام عن أحدث الكشوف الجغرافية التى تمت فى عهده ، فتحدث عن البعوث التى أرسلها محمد على للكشف عن منابع النيل ، وخص بالذكر البعثة التى قادها سليم قبودان ودرنود بك فى سنة ١٨٤١ التى سارت فى النيل الأبيض مسافة ٥٠٠ فرسخ جنوب الخرطوم ، ونقل النتائج التى وصلت إليها البعثة ، وقارن بينها وبين أقوال بطلميوس الجغرافى عن منابع النيل .

وبعد فراغه من هذه المقدمة تكلم عن تاريخ مصر فى عصور الفراعنة والبطالمة والرومان ثم فى العصر البيزنطى ، وقد ميز هذا العصر لانتشار المسيحية فيه ، ولهذا يسمى الدولة فى هذا العصر « دولة الروم العيسوية بمدينة القسطنطينية » .

وختم هذا الجزء بالفتح العربى لمصر ، ولهذا فقد جعل الفصل الأخير من كتابه خاصاً بالكلام عن العرب قبل الإسلام وعاداتهم ولغتهم وأسواقهم وآدابهم . . . الخ .

ورفاعة قد انتهج فى هذا الكتاب منهجاً علمياً ، فهو ينقل عن المراجع القديمة والحديثة ، العربية وغير العربية ، يقول رفاعة

عن المادة التى أتى بها فى كتابه : « واقتطفتها من الكتب العديدة ، ولستخرجتها من التواريخ القديمة والجديدة ، عربية كانت أو غير عربية » .

وهو لا ينقل عن هذه المراجع دون فهم ، بل هو يخضع كل قول للفحص والنقد ، ويقارن ما ينقله عن المراجع الأوربية — وخاصة المعلومات الجديدة عن تاريخ مصر القديم — بأقوال العرب أو اليونان القدامى ، فإذا اتفقت المراجع على شىء أخذ به ، وإذا اختلفت أخذ بالجديد الذى تؤيده الكشوف الأثرية والكتب التاريخية الحديثة . وكان حريصاً الحرص كله أن يستبعد دائماً كل ما شاب التاريخ المصرى القديم من شوائب الأباطيل والخرافات ، مما عتلى به كتابات المؤرخين القدماء ، وقد شرح رفاعة منهجه هذا فى مقدمته ، فقال إنه تجنب « الأقوال غير الموضوعية مما يظهر بعرضه على ميزان العقل أنه من محض الخرافات ، أو مما تولع به الأخباريون والقصاص من اختراع الأباطيل والخزعبلات ، أو مما توهمه أرباب الأوهام الفاسدة من العجائب التخيلية التى بدون فائدة ، إذ كثير من كتب السير مشحون بخوارق العادات . . . فلهذا اكتفيت بذكر جوامع الكلم فى هذا التاريخ النافع وبيان ما اشتمل عليه فيما يخص أزمان مصر ، مما يتعلق بالمدنية والعسكرية من الوقائع ، مع الإعراب عن صيغ المبانى والعوامل ، ورفع أعلام الفتوحات إلى فواعلها ، ونصب معالم الهيا كل

والإفصاح عما سلف من إبداع الفنون والصنائع ، واختراع وسائل عموم المنافع ووسايط المصانع ، مع ما يضاف إلى ذلك من ملاحظات اقتضاها الحال ، أو من إيقاظات تربط ما تأخر بما سبق وارتضاها المقال ، حيث أوجبها الكلام لدفع المنافاة بين العبارات السابقة واللاحقة ، أو للجمع بين الأقوال المختلفة لتصحيح التوفيق بينها والمصادقة ، فجاد هذا التاريخ بالنسبة لما سواه بشفاء الغليل ، لما احتوى عليه من اقتران المدلول بالدليل »[١] .

وهو ينص كثيراً على المؤرخين الذين ينقل عنهم ، ويغفل ذكرهم أحياناً فيقول : « قال المؤرخون » أو « قال بعض المؤرخين » ، ومن المؤرخين القدامى الذين ينقل عنهم : « هيرودوت » و « مانيتون » ، ولكنه لا يأخذ أقوالهم قضية مسلمة ، بل يخضعها للنقد ، ويقارن بينها وبين النتائج التي وصلت إليها الكشوف الأثرية الحديثة ، فهو يقول مثلا في ص ١٢٥ : « وأكثر مؤرخي اليونان المشهورين كانو أحياء في وقت هذه الواقعة فحكوها على ما ينبغي ، إلا أنهم وإن اتفقوا في الوقائع فقد اختلفوا في الأزمان والتواريخ ، وأصح حكايتهم في هذا المعنى كلام مانطون ، حيث يشهد له ما وجد في المباني المصرية مما يوافقه . . إلخ .

---

(١) المقدمة ، ص ٩

ويقول عند كلامه عن بختنصر الثانى :

« وقد ذكرنا سبب مجيئه فى مصر وحقيقته ، وبينا أنه هو الصحيح ، وقد نقل مؤرخو اليونان فى شأن ذلك أقاويل مطروقة للعامة مما يخترعه الحكويون من النوادر التى لايليق بمنصب المؤرخ ذكرها واعتمادها . . »

ومن المراجع العربية التى أشار إليها : فتوح مصر لابن عبد الحكم ، ومروج الذهب للمسعودى ، والخطط للمقريزى ، والشفا للقاضى عياض ، وصحيح الإمام مسلم ، والأوائل للسيوطى . . الخ

ومعظم مادة هذا الكتاب مأخوذة عن المصادر الفرنسية ، وقد أشار رفاعة إلى « قاموس مشاهير الرجال الفرنساوى[1] » ، وإلى ماريت باشا[2] .

وقد كان لكتاب « أنوار توفيق الجليل » قيمته ومكانته فى الوقت الذى ألف فيه وبعده بقليل ، ولكنه الآن لم تعد له قيمة علمية ، فقد تغير كثير من الحقائق الواردة فيه بعد الكشوف الأثرية الضخمة وبعد ظهور عشرات بل مئات المؤلفات التى كتبت فى القرن العشرين عن تاريخ مصر القديم بعصوره المختلفة ،

---

(١) ص ٩٠

(٢) ص ١٠٧

وبقيت للكتاب بعد ذلك هذه الدلالة التى أشرنا إليها على تطور حركة التأليف التاريخى فى مصر على يد رفاعة رافع الطهطاوى فى القرن التاسع عشر .

وقد رأى رفاعة قبل أن يؤرخ لمصر فى العصر الإسلامى أن يقف وقفة طويلة فيؤرخ للرسول عليه السلام ، ويكتب سيرة له جديدة يلتزم فى كتابتها المنهج العلمى المعترف به لكتابة التاريخ فى عصره ، وقد كتبت فى سيرة الرسول كتب كثيرة ، كانت آخرها السيرة التى كتبها المؤرخ المصرى الكبير تقى الدين المقريزى حوالى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى تحت عنوان « إمتاع الأسماع بما للرسول من خولة وحفدة ومتاع » .

ثم سكتت أقلام المؤرخين المصريين منذ ذلك الوقت إلى أن كتب رفاعة هذه السيرة الجديدة ، ولم يحاول أحد من المصريين بعد رفاعة أن يكتب سيرة جديدة للرسول إلى أن كتب الدكتور محمد حسين هيكل « حياة محمد » حوالى سنة ١٩٣٥ .

وجعل رفاعة هذه السيرة الجزء الثانى فى كتابه الذى كان يزمع وضعه فى تاريخ مصر ، وسماها « نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز » ، وقد بدأ بنشره على حلقات فى مجلة روضة المدارس فى سنتها الثالثة ، ولكن المنية عاجلته قبل أن يتم طبعه فى مجلد مستقل ، وقد أشرف على إتمام هذا الطبع ابنه على فهمى

رفاعة ، وتم طبع الكتاب فى مطبعة المدارس الملكية سنة ١٢٩١ (١٨٧٤ م) .

وقد تتبع رفاعة فى هذا الكتاب حياة الرسول منذ مولده إلى وفاته ، فروى قصة حياته طفلا ويافعاً ورجلا وكهلا ، وتكلم عن البعثة وعن عهد الدعوة فى مكة ، ثم عن الهجرة وعهد تكوين الدولة فى المدينة ، وعن الغزوات ، ثم أفرد فصلا للحديث عن زوجات النبى ، وفصلا عن معجزاته وهكذا .

والجديد فى هذا الكتاب هو الفصل الأخير الذى أفرده رفاعة للتحدث عن نظام الحكومة فى عصر النبى ، فجمع الأقوال المختلفة المبعثرة فى كتب السيرة الأخرى ونظمها نظماً جديداً ، وكتب منها بحثه الجديد هذا ليدل على أن أسس الحكومة الإسلامية بفروعها المختلفة قد وضعت فى زمن النبى ، فتكلم عن الوزارة والحجابة والكتابة ، وعن إمارة الحج وكسوة الكعبة واستطرد فتكلم عن المحمل ، ثم تكلم عن نظم السفارات وعن الصلح والأمان ، وعن الجيش والعطاء والديوان ، وعن القضاء والشهود وكتابة الشروط والعقود ، وعن المواريث والحسبة والشرطة والجاسوسية والسجون ، وعن الجهاد وإمارة الحرب وصاحب اللواء وتقسيم الجيش إلى خمسة أقسام ، والسلاح وأنواعه على عهد الرسول ، وعن كل مايتصل بالحرب من إعداد للسفر

وتمهيد للطرق وحراستها ، وعن مواد المحاصرات كالمجانيق والدبابات والخنادق ، وعن صاحب المغانم والبشير الذى يرسل للبشارة بالفتح ، وعن السفن التي استعملت فى زمن الرسول .

ثم ينتقل إلى النظام المالى فيتحدث عن الجزية والخراج ، وصاحب المساحة والعامل على الزكاة ، وعن الأوقاف ، وعن صاحب المواريث والمستوفى والمشرف ، وعن صاحب بيت المال وخازن الطعام ، ثم يتكلم عن الأوزان والأكيال الشرعية المستعملة فى عهد الرسول ، وعن ضرب السكة .

ثم ينتقل إلى النواحى الاجتماعية فيتحدث عن المارستان والطب والرقية والفصد والكى ، ثم عن الحرف والصناعات التى كانت فى عهد رسول الله ، وعن التجارة وتوابعها .. الخ .. الخ

وهذا فصل له قيمة كبرى ولا يزال يحتفظ بقيمته حتى الآن بين الدراسات التى كتبت فى سيرة الرسول أو نظم الحكم الإسلامية بوجه عام ، ومن الواجب أن يلتفت إليه دارسو التاريخ الإسلامى ويفيدوا منه ، ولست أعرف أحداً كتب فى هذا الموضوع بعد رفاعة غير الكاتب المغربى عبد الحى الكتانى فى كتابه « التراتيب الإدارية فى عهد الرسول » .

وقد اعتمد رفاعة عند وضع هذا الكتاب على عدد كبير من كتب السيرة والتاريخ الإسلامى ، مما يدل على أنه كان واسع

الاطلاع وعلى معرفة وثيقة بالمكتبة التاريخية الإسلامية ، وهو لا ينقل عن هذه الكتب نقلا حرفياً كما كان يفعل سابقوه من المؤرخين ، بل يحسن الاختيار ، ويحسن عرض النصوص بعد أن يخضعها للنقد والفحص والمقارنة .

وعند هذا الجزء وقف قلم رفاعة فلم يكمل للأسف الشديد الأجزاء الباقية التي كان يزمع أن يؤرخ فيها لمصر في العصر الإسلامي ، وإن كان تلميذه صالح مجدى قد ذكر في ترجمته له أنه كتب قسما من تاريخ مصر في العصر الإسلامي وصل فيه إلى خلافة المطيع ، ولكننا لا نعرف شيئاً عن هذا القسم أو مصيره .

ولرفاعة غير هذين الكتابين فصول تاريخية لها قيمتها نجدها متناثرة في بعض كتبه الأخرى ، وخاصة في رحلته إلى باريس وفي : « مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية » و « المرشد الأمين في تهذيب البنات والبنين » .

معاصرو رفاعـــة

وقد عاصر رفاعة فى عصر محمد على عددٌ من شيوخ الأزهر الذين تتلمذوا على الشيخ حسن العطار وتأثروا به وأقبلوا على دراسات فيها شيء من التجديد ، من أمثال الشيخ إبراهيم الدسوقى ، والشيخ محمد عياد الطنطاوى ، والشيخ محمد عمر التونسى وغيرهم . ولم تتح لهؤلاء فرصة السفر إلى أوربا كما أتيحت لرفاعة ، ولكنهم ساهموا فى — معظمهم — فى خدمة حركة الترجمة على وجه آخر ، فشاركوا المترجمين فى مراجعة الترجمات وتصحيحها وتحريرها ، وقد أدوا للثقافة العربية خدمات كبيرة ، فقد كانوا ينبشون فى المراجع العربية اللغوية والعلمية القديمة للبحث عن المصطلحات العلمية العربية التى تقابل المصطلحات العلمية الأوربية .

وقد اتصل الشيخ إبراهيم الدسوقى بالمستشرق الإنجليزى المستر لين عند مجيئه إلى مصر وعاونه معاونة فعالة فى ترجمة القاموس المحيط إلى اللغة الإنجليزية .

واتصل الشيخ محمد عياد الطنطاوى بكثير من المستشرقين الذين كانوا يفدون إلى مصر فى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر ، وقد كان الشيخ الطنطاوى[1] من أوائل الشيوخ الذين

---

(١) الشيال : الدكتور برون والشيخان محمد عياد الطنطاوى ومحمد عمر التونسى ؛ مجلة كلية الآداب بجامعة اسكندرية ، العدد الثانى ، ١٩٤٤

حاولوا تدريس الأدب فى الأزهر فى أوائل عصر محمد على ، ثم سافر إلى روسيا حوالى سنة ١٨٤٠ ، وكان أول أستاذ مصرى أزهرى يعين لتدريس اللغة العربية فى جامعة بطرسبرج ، وظل مقيما هناك هو وروجه وابنه إلى أن توفى سنة ١٨٦١ ، ودفن فى مقابر المسلمين بمدينة لينتجراد ، وقد ألف أثناء مقامه فى روسيا عدداً من الكتب والرسائل معظمها فى النحو واللغة والقراءة ، وبعض منها يتصل بالتاريخ نخص بالذكر منها :

— مسودات فى تاريخ العرب .

— تاريخ روسيا وسماه « تحفة الأذكيا في أخبار بلاد روسيا » .

— رسالة عن الأعياد المصرية .

— قطعة من تاريخ حياته .

— أحسن النخب فى معرفة لسان العرب .

وهذه الكتب جميعاً مخطوطة لم يطبع منها إلا الكتاب الأخير ، فقد طبع فى ليبسك سنة ١٨٤٨ ، وقد ضمنه الطنطاوى بعض أخباره ، ونقل فيه بعض الرسائل التى تبودلت بينه وبين بعض أصدقائه فى مصر — وخاصة رفاعة الطهطاوى — بعد سفره إلى روسيا .

وأكثر هؤلاء المعاصرين اتصالاً بموضوعنا وبالدراسات التاريخية هو الشيخ محمد عمر التونسى ، وتاريخه عجيب : فهو تونسى

أصلاً ومولداً وإن كانت أمه مصرية ، وقد تلقى علومه فى الأزهر ثم سافر إلى السودان للبحث عن أبيه ، فالتقى به فى دارفور وأقام معه زمناً ، وتنقل فى أنحاء السودان ، وعاد إلى مصر فعين أول الأمر واعظاً فى الآلاى الثامن من المشاة ، وسافر معه إلى بلاد المورة ، وبعد عودته عين مصححاً للكتب الطبية التى تترجم فى مدرسة الطب المصرية ، واتصل هناك بصفة خاصة بالدكتور برون Dr. Perron مدير المدرسة ولازمه ، وقامت بين الرجلين صداقة متينة ، والدكتور برون هو الذى حرضه على تسجيل مشاهداته فى السودان ، فكتب كتابيه القيمين :

١ — رحلة دارفور المسماة « تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » ، وقد ترجمها إلى اللغة الفرنسية الدكتور برون ونشر النص العربى فى باريس سنة ١٨٥٠ ، ونشرت الترجمة الفرنسية فى سنة ١٨٥٥ .

٢ — رحلة وادّاى ، وقد كتبها أيضاً تنفيذاً لرغبة الدكتور برّون ، ولم ينشر النص العربى لهذه الرحلة حتى اليوم ، بل ولا يعلم مصيره ، فقد كان فى حوزة دكتور برون ، وإنما نشرت الترجمة الفرنسية التى قام بها برون أيضاً فى باريس سنة ١٨٥١ .

وهذان الكتابان يتضمنان — إلى جانب سيرة المؤلف نفسه الشيخ التونسى — الكثير من المعلومات التاريخية القيمة عن

بلاد السودان فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، ولا يزالان يعتبران حتى اليوم من المراجع الهامة عن تاريخ السودان فى العصر الحديث .

تلاميـــذ رفاعة

ذكرنا من قبل أن رفاعة استعان بنفر من تلاميذه فى مدرسة الألسن لتحقيق الخطة التى وضعها لتزويد المكتبة العربيـة بعدد من الكتب المترجمة لتغطية تاريخ العالم فى عصوره المختلفة ، ولم يعرف تلاميذ الألسن وخريجوها فى أول الأمر التخصص فى ترجمة علم بعينه ، وإنمـا كان يفرغ أحدهم من ترجمة كتاب فى التاريخ ، فيعهد إليه بترجمة آخر فى الطب ، ثم ثالث فى الكيمياء أو فى الجغرافيا ، وهكذا .

ولكننا نلاحظ أن ميول الخريجين الخاصة ، ووظائف الترجمة التى تولوها بعد تخرجهم قد وجهت كلا منهم إلى نوع من التخصص فى الترجمة أو التأليف فى علم من العلوم ، فاتجه محمود خليفة ، وأبو السعود ، ومصطفى الزرابى ، ومحمد مصطفى البياع إلى ترجمة الكتب التاريخية ، واتجه صالح مجدى ، وأحمد عبيد الطهطاوى إلى ترجمة الكتب الهندسية والحربية ، ومحمد الشيمى ، والسيد عمارة ، وحسين على الديك إلى ترجمة الكتب الرياضية ،

وعبد الله السيد ، ومحمد قدرى إلى ترجمة الكتب القانونية والتأليف فيها . . . وهكذا .

وقد أشرنا من قبل إلى بعض الكتب التاريخية الهامة التى ترجمها تلاميذ رفاعة فى مدرسة الألسن ، ونستطيع أن نضيف إليها هنا كتابين آخرين ترجمهما « خليفة محمود » ، وهما : « إتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات فى بلاد أوربا » و « إتحاف ملوك الزمان بتاريخ الإمبراطور شارلكان » ، والكتاب الأول مقدمة للثانى ، وهما من تأليف المؤرخ الإنجليزى روبرتسون Robertson [1] ، وإن كان خليفة محمود قد ترجمهما عن ترجمة فرنسية .

وقد عنى بالدراسات التاريخية خاصة اثنان من تلاميذ رفاعة فى مدرسة الألسن هما : عبد الله أبو السعود ، وصالح مجدى ، وقد كانا أكثر الخريجين اتصالاً بأستاذهم رفاعة فى عهد محمد على ثم فى عهد إسماعيل ، وكانا أكثر الخريجين إنتاجاً وترجمة ، بل وتأليفاً فيما بعد .

---

(١) انظر : الشيال : رفاعة الطهطاوى ص ٩٧ ، وتاريخ الترجمة ، قائمة الكتب المترجمة (فى آخر الكتاب) .

عبد الله أبو السعود :

أما أبو السعود فقد ولد فى دهشور فى سنة ١٢٣٦ (١٨٢٠)، وكان والده قاضياً ، ثم اختير ناظراً لأحد المكاتب التى أنشأها محمد على ، وهو مكتب البدرشين ، وذلك فى سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢)، فألحق ابنه تلميذاً بهذا المكتب ، ومنه اختاره رفاعة بك فى سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) ليكون تلميذاً بمدرسة الألسن ، وفيها تفوق على أقرانه وخاصة فى اللغة العربية ، فاختير فى سنة ١٢٥٤ (١٨٣٨)، مدرساً لهذه اللغة خلفاً لأستاذه الشيخ حسنين الغمراوى ، ومنح رتبة الملازم الثانى .

وبعد قليل رقى إلى رتبة الملازم الأول ، ونقل إلى مدرسة المهندسخانة فكان يدرس بها اللغة الفرنسية ، ويشترك فى تصحيح الكتب الرياضية التى يترجمها مدرسوها ، ولم يكتف فى هذه السنوات بالثقافة التى تلقاها فى مدرسة الألسن ، بل كان يحضر دروس الفقه فى الجامع الأزهر ، وفى سنة ١٢٥٩ (١٨٤٣ م) عند ما أعيد تنظيم قلم الترجمة الملحق بالألسن نقل إليه أبو السعود ، ولم يترجم فى هذه الفترة إلا كتاب « نظم اللآلى فى السلوك فيمن حكم فرنسا ، ومن قابلهم على مصر من الملوك ». والثلثان الأولان من الكتاب مترجمان عن الفرنسية وموضوعهما تاريخ ملوك فرنسا من الدولة « الميروفنجية » إلى عهد الملك

« لوى فيليب » ، أما الثلث الأخير فمن وضعه ، وقد ضمنه تاريخ حكام مصر وولاتها منذ عهد الخليفة أبي بكر الصديق إلى عهد السلطان عبد الحميد ، وقد طبع هذا الكتاب فى بولاق سنة ١٢٥٧ .

وفى عهد عباس الأول انزوى أبو السعود موظفاً عادياً لا جهد له ولا نشاط ، ولا عجب فهو تلميذ رفاعة ، فأصابه حينذاك ما أصاب أستاذه من عنت ، فلما تولى سعيد باشا الحكم عاد أبو السعود إلى الحياة العامة ، وسافر مع الوالى إلى السودان كاتباً لمعيته ، وبعد عودته عين بقلم الترجمة بالخارجية ، وفى أوائل عهد إسماعيل عاد إلى قلم الترجمة الملحق بديوان المدارس ليعمل من جديد بالاشتراك مع زميله صالح مجدى تحت رئاسة أستاذهما القديم رفاعة بك .

وفى هذا العهد أيضاً خطا أبو السعود خطوة جريئة فأنشأ فى مصر أول صحيفة وطنية شعبية ، وهى جريدة « وادى النيل » ، وقد كان لهذه الصحيفة شأن كبير فى التمهيد للحركة الوطنية فى عهد إسماعيل .

وقد أسهم أبو السعود فى تحرير أول مجلة مصرية ظهرت فى ذلك الوقت ، وهى « روضة المدارس » ، ثم اختير فى أخريات أيامه ناظراً لقلم الترجمة خلفاً لأستاذه رفاعة ، ثم كان مدرساً للتاريخ

بمدرسة دار العلوم ، وعضواً بمجلس الاستئناف إلى أن توفى فى الثامن من صفر سنة ١٢٩٥ (يناير ١٨٧٨) .

وقد أسهم أبو السعود كذلك فى حركة نشر الكتب التاريخية القديمة فأشرف على طبع «كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين » لأبى شامة لأول مرة . (طبع فى مطبعة وادى النيل ، القاهرة ، ١٢٨٧ — ١٢٨٨ = ١٨٧٠ — ١٨٧١) .

صالح مجدى :

أما السيد صالح مجدى فقد ولد فى قرية أبى رجوان من أعمال مديرية الجيزة فى سنة ١٢٤٢ أو سنة ١٢٤٣ (١٧٢٦ — ١٨٢٧) ، وتلقى علومه الأولى فى مكتب حاوان ، ومنه اختير — كما اختير زميله أبو السعود — ليكون تلميذاً بمدرسة الألسن ، فألحق بها فى سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م) .

وفى عهد تلمذته بهذه المدرسة ظهر نبوغه فى اللغتين العربية والفرنسية ، فلما أنشئ قلم الترجمة فى سنة ١٢٥٨ ، وجعل من أقسامه قسم لترجمة الكتب الرياضية تحت رئاسة بيومى أفندى ، جعل صالح مجدى وكيلا لهذا القسم ، وفيه ترجم كتابين من كتب الهندسة .

وفى سنة ١٢٦٠ نقل إلى مدرسة المهندسخانة ، خلفاً لزميله

أبى السعود الذى نقل من المهندسخانة إلى قلم الترجمة فى سنة ١٢٥٩ ، وفى هذه المدرسة عين مجدى « لتدريس اللغتين الفرنساوية والعربية ، وتعليم نجباء تلامذتها فن الترجمة ، وتعريب فروع الرياضيات التى تدرس بها على القواعد العربية ، يقول على مبارك فى خططه : « إنى قد كنت من رجال هذه المدرسة ، فعرفت المترجم فيها ، واتخذته لى صاحباً وصديقاً ، وكنت قد تعينت فى سنة ستين التى التحق هو فيها بتلك المدرسة ، للسفر مع عدة من أمثالى إلى مملكة الفرنسيس لتكميل العلوم الرياضية ، وتحصيل الفنون العسكرية المتعلقة بالطوبجية والاستحكامات ، فلما رجعت إلى مصر بعد خمس سنين وجدته قد وصل إلى رتبة يوزباشى ، وأخبرنى أنه أحرزها فى سنة ١٢٦٢ ، وأنه عرب فى هذه المدة عدة كتب فى فروع الرياضيات . . . ولما أحيلت على عهدتى نظارة المهندسخانة وما معها سنة ست وستين . . كان لى المترجم رفيقاً مع قيامه بوظائفه ، وطالما استعنت بقلمه على تأليف كتب متنوعة فى فنون شتى ، وقد ترجم فى تلك المدة عدة كتب فى الرياضة . . الخ » .

وهكذا كان صالح مجدى[1] أسعد حظاً من صديقه

---

(١) انظر ترجمته فى مقدمة ديوانه ، وفى (جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ١٨٤ – ١٨٥) .



السيد صالح مجدى

أبى السعود ، فقد مهدت له معرفته بعلى مبارك السبيل إلى البقاء فى مدرسة المهندسخانة فى عهد عباس ، وفى هذه المدرسة قضى نحو عشر سنوات أنتج فيها هذا الإنتاج الضخم .

وفى عهد سعيد عاد أستاذه رفاعة من السودان ، فلم يلبث أن جذبه إليه ، فنقل ناظراً لقلم الترجمة الملحق بالمدرسة الحربية بالقلعة التى كان يتولى نظارتها رفاعة .

وفى أوائل عهد إسماعيل أعيد إنشاء قلم الترجمة الملحق بديوان المدارس ، وتولى الإشراف عليه رئيسه القديم رفاعة بك ، وكان من مترجميه أبو السعود وصالح مجدى ، بل لقد أتى على هذا القلم وقت لم يكن به من المترجمين غير صاحبينا وزميل ثالث لهما كان له شأن أى شأن فى ترجمة الكتب التاريخية فى عصر محمد على ، وهو حسن الجبيلى .

وقد شارك مجدى فى تلك الفترة كأستاذه رفاعة وزميله أبى السعود فى التحرير فى روضة المدارس ، ثم فى ترجمة « قانون نابليون Code Napoleon » .

وظل يتقلب فى الوظائف حتى عين فى سنة ١٢٩٣ (١٨٧٥) قاضياً بمحكمة مصر ولبث يشغل هذا المنصب حتى توفى فى ذى الحجة سنة ١٢٩٨ (١٨٨١) .

وفى كل تلك العهود كان على مبارك يستعين به وبجهوده وعلمه فى تأليف وتصنيف معظم كتبه ، وقد أشار على مبارك فى خططه إلى بعض هذه الكتب[١] ، ويعنينا منها هنا كتاب ذكر على مبارك أنه وضعه فى تاريخ مصر ، وأن صالح مجدى عاونه فى تأليفه ، قال : « وباشر معى بعض التاريخ الذى عملته للديار المصرية فى عدة مجلدات ، وبعض رسائل جمعتها ، وطبعت بمعرفته فى جرنال روضة المدارس » .

ولسنا نعرف عن هذا التاريخ شيئاً غير هذا النص وغير نص آخر ذكره محمد مجدى فى ترجمته لوالده التى نشرها فى مقدمة ديوانه ، فقد قال إنهما — أى على مبارك ووالده صالح مجدى — أتما من هذا الكتاب : «ما يتعلق بالفراعنة والأكاسرة والبطالسة والرومانيين ، ووصلا فيه فى مدة الإسلام إلى سنة ستين ومائة بعد الألف من الهجرة ، وبلغ ما جمع فيه من المجلدات نحو أربعمائة كراسة ، وهو الآن لدى سعادة على مبارك باشا ، والغالب أنه مهيأ للطبع . . »

وقد ظن البعض أن المقصود بهذا الكتاب هو كتاب الخطط التوفيقية ، غير أن الخطط تم طبعها فى سنة ١٣٠٤ — سنة ١٣٠٦ (١٨٨٦ — ١٨٨٩) ، وديوان صالح مجدى الذى

---

(١) الشيال : رفاعة ، ص ١١٢

ورد فيه هذا النص طبع فى سنة ١٩١١ ، أى بعد إتمام طبع الخطط باثنى عشر عاماً؛ فالكتاب التاريخى الذى كان مهيأً للطبع فى سنة ١٩١١ هو غير الخطط قطعاً ، وخاصة أن موضوعه هو تاريخ مصر فى مختلف العصور لاطبوغرافيتها ، ويضاف إلى هذا أيضاً أن النص الأول ذكره على مبارك عند ترجمته لصالح مجدى فى الخطط ، فلو أنه كان يعنى بالتاريخ الخطط لنص على هذا ، غير أنى رجعت إلى قائمة الكتب المطبوعة التى ألفها على مبارك أو صالح مجدى ، فلم أجد من بينها كتاباً فى تاريخ مصر ، فلعله لم يطبع .

* * *

أبو السعود وصالح مجدى علمان كما قلنا من أعلام خريجى الألسن ، وهما خير نموذجين لهؤلاء الخريجين ، وعلى مثالهما بذل إخوانهما الجهد فى الترجمة والتأليف ، ومن طبقتهما محمد عثمان جلال فى الأدب ، وقدرى باشا فى ميدان القانون .

وقد ربطت الحوادث بين هذين العلمين وبين أستاذهما رفاعة ، فعملا معه فى قلم الترجمة فى عصرى محمد على وإسماعيل ، واشتركا معه فى تحرير روضة المدارس ، وفى ترجمة قانون نابليون ، غير أنهما رغم هذا اختلفا الواحد عن الآخر فى ميادين أخرى ، فقد كان صالح مجدى أقرب إلى على مبارك فى نزاشاته وثقافته

الرياضية والعسكرية ، ولهـذا تعاون فى إنتاجه العلمى مع على مبارك أكثر من تعاونه مع أستاذه رفاعة ، ومع هـذا فقد كان فضل رفاعة عليه كبيراً ، فإن ثقافته الفرنسية والعربية التى تلقاها فى مدرسة الألسن هى التى رشحته للعمل فى قلم الترجمة فى عهدى محمد على وإسماعيل ، وهى التى رشحته للعمل فى مدرسة المهندسخانة فى عهدى محمد على وعباس ، وثقافته القانونية فى الألسن هى التى رشحته للعمل فى ترجمة القوانين ، ثم لتولى وظيفة القضاء فى عصر إسماعيل ، لهذا كان مجدى أبر التلاميذ بأستاذه ، فهو الوحيد من بين تلاميذ رفاعة الذى أرخ له بعد وفاته ، فكتب عنه كتابه القيم — رغم صغره — « حلية الزمن بذكر مناقب خادم الوطن » ، وهذا هو الكتاب التاريخى الثانى الذى ألفه صالح مجدى ، وتوجد منه نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية[١] ، رقم ١٠٣٦ .

أما أبو السعود فكان أكثر تأثراً بأستاذه ، فقد تخرج من الألسن شغفاً كأستاذه بعلمى التاريخ والجغرافيا ، ولهذا كانت معظم مترجماته ومؤلفاته فى هذين العلمين ، وقد أشرنا فيما سبق إلى جهوده فى ترجمة وتأليف ونشر الكتب التاريخية .

---

(١) قمت أخيرا بنشر هذا الكتاب وتحقيقه ، وطبع فى مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٥٨ بمناسبة احتفال المجلس الأعلى للآداب والفنون بذكرى رفاعة

علي مبارك

ومعاصروه

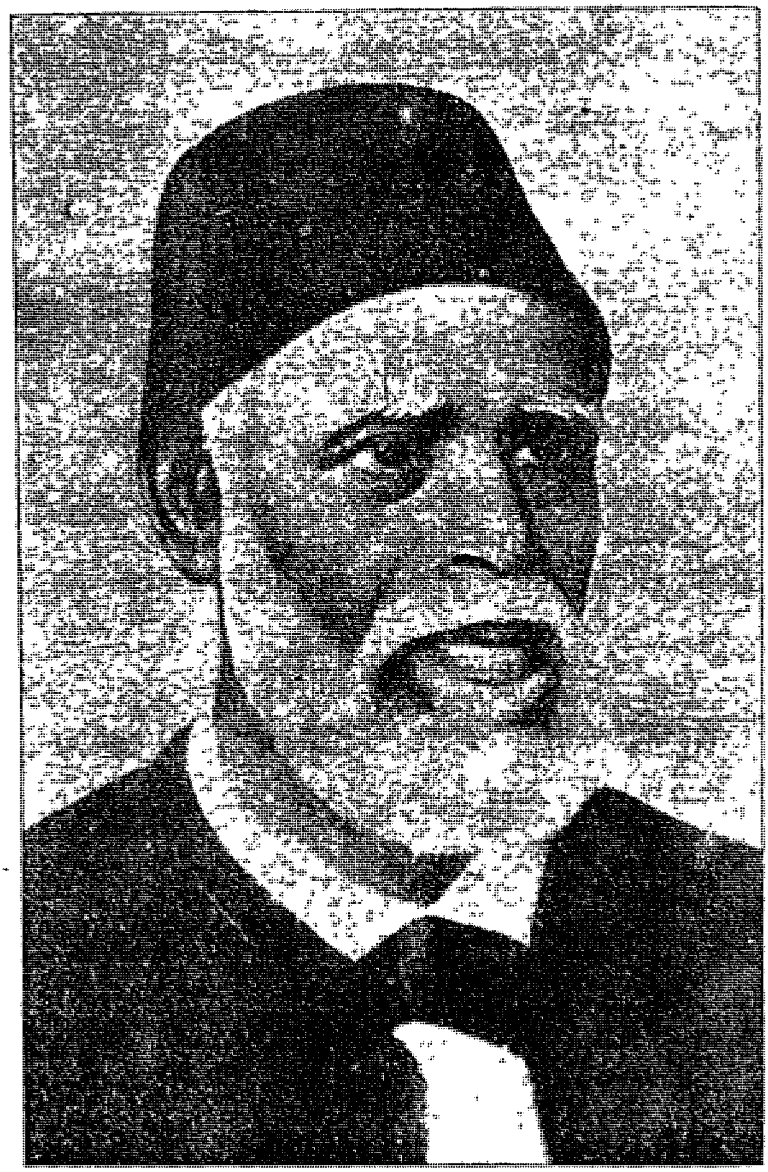
مضى على حركة الترجمة فى عصر محمد على نحو العشرين عاماً ، والجهد فى خلالها متجه كله إلى الترجمة فقط ، ولم يجد تلاميذ المدارس ومدرسوها وخريجوها الفراغ الكافى ليستجيبوا للثقافات التى تلقوها ، فيؤلفون ، كذلك كانت ترجمتهم تصطبغ بالصبغة الرسمية ، فهم — إن صح التعبير — كانوا مترجمين محترفين لا هاوين ، يترجمون ما يؤمرون بترجمته ، لا ما يريدن ترجمته ، وما يؤمرون بترجمته كان علماً خالصاً ، لا يستطيع القراء العاديون — على ندرتهم — أن يقرأوه أو يتذوقوه ، وهم وإن فكروا فى قراءته لا يستطيعون فهمه .

ولهذا كان تأثير الترجمة فى عصر محمد على فى المجتمع المصرى ضئيلاً .

وعند ما أنشئت مدرسة الألسن سنة ١٨٣٥ كانت كتبها التى ترجمت فى العلوم الإنسانية المختلفة من تاريخ ورحلات وجغرافيا

وأدب أقرب إلى ذهن القارىء العادى وفهمه ، وكان من الممكن أن تؤثر هذه المدرسة وخريجوها التأثير الطيب فى ثقافة الشعب المصرى لو امتد بها العمر ، لكنها ألغيت بعد موت محمد على ، وتشتت خريجوها موظفين فى المصالح والدواوين المختلفة ، وكانت نكسة شملت عصرى عباس وسعيد ، ولكن الأثر الأول للمدرسة لم يخمد ولم يمت ، بل كان مستقراً مستجماً فى نفوس تلاميذها ، فلما استؤنفت النهضة فى عهد إسماعيل كان هؤلاء التلاميذ هم عدتها وعمدها ، فانطلقوا يترجمون من جديد ، بل لقد خطوا الخطوة الثانية الطبيعية ، فانطلقوا يؤلفون ، وعاد إليهم أستاذهم رفاعة فانضووا تحت لوائه يعمل ويعملون من جديد ، فترجموا معاً « قانون نابليون » ، وترجم وألف أبو السعود وخليفة محمود وصالح مجدى فى التاريخ والجغرافيا ، وترجم عثمان جلال فى الأدب ، وألف قدرى باشا كتبه فى القانون ، وأنشأ أبو السعود أول صحيفة مصرية أهلية وهى « وادى النيل » .

وفى عهد إسماعيل أيضاً وضع رفاعة كل مؤلفاته ، تاريخية وغير تاريخية مثل : « مناهج الألباب العصرية فى مباهج الآداب المصرية » و ، « المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين » و « التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية » و « أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى إسماعيل » و « نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز » .



علي مبارك

وهكذا شهد عصر إسماعيل نهضة كبرى فى التأليف والدراسات التاريخية .

وقد أشرنا من قبل إلى الجهود التى بذلها رفاعة وتلاميذه فى تأليف الكتب التاريخية فى هذا العصر كما ظهر فى هذا الميدان رائد آخر هو على مبارك .

ولد على مبارك[١] فى قرية برنبال الجديدة من قرى مديرية الدقهلية فى سنة ١٢٣٩ (١٨٢٣) وتلقى علومه الأولى فى كتابها ، وفى الثانية عشرة من عمره التحق بمدرسة قصر العينى ، ثم انتقل

---

(١) انظر سيرة حياته التى كتبها بقلمه فى : (كتابه الخطط التوفيقية ، ج ٩ ، ص ٣٧ — ٦١) ، وفيها أرخ لنفسه إلى سنة ١٣٠٥ (١٨٨٨) وقد استخرج هذه السيرة وطبعها وحدها صديقه الدكتور محمد درى بعنوان : («ترجمة حياة المغفور له على باشا مبارك» القاهرة ، ١٣١١) ؛ وقد ترجم له الكثيرون بعد ذلك ، انظر مثلا : (على مبارك ، مقال فى مجلة المقتطف ، السنة ١٨ ، العددان ٣ و ٤) و (جورجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، ج ٢ ص ٣٣ وما بعدها) و (أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ١٨٤ — ٢٠١) و (أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، صفحات كثيرة منه) و (نفس المؤلف . تاريخ التعليم فى مصر — عصر عباس سعيد و عصر إسماعيل — جزءان ، صفحات كثيرة منه) و (محمد أحمد خلف الله : على مبارك ، سيرته ومؤلفاته ، القاهرة) و (أمين سامى باشا : التعليم فى مصر) و(عمر طوسون : تاريخ البعثات العلمية) .

منها إلى مدرسة أبى زعبل ، وبعد أن أتم دراسته الثانوية دخل مدرسة المهندسخانة ببولاق .

وفى سنة ١٢٦٠ (١٨٤٤) اختار محمد على عدداً من التلاميذ المتقدمين فى هذه المدرسة ليرسلوا فى بعثة إلى فرنسا ، وهى البعثة التى عرفت باسم بعثة الأنجال ، فقد كانت تضم عدداً من أفراد الأسرة العلوية من بينهم إسماعيل باشا (الخديو فيما بعد) ، وقد أقام على مبارك فى باريس ٥ سنوات درس فى خلالها الهندسة العسكرية ، وعاد إلى مصر فى سنة ١٨٥٠ فى عهد عباس الأول .

وكان عباس قد ألغى الكثير من المدارس التى أنشأها محمد على وأبقى على القليل منها ، فعهد إلى على مبارك بإدارة هذا القليل والإشراف عليه .

وفى عهد سعيد ألحق على مبارك بالفرقة الحربية المصرية التى سافرت لمساعدة الدولة العثمانية فى حربها مع روسيا ، فأقام بتركيا نحو سنتين وعاد إلى مصر فلم يعهد إليه بعمل ما إذ لم يكن على وفاق مع سعيد .

ويعتبر عصر إسماعيل العصر الزاهر بالنسبة لعلى مبارك فقد كان رفيقه فى البعثة إلى فرنسا ، ولهذا عهد إسماعيل إليه بإدارة شؤون التعليم ، ونشط على مبارك للعمل فوضع مشروعاً لتنظيم التعليم الابتدائى على وضع جديد ، وعنى بمسألة تكوين المعلم

الصالح ، ولم يكن بمصر مدرسة لتخريج المعلمين ؛ بل كان مدرسو الدين واللغة العربية يؤخذون من الأزهر ، ومدرسو العلوم الاجتماعية واللغات يؤخذون من خريجى الألسن ، فأنشأ على مبارك مدرسة دار العلوم ، واختار تلاميذها من خيرة طلاب الأزهر ، واختار معلميها من علماء الأزهر الممتازين ، ووضع لها منهجاً جمع بين العلوم الدينية واللغوية ، وقدراً من العلوم المدنية كالرياضة والطبيعة والكيمياء والتاريخ والجغرافيا ، واللغات الأجنبية .

وأنشأ على مبارك أول مجلة ثقافية فى مصر الحديثة وهى مجلة « روضة المدارس » وعهد بإدارتها إلى رفاعة بك الطهطاوى ، كما أنشأ أول دار للكتب فى القاهرة ، وهى دار الكتب الخديوية ، وجمع لها كل الكتب والمخطوطات الباقية فى المساجد .

كانت ثقافة على مبارك ثقافة هندسية عسكرية ، ولكنه شغف بالتاريخ وأحبه ، وله مؤلفات كثيرة فى الهندسة وغيرها ، ولكن أعظم مؤلفاته وأبقاها هو كتابه الكبير « الخطط التوفيقية الجديدة » فى عشرين جزءاً .

وفن تأليف كتب الخطط فن مصرى أصيل ، نشأ فى مصر الإسلامية وفيها دون غيرها من الأمصار الإسلامية نما وترعرع ، وأول من ألف فيه الكندى ، ولم يكن يمضى قرن بعد ذلك حتى

يظهر فيه مؤلف أو أكثر يكتبون فى خطط مصر ، وكان آخرهم تقى الدين المقريزى الذى عاش فى القرن الخامس عشر الميلادى .

وقد اتخذ على مبارك خطط المقريزى أساساً لكتابه ، ثم تتبع مدن مصر وقراها ومنشآتها ، فأثبت ما أصابها من تغير أو تطور إلى عهده ، وقد نهج على مبارك عند تأليف كتابه النهج العلمى ، فرجع إلى ما استطاع الرجوع إليه من الوثائق والنقوش ، مثل : «حجج الأوقاف والأملاك وما وُجد مسطوراً على الأحجار والجدران »[1] .

وعلى مبارك يختلف عن غيره من المؤرخين المصريين السابقين فى العصر الإسلامى ، ويشبه إلى حد كبير رفاعة فى الطريقة العلمية التى اتبعها عند تأليف الخطط ، فقد رجع إلى المراجع العربية القديمة ، ورجع كذلك إلى المراجع الأوربية الفرنسية ، فهو يتقن اللغة الفرنسية ، وهو قد قرأ كثيراً من كتب العلماء الأوربيين والمستشرقين الذين كتبوا عن تاريخ مصر كتبا جديدة جلوا فيها كثيرا من الغامض ، وهو يعرف أن البحوث الأثرية قد أوضحت الكثير من تاريخ مصر القديم وكشفت عن أسرار آثارها ، وقد نص على هذا فى مقدمة كتابه فقال إنه جمع « من كتب العجم والعرب ما يفضى بمتأمله إلى

---

(١) على مبارك : الخطط ، ج ١ ، ص ٢

العجب ، مراجعا كتب العرب والإفرنج الذين ساحوا تلك الديار ، ورسومهم التى بينوا فيها حدود هذه الأقطار » ، وقال أيضا : « إن أكثر الآثار القديمة كالأهرام والبرابى وغيرها مما بقى من أعمال الأمم الماضية والقرون الخالية لم يكن الغرض من ذكرها إلا كونها من عجائب الدنيا ومعلوم أن الكتابة الطيرية المعروفة بالهيروجليفية لم تنكشف حقيقتها إلا فى هذا القرن ، فقد وقف الفرنج على حقائقها من الكتابات الباقية على جدران الآثار المصرية والمبانى الفرعونية ، وأخذوا مجدين اليوم فى توسيع دائرة علمها ، فالتزمت أن أطالع ما كتب بخصوص تلك الآثار ، وألخص ما فيه الفائدة من غير إطالة ولا إكثار . . . الخ[١] .

والكتاب فيه وصف لطبوغرافية المدن والقرى المصرية جميعا ، فالمؤلف يتحدث عن تاريخ كل مدينة من أقدم العصور ، ويصف خططها ومبانيها ومرافقها العامة وما بها من مساجد أو كنائس أو أديرة أو مدارس أو مصانع أو حمامات أو وكائل . . الخ ويذكر ما أصاب هذه المنشآت من تطور خلال العصور .

وللكتاب ميزة أخرى هامة ، فهو قد سار على الأسلوب الذى اتبعه المقريزى فى خططه ، فكان يترجم لمن برز فى تاريخ كل

---

(١) الخطط ١/٢ — ٣ .

مدنية أو من عاش فيها أو نشأ فيها من أعيان أو علماء أو أدباء أو أمراء . وقد شهر في تاريخ المدن المصرية — بعد عصر المقريزى — عدد كبير من الرجال المشهورين ، ورجع على مبارك عند الترجمة لمن لم يعيشوا في عصره إلى المراجع التاريخية السابقة ، وبخاصة كتاب عجائب الآثار للجبرتى ، أما الرجال المعاصرون ، أى الذين عاشوا فى عصر محمد على وخاصة رجال البعثات والنهضة التعليمية فقد كان على مبارك أول من ترجم لهم فى خططه ، ولا عجب فقد عاصر عددا كبيرا منهم ، وكان الكثيرون منهم من رفقائه فى الدراسة ، أو زملائه فى الوظائف . وكان يبذل الجهد الكبير لجمع مادة هذه التراجم ، فإذا أعوزته طلب من صاحب الترجمة أن يكتب له ترجمة حياته بنفسه؛ فكتاب «الخطط التوفيقية» كان ولا يزال وسيظل مرجعا من أهم المراجع لدراسة تاريخ نهر النيل والمدن المصرية وطبوغرافيتها ، ولتراجم عدد كبير من الرجال الذين صنعوا تاريخ مصر الحديثة ، وخاصة أولئك الذين عاشوا وبنوا تاريخها ونهضتها فى القرن التاسع عشر .

وقد خصص على مبارك ستة أجزاء من كتابه لمدينة القاهرة . وأرخ فى الجزء السابع لمدينة الإسكندرية ، كما أرخ للمدن المصرية الأخرى فى العشرة أجزاء التالية من الثامن إلى السابع عشر ، ثم أفرد الجزء الثامن عشر للحديث عن نهر النيل ومقاييسه من أقدم العصور إلى عصره ، كما تحدث حديثاً مفصلاً عن ترع

مصر وخلجانها فى الجزء التاسع عشر ، أما الجزء العشرون فقد أرخ فيه للنقود المصرية فى العصر الإسلامى .

وقد ذكرنا من قبل أن على مبارك وضع بالاشتراك مع صالح مجدى كتاباً آخر ضخماً فى تاريخ مصر منذ عهد الفراعنة ، ووصلا فيه إلى سنة ١١٦٠ هـ ، ولكن هذا التاريخ للأسف مفقود لا نعرف عنه شيئاً .

ولعلى مبارك تاريخ ثالث ، ولكنه مترجم ، وهو « خلاصة تاريخ العرب » ، تأليف سيديو ، وقد ترجمه على مبارك عن الفرنسية ، وطبع فى القاهرة سنة ١٣٠٩ .

ولعلى مبارك كتب كثيرة أخرى ، بعضها فى فنون الحرب والهندسة ، وهى الفنون التى درسها وتخصص فيها ، وهذه لا تعنينا فى شىء هنا ، والبعض الآخر كتب لها صلة بالتاريخ ، أو فيها فصول تاريخية ، ولهذا نرى من المفيد الإلماع إليها هنا استكمالاً للبحث ، وهذه الكتب هى :

١ — نخبة الفكر فى تدبير نيل مصر ، وقد طبع فى مطبعة وادى النيل بالقاهرة سنة ١٢٩٨ (١٨٧٢) ، وهو كتاب له أهمية كبرى عند دراسة تاريخ نهر النيل وفيضانه ونظام الرى ومشاريعه فى مصر .

٢ — حقائق الأخبار فى أوصاف البحار ، وقد نشره مؤلفه

تباعا فى مجلة روضة المدارس ، ثم طبع بعد ذلك مكتملاً فى مطبعة وادى النيل سنة ١٢٨٧ .

٣ — علم الدين ، وهى قصة خيالية فى أربعة أجزاء يدور الحديث فيها بين عالم مصرى من الأزهر وعالم أوربى من انجلترا ، ويبدأ الحديث فى مصر ، فيقف العالم الإنجليزى موقف التلميذ يسأل الشيخ المصرى عن حقيقة كل ما يراه من مظاهر الحياة المصرية وتاريخها ، ثم يرحل الرحلان إلى أوربا فينقلب الموقف ويتخذ الشيخ المصرى موقف التلميذ يسأل رفيقه الإنجليزى عن كل غريب يراه ، وكل ما كان يراه غريب ، فالهدف من تأليف هذا الكتاب هو عقد مقارنة بين مظاهر الحياة والمدنية فى الشرق والغرب لتنبيه أذهان الشرقيين إلى محاسن الحضارة الأوربية الحديثة ، ولهذا فالكتاب ملىء بالفصول العلمية والتاريخية ، وقد طبع فى مطبعة المحروسة باسكندرية سنة ١٢٩٩ (١٨٨٢) .

٤ — الميزان فى الأقيسة والمكاييل والأوزان ، وفيه دراسة مقارنة فى تاريخ الأقيسة والمكاييل والأوزان فى مصر القديمة وفى مصر الإسلامية ، وقد طبع فى القاهرة سنة ١٣٠٩ هـ .

ونستطيع بعد هذا العرض السريع لحياة على مبارك وجهوده فى التأليف التاريخى أن نقول إن الرجل كان يقف فى عصرى إسماعيل وتوفيق (أى إلى نهاية القرن التاسع عشر تقريباً) على رأس مدرسة من المؤرخين لها طابع خاص :

ولم يكن أفراد هـذه المدرسة التاريخية من تلاميذه كما كان معظم أفراد مدرسة رفاعة من تلاميذه ، فإن طبيعة مدرسة المهندسخانة غير طبيعة مدرسة الألسن ، وإنما كان رجال مدرسة على مبارك طوائف مختلفة : بعضهم من زملائه الذين رافقوه فى مدرسة المهندسخانة (تلاميذ أو مدرسين) ، وبعضهم ممن عاصروه من خريجى مدرسة الألسن أو من خريجى مدرسة اللسان القديم ، أما الطابع الخاص الذى يميز أفراد هذه المدرسة وإنتاجهم التاريخى فهو أن معظم مؤلفاتهم التاريخية فيها مزج بين التاريخ وبين كثير من العلوم الأصيلة التى درسوها ، كالهندسة والطبوغرافية والرياضة والفلك والآثار ، كما أن إنتاج هذه المدرسة التاريخى يغلب فيه التأليف على الترجمة ، ويغلب فيه الابتكار على النقل ، وهذان هما الفارقان الواضحان بين إنتاج رفاعة ومدرسته ، وإنتاج على مبارك ومدرسته ، ولعل هذا راجع إلى الدراسة العلمية والعقلية التى امتاز بها على مبارك وأفراد مدرسته .

والدراسة التفصيلية الدقيقة للكتب التاريخية التى ألفها على مبارك تؤكد هذه الحقائق ، فالخطط التوفيقية فيه دراسة طبوغرافية لمدن مصر ، وفيه إفادة واضحة من الكشوف الأثرية التى تمت فى القرن التاسع عشر ومن الحقائق الجديدة التى أضافتها هذه الكشوف عن تاريخ مصر فى العصور القديمة ،

والأجزاء الثلاثة الأخيرة فيها دراسات مستفيضة عن النيل وفيضانه ومقاييسه وترعه وخلجانه ، وعن النقود الإسلامية وعيارها وقيمها في العصور المختلفة ، وقد أفاد المؤلف كثيراً عند كتابة هذه الأجزاء عن دراساته الرياضية والهندسية ، وهذا الذى نقوله عن الخطط يصدق على كتابيه الآخرين « نخبة الفكر فى تدبير نيل مصر » و « الميزان فى الأقيسة والمكاييل والأوزان » .

معاصرو على مبارك

محمود الفلكى :

وخير من يمثل الفريق الأول من رجال مدرسة على مبارك وهم زملاؤه فى المهندسخانه هو محمود الفلكى .

ولد محمود الفلكى[1]، فى بلدة الحصة بمديرية الغربية سنة ١٨١٥ ، ودرس فى المهندسخانة عندما كانت فى القلعة ، وبعد تخرجه عين مدرساً بها فى سنة ١٨٣٤ ، وكانت قد انتقلت إلى بولاق ، وضمت إليها بعض المدارس الهندسية الأخرى ، ووضع لها نظام يشبه نظام مدرسة الهندسة فى باريس .

وفى سنة ١٨٣٩ التحق على مبارك بالمهندسخانة ، وفيها تتلمذ على يد محمود الفلكى فى علوم الرياضة ، ولكن على مبارك أُرسل بعد تخرجه — كما أسلفنا — فى بعثة إلى فرنسا ، هى بعثة

---

(١) انظر عن سيرته (عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل) و (أمين سامى تقويم النيل)و (أحمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، وفى عصر إسماعيل) و (الدكتور إبراهيم حلمى عبد الرحمن : محمود الفلكى ، فصل من كتاب : سلسلة أحاديث كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول عن العلوم المبسطة ، المجموعة الثانية ، مطبوعات كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٥)

الأنجال ، فلما عاد من البعثة كان من المقربين إلى عباس الأول ، فلم ينس فضل أستاذه محمود الفلكي عليه ، بل رد إليه الجميل بأن اقترح على عباس إرساله مع اثنين آخرين فى بعثة لدراسة علوم الفلك فى باريس ، وسافر محمود فى سنة ١٨٥٠ وهو فى الخامسة والثلاثين من عمره ، رجلا مكتمل الرجولة ناضج التفكير ، ولهذا أفاد فائدة كبرى من دراساته فى باريس وغيرها من مدن أوربا ، فقد زار كثيراً من المدن والمراصد والجامعات الكبيرة ، وأعد أثناء دراسته عددا من البحوث القيمة نشرت فى المجلات العلمية الأوربية ، والذى نلاحظه أن بعض هذه الأبحاث فيه مزج بين الدراسات التاريخية والدراسات العلمية الخالصة ، أى أنه من النوع الذى قلنا إنه يميز الكتابات التاريخية لعلى مبارك ومدرسته ، ومن هذه الأبحاث بحث كتبه محمود الفلكى فى سنة ١٨٥٨ فى تحقيق تاريخ ميلاد النبي محمد عليه السلام ، وتاريخ الهجرة ، معتمدا فيه على دراسة بعض الظواهر الفلكية ، ونشر هذا البحث باللغة الفرنسية فى المجلة الأسيوية بعنوان :

Memoires sur le Calenderier Arabe avant l'Islamisme, sur la Naissance et l'age du Prophét Mohammed (Par Mahmud Effendı. Astronome Egyptien).

وقد ترجم هذا البحث فيما بعد إلى اللغة العربية أحمد زكى باشا



محمود الفلكي

تحت عنوان « نتائج الأفهام فى تقويم العرب قبل الإسلام ، تحقيق مولد النبى وعمره » ، وطبع فى بولاق سنة ١٣٠٥ ﻫ .

وقد عاد الفلكى من بعثته إلى مصر سنة ١٨٥٩ ، وعرف منذ ذلك الحين باسم محمود الفلكى ، ومنح لقب بك ثم باشا ، وقبل عضوا بالمعهد العلمى المصرى — الذى كان قد أعيد فتحه أخيرا — فى جلسة بتاريخ ١٨ نوفمبر سنة ١٨٥٩ ثم انتخب وكيلا له بعد ذلك بسنوات فى فبراير سنة ١٨٨٠ .

وبعد عودته عهد إليه بوضع خريطة لمصر : فابتدأ بالوجه البحرى وأتم خريطته بعد عشر سنوات ، واعتمد فى عملها على دراسات تاريخية عميقة ، ودراسات هندسية وجغرافية كذلك .

وأثناء قيامه بعمل هذه الخريطة تنقل محمود الفلكى فى جميع ربوع مصر من أقصاها إلى أقصاها ، وبدأ يعنى فى تنقلاته هذه بالدراسات الجغرافية والتاريخية والأثرية ، وعمل زمنا فى الكشف عن آثار البطالمة والرومان فى منطقة الإسكندرية[١] ، ورسم خريطة تاريخية أثرية لهذه المدينة لا زالت تعتبر حتى اليوم من أهم المراجع التاريخية لدراسة هذه المدينة العظيمة ، فقد حقق

---

(١) انظر : (الشيال : الاسكندرية ، طبوغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، القاهرة ١٩٥٢) .

فيها مواقع كثير من معالم المدينة فى العصور القديمة والوسطى والحديثة ، وقد أتم طبع هذه الخريطة فى سنة ١٨٦٥ ، وطبعت فى بولاق سنة ١٨٧١ ، ثم وضع بالفرنسية كتاباً قيما جداً — رغم صغر حجمه — لشرح هذه الخريطة ، وطبع فى كوبنهاجن سنة ١٨٧٢ وعنوانه :

Mémoire sur l'Ancienne Alexandrie (Copenhagen, 1872).

وأثناء قيامه بالأعمال المتصلة بوضع خريطة مصر اكتشف فى أسوان فى سنة ١٨٦٩ مقياس النيل القديم ، فتحقق من تدريجه ورسمه ، ورسم بجواره مقياساً جديداً ضبط مستواه(١) .

ولست أريد أن أحصر أعماله الفلكية العظيمة فهى كثيرة وقيمة ولكن ليس هنا مجال ذكرها ؛ وإنما يكفى أن أشير إلى بعض هذه الأبحاث التى لها اتصال بالدراسات التاريخية ، فهو مثلاً قد بحث أمر الموازين والمكاييل ، وقدر معيارها ، وحقق المقاييس وأطوالها ونسبة بعضها إلى البعض الآخر ، فمهد السبيل بذلك لتنظيم الموازين والمكاييل فى مصر على أساس صحيح ، فقد

---

(١) حفر على هذا المقياس الجديد بالفرنسية ما ترجمته « لقد كشف هذا المقياس بعد ألف سنة من النسيان والإهمال ، وقد أبقيت التقاسيم القديمة كما هى ، ووضع مقياس جديد فى سنة ١٨٧٠ ميلادية فى عهد باعث نهضة مصر الحديثة الخديوى إسماعيل أحد خدامه المخلصين الفلكى محمود بك » .

حقق طول الذراع البلدى والذراع المعمارى والقصبة ، كما قاس مساحة الفدان ، وقدر قيمة وزن الرطل والدرهم ، وحجم القدح والأردب ، وحقق أن مكعب الذراع البلدى هو الأردب المصرى ... وهكذا ، وقد نشرت أبحاث محمود الفلكى فى هذا الموضوع فى المجلة الأسيوية سنة ١٨٧٣ .

وقد ترجم هذا البحث إلى اللغة العربية ، وطبعه فى مطبعة الجوائب بالأستانة سنة ١٢٩٠ تحت عنوان « رسالة فى المقاييس والمكاييل العملية بالديار المصرية » .

وقد مثل محمود الفلكى الحكومة المصرية فى المؤتمر الجغرافى فى باريس سنة ١٨٧٥ ، وفى البندقية سنة ١٨٨١ ، وجمع بعد ذلك بيانات عن فيضان النيل وتحاريقه فى المدة من ١٨٢٥ إلى ١٨٨٤ كانت أساساً لتقديرات الرى ، ولا زالت مرجعا هاما لمهندسى النيل .

وللفلكى بحث قديم فى الظواهر الفلكية المتصلة ببناء الهرم ، كتبه فى مايو سنة ١٨٦٢ ، وطبع فى نشرة الأكاديمية الملكية البجيكية ، ثم أعاد طبعه ثانية بعد تنقيحه فى القاهرة سنة ١٨٨٥ تحت عنوان « عمر الأهرام والغرض من بنائها » .

"l'age et le But des Pyramides lus dans SIrius"

وقد بنى هذا البحث على تجارب فلكية شخصية قام بها

هو ، هذا وقد تولى محمود الفلكى نظارة المعارف مرتين : الأولى لمدة شهرين فى وزارة راغب باشا ، والثانية من ٩ يناير سنة ١٨٨٤ حتى وفاته فى ١٩ يوليو سنة ١٨٨٥ فى وزارة نوبار باشا .

وبعد فإنى أحسب أنى كنت على حق حين قرنت بين محمود الفلكى وعلى مبارك وجعلته من مدرسته ، فالرجلان كما رأينا من صميم الريف المصرى ، درسا فى المدارس التجهيزية الجديدة ثم فى مدرسة المهندسخانة ، ثم فى باريس ، وقد عملا مهندسين ، وتقلبا فى وظائف الحكومة المختلفة ، وولى كل منهما نظارة المعارف ، وشارك فى الجمعيات والجهود العلمية فى مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

والرجلان شغفا حبا بالدراسات التاريخية ، وألفا فى هذا الميدان رسائل وكتباً طعما فيها التاريخ بالدراسات العلمية فى الهندسة والمساحة والطبوغرافية والفلك والآثار ، والشبه واضح جداً بين أبحاث كل منهما فى هذا الميدان ، فعلى مبارك يؤلف فى طبوغرافية المدن المصرية جميعاً ، والفلكى يضع خريطة للقطر المصرى كله ، وخريطة للإسكندرية وكتابا فى تاريخها وطبوغرافيتها ، وكل منهما قام بأبحاث وألف كتبا عن النيل ونظام الرى ، وعن المقاييس والمكاييل والموازين . . وهكذا .

محمد مختار باشا

وقريب منهما محمد مختار باشا[١] ، وهو قاهرى أصيل ، ولد فى القاهرة سنة ١٨٣٥ ، وتلقى علومه الأولى فى مدرسة الحى (وهى مدرسة عباس الأول) ثم التحق بالمدرسة الحربية بالقلعة ، وفى سنة ١٨٦٠ فى عهد سعيد باشا فرز المتازون من طلبة المدرستين الحربيتين فى القلعة وفى الإسكندرية وألغيت المدرستان ، وضم هؤلاء الطلاب إلى مدرسة المهندسخانة السعيدية ، وكان محمد مختار واحداً منهم ، ذكر هو هذه الحقيقة فى كتابه التوفيقات الإلهامية ، قال :

« وفى هذه السنة الهجرية ١٢٧٧ (١٨٦٠ م) صار فرز النجباء من المدرستين الحربيتين بالقلعة واسكندرية وضمهم إلى

(١) انظر ترجمته فى :
- جورجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، ج ٢ ، ص ١٩٥ .
- جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ١٨١ – ١٨٣
- سركيس : معجم المطبوعات العربية
- محمد صبرى : مصر فى افريقيا الشرقية (هرر وزيلع وبربرة) القاهرة ١٩٣٩
- محمد مختار : التوفيقات الإلهامية ، القاهرة ١٣١٠ هـ

مدرسة المهندسخانة السعيدية بعد أن جعلت مدرسة حربية بيادة تحت إدارة دوبرناردى باشا ، وكان مؤلفه من ضمنهم ، كذا صار لغو مدرستى القلعة واسكندرية[1] » .

وقد انتظم بعد تخرجه فى خدمة الجيش المصرى ، وظل يرقى درجاته إلى أن منح رتبة اللواء سنة ١٨٨٦ .

وفى سنة ١٨٧٥ أرسلت حملة مصرية بقيادة محمد رؤوف باشا لفتح هرر ، وكان محمد مختار أركان حرب هذه الحملة[2] ، وقام هناك بأعمال جغرافية هامة ، فقد كشف المناطق الواقعة بين زيلع وهرر ، ووضع — بالاشتراك مع عبد الله فوزى — خريطة لمدينة هرر وضواحيها[3] .

وفى عهد الخديو عباس الثانى عين محمد مختار مأموراً للخاصة الخديوية ، وفى سنة ١٨٩٢ انتدب لتمثيل مصر والجمعية الجغرافية الخديوية فى المؤتمر الجغرافى الدولى المنعقد فى مدينة جنوا ، وقدم للمؤتمر بحثاً أثبت فيه — كما قال هو عن نفسه — : « أن قدماء المصريين كانوا يعرفون شكل الأرض كما هو معلوم الآن[4] » .

---

(١) التوفيقات الإلهامية ، ص ٦٣٩

(٢) التوفيقات الالهامية ، ص ٦٤٦ .

(٣) محمد صبرى : المرجع السابق ، ص ٧٣ — ٧٤ .

(٤) التوفيقات الإلهامية ، ص ٦٥٥ .

وقد عنى محمد مختار عناية خاصة بالأبحاث والدراسات التاريخية والجغرافية ، وألف كثيراً من الكتب والرسائل التاريخية ، بعضها باللغة الفرنسية والبعض الآخر باللغة العربية ، وشابه فى مؤلفاته زميليه على مبارك ومحمود الفلكى ، فأفاد كثيراً من دراساته العلمية الأولى فى الهندسة والرياضيات والفلك والجغرافيا وفنون الحرب فجاءت مؤلفاته التاريخية مطعمة بهذه العلوم متأثرة بها .

ومن أهم مؤلفاته الفرنسية مقاله القيم الذى دون فيه ملاحظاته عن إقليم هرر ، ونشر فى مجلة الجمعية الجغرافية تحت عنوان :

Notes sur le Pays de Harar. (Bulletin de la Société Khédiviale de Géographie du Caire. 1876).

أما مؤلفاته العربية فأهمها :

١ — التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية (من السنة الأولى للهجرة إلى ١٥٠٠ هـ) ، بولاق ١٣١٠ هـ .

٢ — جدول لتحويل المسطحات المترية إلى ما يقابلها من الفدن وكسورها وبالعكس ، بولاق ١٣١٤ .

٣ — رسالة فى تحديد أطوال المقاييس والموازين والمكاييل المستعملة بمصر ، ويليها جدول لمقارنة المقاييس المصرية بالمقاييس الإنجليزية والفرنسية ، بولاق ١٨٩١

٤ — المجموعة الشافية فى علم الجغرافيا (ومعها أطلس جغرافى) ، بولاق ١٢٨٩ هـ .

وقد ذكر جورجى زيدان أن له بعض الرسائل التاريخية الأخرى وإن كنت لم أستطع التحقق من أنها طبعت أو لا تزال مخطوطة ، وفيما يلى أهمها :

١ — رسالة فى سيرة الجنرال ستون الأمركانى وخدماته للحكومة المصرية .

— ترجمة حال محمود باشا الفلكى .

— مختصر فى بيان كيفية حساب التقويم لأوقات الصلاة .

— نبذة تتضمن إقامة البرهان على معرفة قدماء المصريين لحقيقة شكل الأرض[١] .

اسماعيل سرهنك باشا :

وممن ينتمى إلى هذه المدرسة إسماعيل سرهنك باشا صاحب كتاب « حقائق الأخبار عن دول البحار » .

والده سرهنك[٢] بك بن عبد الله أفندى الكريدى ،

---

(١) ذكر جورجى زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ١٨٤ أن له أيضا اختراع هام للمسلمين هو دليل القبلة الإسلامية العام .

(٢) ترجم له ابنه إسماعيل ترجمة مطولة فى (حقائق الأخبار ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ — ٤٥٣) .

أحضره إبراهيم باشا مع نفر كثير من أطفال وشبان جزيرة كريت ، وكانت سنه لما حضر إلى مصر لا تتجاوز السادسة ، فألحق بمدرسة الجهادية بقصر العيني في سنة ١٢٤١ هـ (١٨٢٥ م)، وبعد خمس سنوات — أي في سنة ١٢٤٦ (١٨٣٠) — نقل إلى المدرسة البحرية وأتم دراسته بها ، وتولى العمل بعد ذلك في البحرية المصرية وقيادة الكثير من سفنها ، وترقى في وظائفها إلى أن عين « باشمعاون البحرية » في عصر إسماعيل باشا .

ففي سنة ١٢٦٤ (١٨٤٨) صحب إبراهيم باشا عند سفره إلى الاستانة لاستلام فرمان الولاية .

وعندما ساهمت مصر ببعض سفنها لمساعدة تركيا في حرب القرم عين سرهنك بك قبوداناً لغليون الفيوم ، وسافر إلى البحر الأسود .

وفي أواخر عهد سعيد أحيل إلى المعاش ، ولكنه لم يلبث أن أعيد إلى الخدمة في أوائل عهد إسماعيل (سنة ١٢٧٩ هـ) ، وتنقل بعد ذلك في وظائف كثيرة ، بحرية ومدنية إلى أن أحيل إلى المعاش للمرة الثانية في سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) ، ثم توفى في سنة ١٣١٤ (١٨٩٥ م) .

أما ابنه إسماعيل — وهو من يعنينا هنا — فلم أعثر له — رغم البحث الطويل — على ترجمة تلقى الضوء على حياته وجهوده

فى البحرية أو فى التأليف التاريخى ، واضطررت لقراءة كتابه « حقائق الأخبار » بأجزائه الثلاثة قراءة بطيئة إلى أن جمعت من بين السطور هذه المعلومات التى أقنع بتقديمها هنا إلى أن أوفق إلى ترجمة أكثر تفصيلا .

ذكر إسماعيل سرهنك عند كلامه عن البحرية فى عصر إسماعيل أن الخديو « أمر ناظر البحرية بفتح مدرسة بحرية يدرس بها ما يدرس بالمدارس البحرية بأوربا ، فصدع بالأمر وانتخب لها من فيهم اللياقة من المدارس الملكية الأميرية ، وهم الحائزون على المعلومات الابتدائية ، وكنت من ضمنهم ، وجعلت تحت نظارة مكيلوب بك الإنجليزى »[1] .

فنحن نفهم من هذا النص أن إسماعيل سرهنك كان تلميذاً من التلاميذ الذين اختيروا للدراسة فى المدرسة البحرية الجديدة التى أنشئت فى عهد إسماعيل ، والتى كان يتولى نظارتها مكيلوب بك الإنجليزى ، وأنه عند التحاقه بهذه المدرسة كان قد أتم الدراسة الابتدائية .

وقد ذكر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم أن مكيلوب وصل إلى مصر وبدأ عمله فى المدرسة البحرية ابتداء من ١٥ صفر سنة ١٢٨٥ هـ (مايو ١٨٦٨)[2] بعد إنشائها بقليل ، وأن تلاميذ

---

(١) حقائق الأخبار ، ج ٢ ؛ ص ٢٨٣ .

(٢) أحمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم فى مصر ، عصر إسماعيل ص ٦٨٣ .

المدرسة «كانت تتراوح أعمارهم بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة وحصلوا العلوم الابتدائية »[1] .

نستطيع إذن أن نقول إن إسماعيل سرهنك كان عند التحاقه بالمدرسة البحرية قد أتم دراسته الابتدائية ، وأن سنه كانت تتراوح بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة ، فإذا عرفنا أن المدرسة البحرية أنشئت فى أواخر سنة ١٨٦٧ أمكن أن نقول إنه ولد حوالى سنة ١٨٥٤ م .

أما تاريخ وفاته فمعروف ، فقد ذكرت المراجع أن توفى سنة ١٩٢٤ ، ولعل هـذا هو السبب فى عدم عثورنا على ترجمة له ، فإن أحداً لم يعن حتى الآن بالترجمة لرجال القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى) .

وقد ألحق إسماعيل بعد تخرجه ضابطا بالبحرية وترقى فى وظائفها المختلفة ، وتولى قيادة كثير من سفن الأسطول المصرى وشارك فى كثير من الحملات البحرية التى قامت بها مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر إما فى البحر الأحمر لبسط نفوذها فى إفريقيا ، أو فى البحر الأبيض المتوسط لمساعدة الدولة العثمانيه فى حروبها مع الصرب وروسيا .

ففى سنة ١٨٧٢ أرسلت الباخرة المحروسة إلى لندن لإصلاحها وكان قبودانها هو قاسم باشا ، ولما تم إصلاحها أبحرت إلى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٨٤ .

القسطنطينية ، وكان إسماعيل سرهنك واحدا من ضباطها أثناء هذه السفرة[١] .

وفى اكتوبر سنة ١٨٧٥ فتح رؤوف باشا مدينة هرر ، وبعد قليل ثارت قبائلها ، وقطعت الطرق بين زيلع وهرر « وعند ذلك سارت من مصر على وجه السرعة أورطتان معهما بطارية من المدافع على باخرة المحروسة » ، يقول إسماعيل سرهنك : « وكنت وقتها من ضباط باخرة المحروسة ، ولما وصلت هذه الجنود إلى زيلع ، وعلمت القبائل بها تشتتوا ، فعاد الأمن إلى ما كان عليه قبلا »[٢] .

وقال عند كلامه عن تجريد الحملة المصرية إلى الحبشة فى عصر إسماعيل : « وأمر المرحوم قاسم باشا وكيل البحرية بسوق كل السفن والبواخر الأميرية الموجودة بثغر الإسكندرية إلى البحر الأحمر . . . وقاد قاسم باشا المحروسة بنفسه ، وكنت من ضباطها ، وأخذت السفن تنقل الجيوش من السويس إلى مصوع . . »[٣] .

وفى ١٨٧٦ سافرت المحروسة لمساعدة الأسطول التركى فى الحرب القائمة بين الدولة العثمانية والصرب[٤] ، وكان قومندان

---

(١) حقائق الأخبار ، ج ٢ ، ص ٢٨٥

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٢٥ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٣٣٠ .

(٤) « « ، ص ٣٥٠ .

المحروسة هو قاسم باشا ، وكان إسماعيل سرهنك أركان حرب له .

وفى سنة ١٨٧٨ كان إسماعيل سرهنك ياوراً حربياً لقاسم باشا على السفن التى ذهبت لمساعدة تركيا فى حربها مع الروسيا[١] .

وفى سنة ١٨٨٠ — فى عهد توفيق — كان إسماعيل سرهنك قبوداناً ثانياً للدراعة « دنقلة » التى تتولى خفارة ميناء بور سعيد[٢] .

وفى سنة ١٨٨٣ عين قبوداناً لفرقاطة محمد على[٣] .

وبعد فشل الثورة العرابية واحتلال الإنجليز لمصر ألغيت البحرية المصرية ، ثم أصلح قرويت الصاعقة ، وجعل لتمرين تلامذة المدرسة البحرية ، وعين إسماعيل سرهنك مأموراً للبطارية ومعلماً لفنى الحرب والطوبجية البحرية[٤] .

وقد سكت إسماعيل سرهنك بعد ذلك فلم يذكر شيئاً عن الوظائف التى تولاها ، أو متى أحيل إلى المعاش ، ولكن كتابه « حقائق الأخبار » الذى بدئ فى طبعه فى شوال سنة ١٣١٢ هـ (مارس ١٨٩٥) ذكر على غلافه أنه من تأليف « إسماعيل سرهنك باشا ناظر المدارس الحربية » .

---

(١) نفس المرجع ، ص ٣٥٢ .

(٢) « « ، ص ٤٤٦ .

(٣) « « ، ص ٤٤٩

(٤) « « ، ص ٤٤٨ .

وإسماعيل سرهنك ولو أنه يعتبر من رجال القرن العشرين لأنه توفى فى نهاية الربع الأول منه (سنة ١٩٢٤)، إلا أننا ألحقناه بمؤرخى القرن التاسع عشر لأنه عاش معظم حياته فى هذا القرن، ولأنه ألف كتابه « حقائق الأخبار » — موضوع دراستنا هنا — فى أواخر القرن التاسع عشر، وطبع الجزء الأول منه فى بولاق سنة ١٨٩٦، وطبع الجزء الثانى سنة ١٨٩٨، أما الجزء الثالث فقد طبع قسم يسير منه فى سنة ١٩٢٣ قبل وفاته بسنة واحدة.

وقد حدد الغرض من تأليف الكتاب فى مقدمته، قال : « وبعد، فلما كان الواجب على كل صاحب علم أو صناعة أن أن يجود بمعلومه ويظهره لإفادة أبناء بلاده، ليقوم ببعض الواجب عليه نحو وطنه، وكانت المؤلفات العصرية التاريخية فى اللغة قليلة لا تفى بالمرام، وإن شئت فقل إنها لا تشفى عليلا، ولا تروى غليلا، خصوصاً ما اختص منها بتاريخ الدول البحرية، ذات الشأن الأول فى توسيع نطاق المدنية الحاضرة، وتسهيل سبل المواصلات البعيدة، وكانت أهمية التاريخ ومنافعه كما لا يخفى ضرورة لجميع طبقات الأمة، لهذا كان يجول فى خاطرى من زمن طويل أن أضع فى هذا الخصوص مؤلفا شاملا لتواريخ الدول البحرية القديمة والحديثة، مداركة لهذا النقص ... الخ ».

وقد رجع المؤلف عند وضع كتابه إلى عدد ضخم من المراجع القديمة والحديثة المكتوبة باللغات التى كان يتقنها ، وهى العربية والتركية والإنجليزية والفرنسية ، كما استعان بعدد كبير من المجلات والنشرات الدورية المتصلة بتاريخ الدول والأمم التى أرخ لها ، أو بموضوع البحرية بوجه خاص .

أما المعين الأكبر الذى استقى منه كثيراً من المعلومات والحقائق — وبخاصة عند التأريخ للبحرية الإسلامية أو العثمانية أو المصرية — فهو معلوماته وتجاربه ودراساته الخاصة ، فقد كان أبوه منذ طفولته إلى أن مات من رجال البحرية ، وكان هو كذلك تلميذاً بالمدرسة البحرية ثم قضى حياته على سفنها ، وتدرج فى وظائفها إلى أن وصل إلى أعلى رتبها وهى رتبة فريق[1] قبيل موته ، وعمل مع معظم رجال البحرية المصرية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وكانت تربطه وإياهم أواصر الزمالة أو الصداقة ، كما شارك فى معظم العمليات الحربية البحرية التى ساهمت فيها مصر فى ذلك الوقت لمد نفوذها فى إفريقيا أو لمساعدة تركيا فى حروبها مع الصرب والروسيا .

---

(١) كتب على غلاف الجزئين الأول و الثانى من « حقائق الأخبار » أنهما من تأليف « الميرالاى إسماعيل سرهنك ناظر المدارس البحرية » ، وكتب على غلاف القسم الأول من الجزء الثالث المطبوع سنة ١٩٢٣ قبل وفاة المؤلف بسنة واحدة أنه من تأليف « الفريق إسماعيل سرهنك باشا » .

وقد أشار هو إلى مراجعه هذه في المقدمة فقال : « ... وتجردت لتصنيفه ، وجمعه وترصيفه ، مستعيناً في ذلك بأشهر المؤلفات العربية والتركية والإفرنجية ، القديمة والحديثة ؛ وبما ينشر عند أغلب الأمم من النشرات الدورية العلمية والبحرية ، وبما لدى من المعلومات التاريخية البحرية ، لأنني ممن تخرج من المدرسة البحرية المصرية ، ومارس فن البحر زمناً طويلاً في سفن الحكومة المصرية : الحربية وغير الحربية ، ولقد بذلت في ذلك مزيد العناية والتنقيب ، والتلخيص والترتيب ، فجاء كما أحب سفراً جامعاً شاملاً لأشتات المسائل التاريخية ، والوقائع البحرية والبرية ، القديمة والحديثة ، بين شرقية وغربية ... »

والمتصفح للكتاب يدرك لأول وهلة المجهود الضخم الذي بذله إسماعيل سرهنك عند وضع كتابه ، فهو لا ينسى المصادر القديمة فيرجع إلى ابن خلدون والمقريزي وخليل بن شاهين والقلقشندي وغيرهم من المؤرخين الإسلاميين ، وإذا وصل إلى العصر الحديث تضخمت مكتبة مراجعه وكثر عددها وتعددت ألوانها ولغاتها ، فهو يرجع عند تأريخه لبحرية مصر إلى « المؤرخ الإنجليزي جون كارنوك[1] » وإلى « الأميرال الفرنسي جوريان دولاغرافيه في كتابه في البحرية المصرية دوريا

---

(١) حقائق الأخبار ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

وباربارس»[١] ، وإلى « فلكس مانجان فى تاريخه عن مصر المطبوع فى باريس سنة ١٨٣٩ »[٢] ، وإلى « إدوار جوان فى كتابه مصر المطبوع فى القرن التاسع عشر » ، وإلى « تاريخ كلوت بك المطبوع فى باريس » ، وإلى « المستر ماك كون فى كتاب ألفه عن تاريخ الخديو إسماعيل باشا »[٣] .. الخ .. الخ .

أما المراجع العربية فهو يرجع إلى أحدثها وأوثقها ، وكثير منها من تأليف مؤرخين معاصرين للأحداث التى يكتب عنها ، فهو عند التأريخ للجيش والبحرية فى عصر محمد على مثلاً يرجع إلى كتاب الشيخ خليل بن أحمد الرجبي الشافعى أحد علماء الأزهر عن « تاريخ محمد على باشا » ويشير إلى أنه رجع إلى النسخة المخطوطة من هذا الكتاب المحفوظة فى دار الكتب الخديوية (المصرية) .

وهو عند التأريخ للتوسع المصرى فى أفريقيا يرجع لكثير من المراجع التى كتبها المعاصرون ، مثل كتاب « جبر الكسر فى الخلاص من الأسر »[٤] لمحمد رفعت (أحد الضباط المصريين

---

(١) نفس المرجع ؛ ص ٣٨

(٢) « « ، ص ٨٩ .

(٣) « « ، ص ٣٥٧ .

(٤) طبع هذا الكتاب فى مطبعة الآداب والمؤيد ، القاهرة ١٣١٤ هـ .

الذين أسروا إبان الحملة المصرية على الحبشة) ، وكتاب « تاريخ الحرب السودانية »(١) لجبرائيل حداد ، وكتاب « غرائب الزمان فى فتح السودان »(٢) لمحمود طلعت ، و« دليل أفريقيا » لمحمد محسن بك الكاتب الثانى للمندوب العالى السلطانى بمصر ، وكتاب « السيف والنار فى السودان » لسلاتين باشا ، و « رحلة سليم قبودان إلى أعالى النيل » . أما عند التأريخ لمصر فى العصر الحديث فقد رجع إلى عدد كبير من الكتب التى ألفها معاصروه ، ومنها على سبيل المثال : « البحر الزاخر » لمحمود فهمى ، و « مصر للمصريين » لسليم نقاش ، و « التعليم فى مصر » ليعقوب أرتين ، و « قاموس القضاء والإدارة » لفيليب جلاد .. الخ .. الخ .

ولم يغفل إسماعيل سرهنك عن أهمية الصحف والمجلات كمرجع رئيسى ، ففى كتابه إشارات كثيرة إلى الرجوع إلى « الوقائع المصرية » وإلى « جريدة الطائف » التى كان يصدرها العرابيون .

وقد رجع سرهنك إلى مرجع آخر يفوق هذه المراجع جميعا فى الأهمية ، وإن كان لم يحصه ضمن مراجعه التى ذكرها فى

(١) نشر هذا الكتاب تباعا فى مجلة اللطائف ثم طبع بعد ذلك فى القاهرة ١٨٨٧ م .

(٢) طبع فى مطبعة السلام بالقاهرة ١٣١٤ هـ .

مقدمته ، وذلك هو وثائق العصر الذى عاش فيه ؛ فالكتاب مليء بعدد كبير جداً من الوثائق الهامة التى تلقى أضواء جديدة على تاريخ مصر والدول التى اتصلت بها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وقد استطاع إسماعيل سرهنك أن يحصل على صور هذه الوثائق بحكم مركزه والوظائف العامة التى تولاها فى البحرية ، وصلات الصداقة والزمالة التى كانت تربط بينه وبين كثير من رجال الحكم والجيش والبحرية ، وبعض هذه الوثائق نادر لا يوجد فى مرجع آخر ، فهو قد أورد مثلاً ثبتاً قيماً بأسماء سفن مصر ومقاساتها وأبعادها فى عصر محمد على ، ونص على أنه عثر على هذا الثبت مكتوباً بخط المرحوم حسن باشا الاسكندرانى (قائد الأسطول المصرى فى ذلك العصر) « عند ولده صاحب السعادة محسن باشا »[1] .

وأورد كذلك بياناً كاملا بالاستحكامات العسكرية على الشواطئ المصرية فى عهد محمد على وما كان بها من المدافع والذخائر ، وقال إنه عثر على هذا البيان « بين أوراق قديمة من أوراق المرحوم حسن باشا الإسكندرانى مدير دار الصناعة »[2] .

ومن الوثائق الهامة النادرة التى أوردها إسماعيل سرهنك فى كتابه :

---

(١) حقائق الأخبار ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .
(٢) نفس المرجع ، ص ٢٥٨

— صورة خطاب كتبه السلطان ماجد بن سعيد سلطان زنجبار فى المحرم سنة ١٢٨٢ إلى الخديو إسماعيل ، وأعطاه لمصطفى باك العرب قائد السفينتين المصريتين : الإبراهيمية وسمنود ، بمناسبة مرورهما بزنجبار فى طريقهما من البحر الأبيض إلى البحر الأحمر عن طريق رأس الرجاء الصالح .

— خطاب من الخديو إسماعيل إلى الأمير محمد بن عائض أمير عسير والخطاب بقلم عبد الله باشا فكرى ، وتاريخه شعبان سنة ١٢٨٢ هـ .

— خطاب بقلم عبد الله باشا فكرى مرسل فى أكتوبر سنة ١٨٦٧ من الخديو إسماعيل إلى تيودورس ملك الحبشة للتوسط بينه وبين الحكومة الإنجليزية لإطلاق سراح التجار والقسس الإنجليز الذين كان قد أسرهم ملك الحبشة .

— خطاب بقلم عبد الله فكرى مرسل من الخديو إسماعيل إلى سلطان مراكش محمد بن عبد الرحمن ، رداً على خطاب كان قد أرسله إليه يطلب فيه تعليم بعض شبان المغرب فنى الطباعة وصناعة البارود فى مصر .

— مشروع معاهدة كان يعرضها سلطان زنجبار راغباً دخول مملكة زنجبار تحت حماية مصر بشرط أن يكون لها إزاء الدولة العثمانية نفس الحقوق التى لمصر . . . الخ . الخ .

١٣٠٧هـ .

والمنهج الذى وضعه المؤلف لكتابه هو التأريخ للدول ذات التاريخ البحرى فى العصور القديمة والحديثة ، وطريقته عند التأريخ لكل دولة أن يتكلم عن موقعها الجغرافى ثم يؤرخ لثغورها الحربية والتجارية ، ويتبع ذلك بالحديث عن الدولة « وتأسيسها ، ومشاهير ملوكها ، وما حدث فى زمنهم من الحوادث المهمة ، وقوتها البحرية ، وسفنها الحربية ، وغير ذلك مما له مساس بهذا الخصوص »(١) .

وقد قسم كتابه ثلاثة أجزاء .

فقدم للجزء الأول بمقدمة عامة فى البحرية والملاحة عند الدول الأوربية والدول الإسلامية ، وأتبعها بتاريخ موجز للإنسان منذ الخليقة ولحادثة الطوفان ، ثم أرخ فيه للدول البحرية فى العصور القديمة (وهى دول الفينيقيين والميديين والفرس واليونان والرومان) ، ثم لدول العرب قبل الإسلام وبعده ، وخاصة دول شمال إفريقية (مراكش والجزائر وتونس) والدولة التركية العثمانية .

أما الجزء الثانى فقد خصصه للتأريخ لمصر فى كل عصورها القديمة والوسيطة والحديثة (وهو أهم أجزاء الكتاب) .

والجزء الثالث خصصه للتأريخ لبقية دول أوربا الحديثة وهى إنجلترا وفرنسا والروسيا وألمانيا والسويد والنرويج والدانمارك

---

(١) مقدمة حقائق الأخبار .

وهولاندة والبلجيقا والنمسا وإيتاليا وإسبانيا والبرتغال ومملكة اليونان الحديثة[١] ، غير أنه لم يطبع من هذا الجزء إلا قسم يسير يتضمن التاريخ لفرنسا إلى عصر شارل السابع .

ولسنا نعرف شيئاً عن مصير بقية الكتاب ، هل أتم المؤلف كتابته ولم يطبع ، أم أنه توفى قبل أن يتمه[٢] .

والكتاب على هذا الوضع يدخل فى نطاق مجموعة الكتب التى كتبت فى مصر فى القرن التاسع عشر للتأريخ للعالم ، من أمثال « البحر الزاخر » لمحمود فهمى ، و « الكافى » لشاروبيم ، ولكنه يختلف عنها فى أن المؤلف ركز اهتمامه عند التأريخ لكل دولة بالبحرية وكل ما يتصل بها كالأسطول وأنواع السفن ودور الصناعة وفن الملاحة والحرب البحرية ومواقعها والترجمة لمشاهير قواد البحر وأمرائه . . . الخ .

---

(١) مقدمة « حقائق الأخبار » ، ولاحظ أن الخطة التى وضعها المؤلف لكتابه لم تتضمن التأريخ للأمريكتين ، بل اقتصر فيها على العالم القديم وحده .

(٢) قدم إسماعيل سرهنك فى افتتاحية القسم الأول من الجزء الثالث عذرين لتأخره فى إتمام الكتاب ، أما العذر الأول فهو تغير الحالة السياسية ، ولعله يقصد الحرب العالمية الأولى وما أعقبها من قيام ثورة سنة ١٩١٩ ، وأما العذر الثانى فهو إلغاء مطبعة بولاق لنماذج الحروف التى طبع بها الجزءان الأول والثانى من الكتاب ، ووضعها لحروف جديدة « تخالف رسم هذا الطبع ، فأصبح الاستمرار فيه متعذرا بالشكل الجديد لتباين الرسم والقاعدة القديمة » .

وأهم أجزاء الكتاب — كما أسلفنا — هو الجزء الخاص بمصر أولا ، وبالدولة العثمانية ثانياً ، فهو عند التأريخ لدول العالم الأخرى لم يفعل أكثر من أن لخص ونقل عن الكتب الأوربية ، أما الأجزاء الخاصة بمصر والدولة العثمانية فمليئة بالبيانات والإحصاءات والوثائق الهامة النادرة التى لا نكاد نجدها فى مرجع آخر ، وفيها كذلك تراجم وافية مفيدة لعدد كبير من رجال البحرية[1] والجيش والدولة فى مصر فى القرن التاسع عشر .

وإسماعيل سرهنك ينتمى فى كتابه هذا إلى مدرسة على مبارك فهو قد تثقف ثقافة عسكرية ، ودرس فى المدرسة البحرية علوم الفلك والجغرافية والرياضة ، وفن الملاحة وخرط البحار ، وفن الداونمة البحرية ، والتاريخ البحرى . . . الخ ، كما درس اللغات العربية والتركية والإنجليزية ، وقد أفاد من هذه الثقافة العسكرية العلمية كثيراً عند تأليف كتابه ، والأثر واضح فى شروحه وتعليقاته الكثيرة التى حاول فيها أن يعرف بأنواع السفن والمصطلحات البحرية والحربية التى ورد ذكرها فى ثنايا كتابه .

* * *

(١) من القواد والقبودانات الذين ترجم لهم — على سبيل المثال لا الحصر — : مطوش باشا ، حسن باشا الإسكندرانى ، سليمان حلاوة قبودان ، لطيف باشا ، رضوان باشا ، مصطفى باشا الطوسيه لى ، مصطفى باشا العرب ... إلخ .. إلخ .

المؤرخون الآثاريون :

ننتقل بعد هذا إلى الكلام عن الفريق الثانى من أفراد مدرسة على مبارك ، وهو الفريق الذى قرن بين دراسة التاريخ ودراسة الآثار ، والذى عنى عناية كبيرة بتاريخ العصور القديمة بعامة وبتاريخ مصر الفرعونية بخاصة ، ولا بد لنا قبل الحديث عن هذا الفريق أن نلقى نظرة على الدراسات الأثرية فى مصر وتطورها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

كان للخديو إسماعيل اهتمام خاص بالآثار المصرية القديمة والبحث عنها وصيانتها ، وإليه يرجع الفضل فى إنشاء دار الآثار المصرية وتشجيع مرييت باشا على البحث والحفر والتنقيب .

وقد خطا إسماعيل بعد هذا خطوة أخرى ففكر فى إعداد فئة من الشبان المصريين لدراسة اللغات القديمة والتاريخ والآثار ليشتركوا مع العلماء الأوربيين فى الحفر والبحث عن الآثار ودراستها وصيانتها .

وتنفيذاً لأمر إسماعيل اختير عدد من تلاميذ التجهيزية لدراسة اللغتين الحبشية والمصرية القديمة ، واختير العالم الألمانى هنرى بروكش H. Brugsch الأمين الأول لمتحف الآثار المصرية ببرلين والعضو الفخرى بالمجمع المصرى ليشرف على إعداد هذه النخبة من الشبان المصريين .

ورحب بروكش بهذه الدعوى ووصل إلى القاهرة فى منتصف سنة ١٨٦٩ ، وأعدت له الحكومة منزلا ليكون سكنا له ومدرسه لتلاميذه ، وهى المدرسة التى سميت باسم «مدرسة اللسان القديم» ، وكانت المدرسة تتكون من عشرة تلاميذ ، أخذ بعضهم من مدرسة الإدارة ، وبعضهم من مدرسة المساحة والمحاسبة ، وبعض ثالث من المدرسة التجهيزية ، وكان بروكش يدرس لهم اللغتين المصرية القديمة والألمانية ، ويعاونه مدرسون آخرون لتدريس اللغات الحبشية والعربيةو الإنجليزية والفرنسية .

وكان بروكش يصحب تلاميذه فى رحلاته إلى الصعيد لدراسة الآثار دراسة عملية .

ولكن هذه المدرسة لم تعمر طويلا ، فبعد نحو خمس سنوات سافر بروكش إلى ألمانيا وتعذرت عودته ، فصدر الأمر بإغلاق مدرسة اللسان المصرى القديم فى أواخر سنة ١٨٧٤ ، وشتت تلاميذها موظفين فى المصالح الحكومية المختلفة أو مترجمين بديوان المكاتب الأهلية ، يقول الدكتور أحمد عزت عبد الكريم فى كتابه « تاريخ التعليم فى عصر إسماعيل » : « وكان على مبارك باشا يعلق على نشاطهم فى ترجمة الكتب آمالا كبيرة ، وقد عمل أكثرهم معلمين بالمدارس الابتدائية والتجهيزية للغات الأجنبية — والألمانية خاصة — والتاريخ والجغرافيا »[1] .

---

(1) ص ٧٢ — ٧٤ .

ومع أن هذه المدرسة التاريخية الأثرية لم تعمر طويلا فقد أسهم عدد من خريجيها فى حركة التأليف التاريخى فى مصر فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وأضافوا إلى المكتبة العربية عدداً من الكتب فى الآثار والتاريخ القديم ما بين مترجمة ومؤلفة ؛ بل لقد نبغ واحد من هؤلاء التلاميذ نبوغاً ظاهراً ، وكون لنفسه مدرسة جديدة من الأثريين المصريين هم الذين سيحملون عنه العبء ، وسيقومون بالنهضة الأثرية من حفر وتنقيب ودراسة وتأليف فى القرن العشرين ، ذلك التلميذ هو أحمد كمال باشا .

كان لبعض تلاميذ هذه المدرسة — كما أسلفنا — جهود فى حركة التأليف التاريخى بعد إغلاق المدرسة ، ولكنها كلها — فيما عدا جهود أحمد كمال — جهود ضحلة قليلة الأثر والقيمة ، ومع هذا آثرنا إثبات ما عثرنا عليه هنا لما له من دلالة .

كان تلاميذ هذه المدرسة عشرة[1] ، عثرنا على بعض جهود ثلاثة منهم — عدا أحمد كمال — وهم : أحمد نجيب ، وحسين زكى ، وأحمد حسن .

أما أحمد نجيب فقد عين بعد ذلك مفتشاً وأميناً لعموم الآثار

(١) ذكر (الدكتور احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر ، عصر إسماعيل ، ص ٥٧٠ — ٥٧١) أسماء هؤلاء العشرة وهم : محمد توفيق ، أحمد نجيب ، على جيد ، محمد فخرى ، محمد عصمت ، محمد وصفى ، إبراهيم نجيب ، أحمد حسن ، حسين زكى ، أحمد كمال .

المصرية ثم اشتغل بالصحافة ، وأصدر جريدة اسمها « المنظوم » ، وله فى التاريخ الكتب الآتية :

١ — الأثر الجليل لقدماء وادى النيل ، موضح بالصور ، طبع فى بولاق سنة ١٣٠١ .

٢ — العقد النظيم فى مآخذ جميع الحروف المصرية من اللسان القديم ، ترجمه عن كتاب لأستاذه هنرى بروكيش ، طبع فى مطبعة المدارس الملكية ، ١٢٨٩ هـ .

٣ — القول المفيد فى آثار الصعيد ، وطبع فى بولاق سنة ١٣١٠ هـ .

وأما حسين زكى فقد اشتغل بعد ذلك بتدريس اللغة الفرنسية وعين أميناً لتوريدات المدرسة الخديوية ، وقد عثرت له على الكتابين التاريخيين التاليين :

١ — تاريخ الأمم الشرقية القديمة ، التقطه من كتب اللغة الفرنسية والعربية ، طبع فى مطبعة المقتطف سنة ١٨٩٢ .

٢ — يقظة الغافلين عن سير وحكم أشهر الفلاسفة الماضين ، معرب طبع فى القاهرة (بدون تاريخ) .

وقد عثرت على من اسمه أحمد حسن ، وكان ناظراً لمدرسة عباس الأميرية ببولاق فى سنة ١٣١٢ ، فلعله هو أحمد حسن أحد تلاميذ مدرسة اللسان القديم ، وله كتاب واحد فى التاريخ

القديم عنوانه : « لب التاريخ العام فيما صدر فى غابر الأعوام » ، وهو يبدأ بتاريخ مصر القديم وينتهى بالفتوح الإسلامية ، طبع فى القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ .

ولكن أحمد كمال كان الثمرة الوحيدة الباقية لأول مدرسة للآثار فى مصر .

أحمد كمال باشا :

ولد أحمد كمال فى القاهرة(١) فى سنة ١٨٥٠ ، وتلقى علومه الأولى فى مدرسة المبتديان بالعباسية ، ثم التحق بالمدرسة التجهيزية ، ومنها اختير ليكون تلميذاً بمدرسة اللسان المصرى القديم حيث درس اللغات العربية والفرنسية والألمانية والقبطية والحبشية والمصرية القديمة ، وأتقن معظمها إلى حد كبير

وكان أحمد كمال أكثر تلاميذ المدرسة شغفاً بالآثار ودراستها ، ولهذا حاول كثيراً بعد إغلاق المدرسة أن يعمل فى المتحف المصرى ولكنه لم يفلح فى مسعاه ، وتقلب فى وظائف كثيرة ، فكان مترجماً فى نظارة المعارف ، ثم مدرسا للغة الألمانية فى المدارس الأميرية ، ثم كاتباً فى مصلحة الجمارك ، ولكنه ظل أثناء توليه هذه الوظائف جميعاً مقبلا على دراسة الآثار إلى أن وفق أخيراً

---

(١) انظر ترجمته فى (مجلة المقتطف ، نوفمبر سنة ١٩٢٣) و (أعلام المقتطف ، ص ٣١٥ — ٣١٨) و (سركيس : معجم المطبوعات العربية) .

بمساعدة رياض باشا فى أن يعين سكرتيراً ومترجماً بالمتحف المصرى ثم أميناً مساعداً له ، وقد قام بعد هذا بالحفر والتنقيب فى أماكن كثيرة فى الصعيد والوجه البحرى ، ونشر كثيراً من الأبحاث عن نتائج هذه الحفائر .

وخير ما يذكر لأحمد كمال عنايته الكبرى ومساعيه المتصلة فى أوائل القرن العشرين لنشر الوعى الآثارى بين المصريين ولإعادة مدرسة الآثار أو اللسان المصرى القديم إلى الوجود ، فسعى فى سنة ١٩١٠ لدى حشمت باشا وزير المعارف للموافقة على تعليم اللغة المصرية القديمة لبعض طلبة المدارس العليا ، ونجح أحمد كمال فى مسعاه ، واختير سبعة من طلبة مدرسة المعلمين العليا لدراسة هذه اللغة وهم : محمود حمزة ، وسليم حسن ، ومحمد عبد الوهاب ، ومحمود فهيم ، ورياض جندى ملطى ، وأحمد البدرى ، ورمسيس شافعى ، وكان يشاركهم فى حضور دروس أحمد كمال فى اللغة المصرية القديمة ابنه حسن كمال ، وبعد أن حصل هؤلاء الطلاب على دبلوم المعلمين العليا حاول أحمد كمال أن يلحقهم بالمتحف المصرى ليتفرغوا لدراسة الآثار ، ولكنه لم يفلح ، وعينوا مدرسين فى مدارس الوزارة ، غير أن اثنين منهم ظلا على اتصال وثيق بأستاذهما وبالدراسات الأثرية ، وهما محمود حمزة وسليم حسن .

وفى عام ١٩٢١ شكا أحمد كمال للملك أحمد فؤاد من عدم

وجود أثريين مصريين فى المتحف المصرى ، فأمر الملك باختيار ثلاثة من الشبان المصريين ليرسلوا فى بعثة إلى أوربا للتخصص فى دراسة الآثار المصرية ، وهم : محمود حمزة وسليم حسن وسامى جبرة ، وقد عين الأول بعد عودته أميناً بالمتحف المصرى ، وعين الثانى والثالث أستاذين للآثار والتاريخ القديم بالجامعة المصرية ، وكانت للجميع ولتلاميذهم من بعدهم جهود كبيرة فى الحفر والتنقيب ودراسة الآثار .

وقد ألف أحمد كمال مجموعة كبيرة من الكتب فى الآثار والتاريخ القديم واللغة المصرية القديمة ، بعضها باللغة الفرنسية ، وبعضها باللغة العربية .

أما مؤلفاته باللغة الفرنسية فهى :

١ — صفائح القبور فى العصر اليونانى والرومانى ، فى مجلدين ، الأول يشمل على النقوش منقولة عن الأصل ، والثانى يضم ٩٠ لوحة فوتوغرافية لتلك الصفائح .

٢ — الموائد القديمة من الطبقة الوسطى إلى العهد الرومانى ، وهو كتاب أثرى ، ويقع فى جزئين ، أحدهما يشمل النصوص القديمة ، والثانى فيه ٥٥ لوحة فوتوغرافية لتلك الموائد .

٣ — الدر المكنوز فى الخبايا والكنوز ، فى مجلدين ، الأول باللغة العربية والثانى باللغة الفرنسية .



أحمد كمال

٤ — رسالة فى الملابس المصرية .

٥ — رسالة فى الإشارات الهيروغليفية .

٦ — مقالات علمية عن الحفائر التى قام بها نشرت فى مجلات مختلفة مثل مجلة المتحف المصرى ، ومجموعة الأعمال المصرية القديمة والأشورية ، ومجلة المعهد العلمى المصرى ، ومجلة الجمعية الجغرافية وغيرها .

٧ — قاموس اللغة المصرية القديمة ، قضى فى تأليفه حوالى ٢٥ سنة ، ويقع فى ٢٢ مجلداً ، وحاول فيه أن يبرهن على وجود علاقة كبيرة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية ، وقد حاول فى أخريات أيام حياته أن يقنع الحكومة بطبع هذا القاموس على نفقتها ، ولكنه لم يفلح .

أما مؤلفاته العربية فهى :

١ — بغية الطالبين فى علوم وعوائد وصنائع وأحوال قدماء المصريين ، مطبعة مدرسة الفنون والصنائع ، ١٣٠٩ .

٢ — ترويح النفس فى مدينة الشمس ، بولاق ١٢٩٥ .

٣ — الحضارة المصرية القديمة (ويتضمن المحاضرات التى ألقاها على طلبة الجامعة المصرية القديمة) ، الجزء الأول فى حضارة المصريين القدماء ، (وفى مقدمته ترجمة حياة المؤلف) .

٤ — الدر المكنوز فى الخبايا والكنوز ، الجزء الأول باللغة العربية والثانى بالفرنسية ، القاهرة (بدون تاريخ) .

٥ — الدر النفيس فى مدينة ممفيس ، القاهرة ١٩١٠ .

٦ — العقد الثمين فى محاسن أخبار وبدائع آثار الأقدمين من المصريين ، بولاق ١٣٠٠ .

٧ — الفوائد البهية فى قواعد اللغة الهيروغليفية ، بولاق ١٣٠٣ .

٨ — اللآلئ الدرية فى النبات والأشجار القديمة المصرية (قاموس للنباتات المصرية القديمة) القاهرة ١٣٠٦ .

٩ — الخلاصة الدرية فى آثار متحف الإسكندرية ، تأليف الدكتور بونى أمين المتحف ، وترجمة أحمد كمال ، مطبعة عين شمس ١٩٠١ .

١٠ — الخلاصة الوجيزة ودليل المتفرج بمتحف الجيزة ، القاهرة ١٣١٠ .

١١ — دليل دار المتحف المصرية الفاخرة لمدينة القاهرة ، تأليف ماسبيرو وترجمة أحمد كمال ، بولاق ١٩٠٣ .

* * *

وفى الربع الأخير من القرن التاسع عشر بدأ نفر من المصريين ومن العلماء الأجانب المقيمين فى مصر يعنون بالآثار الإسلامية عنايتهم بالآثار المصرية القديمة ؛ واستجابت الحكومة لهذا الاتجاه ، وصدر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٨٨١ ديكريتو بتكوين لجنة من ١٢ عضواً لحفظ الآثار القديمة العربية ، ونص فى قرار تكوينها على اختصاصاتها وهى: جرد وحصر الآثار العربية القديمة وصيانتها وحفظها من التلف ، وترميم ما يحتاج منها إلى ترميم ، وعمل رسوم لها تحفظ بمكتبة وزارة الأوقاف ، وجمع ما بها من تحف لتحفظ فى « الأنتيكخانة » .

وكان لإنشاء هذه اللجنة وللبدء فى العناية بهذا النوع من الآثار أثر قوى فى إحياء الدراسات التاريخية الإسلامية بعد أن كانت قد أهملت ردحاً طويلا من الزمن .

وكان من بين الأعضاء المصريين الأول فى هذه اللجنة محمود الفلكى وإسماعيل الفلكى ، ثم لم يلبث أن انضم إليها بعد قليل على بهجت ، وقد كانت لهذا الرجل جهود كثيرة جليلة فى خدمة تاريخ مصر الإسلامية وآثارها .

على بهجت بك :

وعلى بهجت[١] من أبناء القاهرة ، ولد فيها حوالى سنة ١٨٥٩ ، وفى مدارسها أتم دراسته الابتدائية والثانوية ، ثم التحق بمدرسة الألسن ، وأتقن دراسة اللغتين العربية والفرنسية ، وحصل قدراً كبيراً من اللغات الفارسية والتركية والألمانية ، وشغف حباً بدراسة التاريخ الإسلامى ، وعين بعد تخرجه مدرساً للتاريخ بمدرسة الألسن ، وتنقل فى وظائف مختلفة إلى أن عين أميناً لدار الآثار العربية بعد إنشائها ، ومثل مصر فى مؤتمر المستشرقين المنعقد فى روما سنة ١٨٩٩ ، وزار كثيراً من مدن أوربا ومكتباتها ، ويرجع إليه الفضل الكبير فى ترتيب دار الآثار العربية بالاشتراك مع مديرها هرتس باشا ، وقام بحفائر أثريه علمية فى أطلال مدينة الفسطاط ، وسجل نتائج حفائره فى كتاب كتبه باللغة الفرنسية ، ثم ترجمه إلى اللغة العربية بالاشتراك مع محمود عكوش .

وكانت لجنة حفظ الآثار العربية تطبع فى كل عام مجلداً باللغة

---

(١) انظر كتاب مراثى حضرات الخطباء والشعراء فى حفلة تأبين المرحوم على بك بهجت ، المطبعة التجارية بمصر سنة ١٩٢٤ ؛ وسركيس : معجم المطبوعات العربية .

الفرنسية(١) وترجمة له باللغة العربيــة يتضمن محاضر جلساتها والتقارير التى تكتب عن الآثار العربية التى ترمم أو تدرس ، وكان على بهجت يقوم بترجمة هذه المحاضر والتقارير إلى اللغة العربية منذ انضمامه إلى عضوية اللجنة ، وهذه المجلدات تعتبر من أهم المراجع لدراسة آثار مصر الإسلامية ، ففيها دراسة علمية مزودة فى معظم الأحوال بصور ورسوم دقيقة .

ولعلى بهجت أبحاث ومقالات(٢) كثيرة فى مختلف نواحى التاريخ الإسلامى والآثار الإسلامية ، كتب معظمها باللغة الفرنسية ونشرها فى مجلة المجمع المصرى ، كما أنه ترجم كثيراً من الــكتب

---

(١) عنوان هذه المجموعات باللغه الفرنسية .

Comité de Conservation des Monuments de l'Art Arabe. Procés-Verbaux des Séances et Rapports.

وباللغة العربية : محاضر وتقارير لجنة حفظ الآثار العربية القديمة .

(٢) انظر على سبيل المثال :

Aly Bahgat = *Les Forêts en Egypte et leur Administration au Moyen âge. dans (Le Bulletin de l'Institut Egyptien, année 1900).*

= *Acte de Mariage du Général Abdalla Menou, avec la Dam Zobeidah, dans (B. In. Eg. an. 1898).*

= *La Famille Musulmane du General Abdalla Menou (idem, 1900).*

= *Une Etude Archeologique. dans (les Mémoires Institut Egydtien, tome VIII).*

والتقارير عن الفرنسية إلى العربية ، وهو أول من نشر كتاب « قانون ديوان الرسائل » للمؤرخ الفاطمى ابن الصيرفى ، مع مقدمة وتعليقات قيمة ، وفيما يلى بيان بأهم كتبه العربية :

١ — محاضر جلسات لجنة حفظ الآثار العربية وتقارير قسمها الفنى من المجموعة الرابعة إلى المجموعة السادسة والعشرين الخاصة بسنة ١٩٠٩ ، ترجمها عن الفرنسية إلى العربية ، وطبعت فى مطبعة ديوان الأوقاف (المجموعة ٢٦ طبعت سنة ١٩١٢) .

٢ — القول التام فى التعليم العام ، تأليف يعقوب أرتين باشا ، ترجمه إلى العربية ، بولاق ١٨٩٣ .

٣ — قانون ديوان الرسائل ، لابن الصيرفى ، نشره مع مقدمة وتعليقات ، القاهرة سنة ١٩٠٥ .

٤ — قاموس الأمكنة والبقاع التى يرد ذكرها فى كتب الفتح ، القاهرة ١٣٢٤ .

٥ — الآثار العربية لماكس هرتس بك ، ترجمه إلى العربية ، مطبعة دار الآثار بالقاهرة ١٩٠١ .

٦ — تاريخ جامع السلطان حسن لهرتس بك ، ترجمه إلى العربية ، بولاق ١٣١٩ هـ .

٧ — تقرير عن دار الكتب الخديوية ، مطبعة الجريدة سنة ١٩٠٨ .

٨ — فهرست مقتنيات دار الآثار العربية ولمعة فى تاريخ فن المعمار وسائر الفنون الصناعية بمصر ، تأليف مكس هرتس بك ، ترجمه إلى العربية ، بولاق ، ١٣٢٧ .

٩ — حفريات الفسطاط ، ألفه بالفرنسية على بهجت والمهندس ألبير جبرييل ، وترجمه إلى العربية على بهجت ومحمود عكوش ، وطبعت النسخة العربية بعد وفاته ، بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٨ .

— ٦ —

الحركات الوطنية
وأثرها فى التأليف التاريخى

شهدت مصر نهضة قومية إصلاحية فى مفتتح القرن التاسع عشر ، فقد قاوم المصريون الحملة الفرنسية مقاومة عنيفة مستمرة إلى أن حلت عن أراضيهم ، ثم كان للمصريين رأى فى اختيار محمد على والياً عليهم ، وفى عهده بدأت مصر تنفض عنها رداء الجمود الذى ران عليها طوال العصر العثمانى ، كما أخذت تبنى لنفسها مجداً حربياً وصناعياً وثقافياً جديداً ، وكان لهذه النهضة أثرها الواضح فى حركة التأليف التاريخى ، وبخاصة فى كتابات رفاعة الطهطاوى .

ثم أصيبت هـذه النهضة بصدمة قوية عندما تكاتفت دول أوربا للحد من أطماع محمد على ، وأجبرته على أن يلزم ملكه فى مصر ، وحدثت نكسة فى عهد عباس عندما أغلق معظم المدارس والمصانع التى أنشأها جده .

ولم تكن دول أوربا وخاصة إنجلترا وفرنسا قد نسيتا أطماعهما

فى مصر ، ومهد لهما إسماعيل السبيل بسياسته المالية الخرقاء ، فبدأت الدولتان تتدخلان فى شؤون مصر الداخلية بحجة المحافظة على مالهما من ديون ، وفرضت الدولتان على مصر شبه حماية مشتركة حين أوجدتا نظام الرقابة الثنائية ، وحين نجحتا فى تعيين وزيرين أوربيين فى الوزارة المصرية ، وبدأ المصريون يضيقون بهذه الأوضاع : بتبعيتهم لتركيا ، وبفساد الحكم ، وبتسلط العنصر التركى فى الجيش ، وبالاضطراب المالى ، وبازدياد نفوذ الأوربيين واستغلالهم للامتيازات الأجنبية .

وبدأت الثورة العرابية حين بدأت داخل الجيش ولإصلاح الجيش ، ولكنها لم تلبث أن تطورت فأصبحت ثورة عامة واحتضنت كل آمال الشعب وأخذت تعمل على تحقيقها ، وقد مهدت لظهورها مقدمات وأسباب كثيرة ، لعل أهمها ظهور حركة الجامعة الإسلامية ونموها ، وكان روح هذه الحركة وزعيمها الأول جمال الدين الأفغانى .

وجمال الدين رجل كريم المحتد ، طيب المنبت ، أفغانى أو إيرانى الأصل ، امتاز بذكاء خارق ، وقضى حياته مرتحلا ، فزار الهند وبلاد العرب وإيران ومصر ، وفى كل بلد إسلامى نزل به كان يرى أهله أذلة ، وكان يرى الأوربيين هم الأعلون سلطاناً ونفوذاً ، فحز فى نفسه ما رأى وهاله ما شاهد ، فنادى بفكرة الجامعة الإسلامية ، فقد كان يؤمن أن حاضر المسلمين لا يصلح

إلا بما صلح به أولهم ، وأن الوحدة الجامعة كانت سبب قوتهم فى الماضى ، وأن الفرقة المتخاذلة هى سبب ضعفهم فى الحاضر ، وكان سلاحه الأكبر لتحقيق هذا الهدف إيجاد نظام حكم دستورى ، لأنه بعد تجارب متكررة يئس من حكام الشرق الإسلامى ومن احتمال أن يعاونوا على إقالة العالم الإسلامى من عثرته ، بل لقد آمن أن هؤلاء الحكام بنزعاتهم الاستبدادية القوية عامل آخر من عوامل التأخر ، فهم والنفوذ الأوربى آفتان يجب القضاء عليهما للنهضة بالعالم الإسلامى ، والسبيل إلى ذلك وحدة إسلامية ونظام شورى .

وكان أنبغ تلاميذ الأفغانى هو الشيخ محمد عبده ، أخذ عنه مبادئه وشاركه منفاه ، وعاونه فى إصدار مجلة العروة الوثقى ، ثم شارك فى الثورة العرابية ، ثم كانت له جهود مشكورة فى إصلاح الأزهر .

كانت حركة الجامعة الإسلامية إذن من أهم المؤثرات لبعث الوعى القومى والفكرى فى مصر وفى غيرها من بلاد العالم الإسلامى ومهدت هذه الحركة لظهور الثورة العرابية كما مهدت لظهور ثورات أخرى فى أجزاء أخرى من العالم الإسلامى .

يضاف إلى هذا عوامل أو أسباب أخرى خاصة بمصر ، لعل أبرزها انتشار روح التذمر نتيجة لازدياد نفوذ الأجانب مالياً



السيد جمال الدين الأفغانى



أحمد عرابى

وسياسياً ، وإنشاء صندوق الدين ، وتخصيص الجزء الأكبر من موارد البلاد لصالح الدائنين ، واستعلاء الأجانب واعتمادهم على الامتيازات الأجنبيــة والقضاء المختلط لعرقلة كل إصلاح قضائى أو مالى أو إدارى داخل البلاد .

وصاحب هذا كله ظهور وعى قومى جديد نتيجة لانتشار التعليم وازدياد عدد المثقفين وتقدم الصحافة ، والتجارب البرلمانية الأولى التى أتاحت للمصريين فرصة مناقشة أحوالهم فى أواخر عصر إسماعيل ، ولم يعمل الساسة والحكام من جانبهم على تغذية هذا الوعى القائم الوليد وتنميته ، بل على العكس عملوا على كبته ومحاربته ، فكان الخديو توفيق لا يؤمن بالشورى ، وكان كبير نظاره رياض على شاكلته يعمل على دعم الحكم المطلق ويضطهد كل مناوئ لسياسته .

وانفجرت الثورة بقيادة عرابى ، وانتهزت إنجلترا وفرنسا الفرصة ، ثم انفردت إنجلترا بالتدخل ، وانتهى الأمر بفشل الثورة العرابية لأسباب لا نعرض لها هنا ، ودخل الإنجليز مصر بحجة حماية الخديو ، ثم بقوا فيها واستقرت أقدامهم ، وبدأ عهد الاحتلال البريطانى ، وكرد فعل للاحتلال ظهرت حركة وطنية قومية جديدة بزعامة مصطفى كامل والحزب الوطنى تدعو لمقاومة الاحتلال ووجوب جلاء الإنجليز .

فهاتان حركتان وطنيتان ظهرتا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر وهما الحركة العرابية ، وحركة الحزب الوطنى ، وقد كان لكل منهما صدى وأثر واضح فى كتابات المؤرخين المصريين ومؤلفاتهم ، بل إنا لنجد أن معظم من كتب فى التاريخ من المصريين فى هذا الربع الأخير من القرن التاسع عشر كانوا من رجال هذه الحركة الوطنية وقادتها .

فجمال الدين الأفغانى[١] ألف كتيباً صغيراً فى تاريخ وطنه الأول بلاد الأفغان ، وسماه : « تتمة البيان فى تاريخ الأفغان »

ومقالات الأفغانى ومحمد عبده فى « العروة الوثقى » تعتمد اعتماداً كبيراً على الحقائق التاريخية ، فهما يعرضان على المسلمين صوراً من تاريخهم المجيد لإثارتهم وإحياء نفوسهم ، ثم هى قد أصبحت

---

(١) عن حياة جمال الدين الأفغانى وحركته الإصلاحية راجع :

— محمد باشا المخزومى : خاطرات جمال الدين الأفغانى ، بيروت ١٩٣١ .

— ميرزا لطف الله : جمال الدين الأسد آبادى ، ترجمه عن الفارسية إلى العربية صادق نشأت وعبد النعيم حسنين ، القاهرة ١٩٥٧ .

— محمود قاسم : جمال الدين الأفغانى ، حياته وفلسفته ، القاهرة ١٩٥٧ .

— Browne (E. G): *The Persian Revolution. London 1909.*

— Gibb : *Modern Trends in Islam. Chicago 1950.*

— Gibb : *Whither Islam. London 1932.*

وانظر أيضا المراجع الواردة فى الهامش التالى .

فيما بعد مرجعاً من أهم المراجع التي لا يصح أن يغفلها من يريد التأريخ للثورة العرابية والتعرف على أسبابها الممهدة لقيامها ، وعلى آراء الزعيمين المصلحين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده .

وقد ظهرت عناية محمد عبده[1] بالتاريخ منذ عين في سنة

---

(١) انظر عن ترجمته :

— محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٣١ ؛ والجزء الثالث ، القاهرة ١٩٠٦ ؛ والجزء الثاني ، القاهرة ١٩٠٨ .

— جورجي زيدان . تراجم مشاهير الشرق ، ج ١ ، القاهرة ١٩١٠ .

— أحمد الشايب : محمد عبده ، الإسكندرية ١٩٢٩ .

— مصطفى عبد الرازق . محمد عبده ، دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٤٦ .

— عبد المنعم حمادة . الأستاذ الإمام محمد عبده ، القاهرة (بدون تاريخ) .

— أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، القاهرة ١٩٤٨ .

— عثمان أمين . محمد عبده ، مجموعة أعلام الإسلام ، القاهرة ١٩٤٤ .

— عثمان أمين : رائد الفكر المصري محمد عبده ، القاهرة ١٩٥٥ (وانظر ما به من مراجع) .

— عبد الرحمن الرافعي : الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي ، القاهرة ١٩٣٧ .

— العروة الوثقى ، طبعة جديدة ، القاهرة ١٩٥٧ .

— تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد في مصر ، ترجمة عباس محمود ، القاهرة ١٩٣٥ .

=

١٨٧٨ مدرساً للتاريخ فى مدرسة دار العلوم ، فاتجه بتلاميذه اتجاهاً جديداً ، وقرأ معهم مقدمة ابن خلدون ؛ ثم هو قد أسهم فى حركة التأليف التاريخى بكتابة كثير من الرسائل والكتب ، ومن المؤسف حقاً أن رسائله وكتبه التاريخية قد فقدت ولم يصلنا منها شىء ، وقد انفرد بذكرها السيد محمد رشيد رضا فى كتابه « تاريخ الأستاذ الإمام » ، وهى :

١ — تاريخ إسماعيل باشا .

٢ — فلسفة الاجتماع والتاريخ (وهو كتاب كان يضم محاضراته فى مدرسة دار العلوم فى سنتى ١٨٧٨ — ١٨٧٩ عن ابن خلدون وآرائه فى الاجتماع) .

٣ — تاريخ أسباب الثورة العرابية ، وقد نشرت أجزاء من هذا الكتاب فى « تاريخ الأستاذ الإمام » ج ١ ص ١٥٩

= — Blunt (W.S) : *Secret History of the English Ocupation of Egypt. London 1907* : (والترجمة العربية نشرتها جريدة البلاغ)

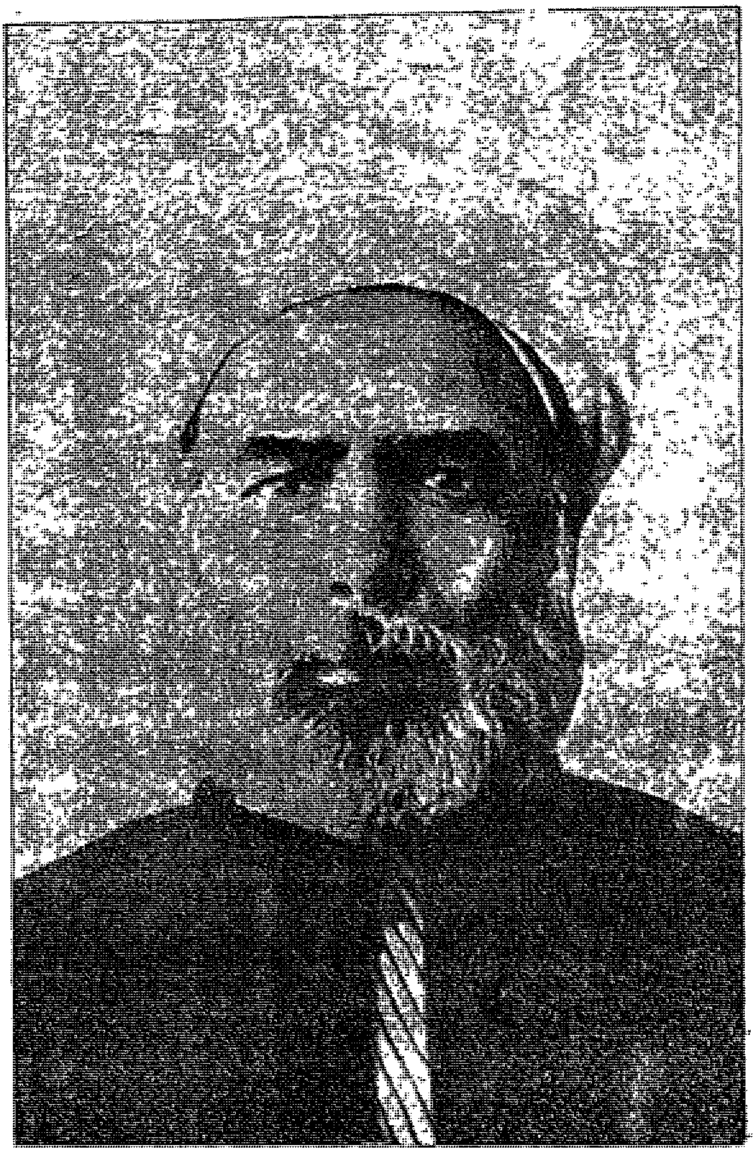
— Carra de Voux · *Les Penseurs de l' Islam. vol VI, Paris 1926.*

— Gibb : *Studies in Contemporary Arabic Literature (reprinted from the Bulletin of the School of Oriental Studies, 1928-1930)*

Osman Amin : *Muhammad Abduh, Essai sur ses idées philosophiques et Religieuses. Le Caire 1944.*

Blunt : *My Diaries. 2 vols. London 1919-1920.*

Sabry (M) : *La Genése de L'Esprit National Egyptien. Paris 1924.*



الشيخ محمد عبده

وما بعدها » وأجزاء مختلفة أخرى فى كتب مستر « بلنت » وفى رسالة الدكتور محمد صبرى باللغة الفرنسية عن نشأة الروح القومية المصرية التى طبعت فى باريس سنة ١٩٢٤ .

والكتاب الذى ألفه الشيخ محمد عبده عن أسباب الثورة العرابية دون شك أهمية كبرى فى فهم هذه الثورة وأسبابها ودوافعها ، ويبدو أن الشيخ محمد عبده قد تناول أحداث الثورة وأبطالها وأسرارها بشىء من الصراحة ، فكان هذا سبباً فى اختفاء الكتاب وعدم طبعه أو ظهوره ؛ يؤكد هذا ما قاله الأستاذ على عبد الرازق فى ترجمته لأخيه الشيخ مصطفى التى قدم بها الكتاب الذى يتضمن آثاره الفكرية والذى طبع أخيراً بعنوان « من آثار مصطفى عبد الرازق » ، فقد قال فى هذه الترجمة :

« ولا شك أن إعجاب أخى مصطفى بالمرحوم الشيخ محمد عبده قد بلغ الغاية ، بل أكاد أقول إنه قد جاوز الغاية ، فهو لم يترك أثراً من آثاره إلا بذل الجهد فى الاطلاع عليه وادخاره ، وبلغه أن للشيخ — رحمه الله — مؤلفاً عن ثورة أحمد عرابى لم يكن طبع . وما كان ليمكن طبعه ، لأن فيه حقائق لو نشرت لابيضت لها وجوه واسودت وجوه ، ولا تضعت مراكز أناس عالين ، وارتفعت مراكز أناس لم يكونوا شيئاً مذكوراً ، وكثير ممن تعرض لهم الشيخ فى تاريخه لا يزالون أحياء ، هم وأبناؤهم

وشيعتهم ، وفيهم من نخشى قوته ، ولا يؤمن من سطوته ، ولم يترك أخى مصطفى وسيلة قريبة أو بعيدة لمطالعة هذا التاريخ إلا ابتغاها ، وأغلب الظن أنه قد وصل إلى مطالعته إما بواسطة المرحوم الشيخ عبد الكريم سلمان ، أو المرحوم الشيخ رشيد رضا ... »

وظاهرة جديدة نلحظها فى إنتاج من كتب فى التاريخ من رجال الثورة العرابية ، وهى ظاهرة كتابة المذكرات الشخصية ، فمعظم قواد هذه الثورة ورجالها كتبوا بعد فشلها مذكرات لهم ، فكتب أحمد عرابى مذكراته بعنوان « كشف الأستار عن سر بالأسرار »(١) . ..

وكتب عبد الله النديم — خطيب الثورة — سيرته فى المدة التى كان مختفياً فيها فى كتابه « كان ويكون » ، كما كتب مذكراته عن الثورة نفسها بعد فشلها فى صورة خطاب مرسل منه إلى عرابى ، وقد عثر على مخطوطة هذه المذكرات أخيراً الدكتور محمد أحمد خلف الله ، ونشرها لأول مرة مع مجموعة أخرى من رسائل النديم ومقالاته النادرة بعنوان : « عبد الله النديم ومذكراته السياسية ، القاهرة ١٩٥٦ » ، وكتب محمد عبده مذكراته عن الثورة العرابية التى أشرنا إليها .

---

(١) طبع أكثر من طبعة فى القاهرة ، وتوجد نسخة كاملة من هذه المذكرات مخطوطة فى دار الكتب المصرية



عبد الله النديم

وكتب محمود فهمى — أحد قواد الثورة الثلاثة — وهو فى منفاه فى جزيرة سيلان تاريخاً كبيراً للعالم منذ أقدم العصور إلى أواخر القرن التاسع عشر وسماه « البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر » .

وقد اعتمد عند تأليف هذا الكتاب على كثير من المراجع الأوربية وبدأ بالأخذ عن المراجع الفرنسية ، وبعد تعلمه اللغة الإنجليزية فى سيلان رجع كذلك إلى المراجع الإنجليزية ، ويبدو أنه لم يعثر فى سيلان على أى مرجع تاريخى عربى ، فقد لاحظت أنه اعتمد على المراجع الأوربية اعتماداً كلياً ، حتى عند تأريخه للعصر الإسلامى وللدول الإسلامية ، والكتاب ليس له من أهمية إلا أنه يمثل ظاهرة جديدة ، وهو خروج المصريين من عزلتهم فى القرن التاسع عشر وبدء عنايتهم بتاريخ العالم والتأليف فيه ، وأهم ما فى هذا الكتاب الفصل الذى يؤرخ فيه محمود فهمى لمصر منذ الثورة العرابية إلى عهد عباس الثانى ، فهذا الفصل أشبه ما يكون بالمذكرات الشخصية ، يروى فيه كاتبه الأحداث كما شاهدها وكما شارك فيها وكما صنعها أحياناً ، وهو من المراجع الهامة لدراسة تاريخ الثورة العرابية ، مقدماتها وأحداثها ونتائجها ، ولدراسة حياة محمود فهمى وصحبه من زعماء الثورة فى منفاهم فى جزيرة سيلان .

فهؤلاء أربعة من رجال الثورة العرابية كتب كل منهم

مذكراته الشخصية يعلل فيها أسباب قيامها وأسباب فشلها ، ولعل السبب الذى دعاهم إلى كتابة هذه المذكرات أنهم جميعاً — فيما عدا النديم قد نفوا بعد محاكمتهم ، كما أن النديم ظل مختفياً تسع سنوات طوالا فكأنه كان منفياً كذلك ، فأرادوا أن يشغلوا بعض وقتهم فى المنفى فى كتابة هذه المذكرات ، ولعل كل واحد منهم أراد أن ينفى عن نفسه أن قد كانت له يد فى فشل الثورة ، ومهما يكن من أمر فهذا لون جديد من ألوان الكتابة التاريخية عرفته مصر لأول مرة فى القرن التاسع عشر ، ولم تكن لها معرفة به من قبل ، وسيتابع زعماء مصر السياسيون وقادتها الوطنيون فى القرن العشرين كتابة مذكراتهم ، فنسمع أن مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وإسماعيل صدقى ومحمد حسين هيكل وغيرهم كتبوا مذكراتهم ، ولا زالت هذه المذكرات مخطوطة لم ينشر منها غير مذكرات هيكل بعنوان « مذكرات فى السياسة المصرية » وقد طبعت فى القاهرة سنة ١٩٥١ .

أما الفريق الثانى من فريقى الحركة الوطنية ، فهو فريق مصطفى كامل وحزبه الوطنى ، وقد كان مصطفى ومعظم أنصاره من المحامين الذين درسوا القانون ، كما أنهم كانوا فى أول مراحل دعوتهم يؤمنون بفكرة الجامعة الإسلامية وبضرورة الالتفاف حول الخلافة العثمانية ، وكانوا يريدون بهذا أن يثبتوا بطلان الاحتلال البريطانى من الناحيتين القانونية والدولية ، لأن مصر كانت عند



مصطفى كامل



محمد فريد

(١٢)

نزول الإنجليز بها تابعة لدولة أخرى ، ولهذا نجد أن معظم خطب مصطفى ورجال حزبه ومقالاتهم كانت تتجه فى أول مراحل دعوتهم إلى محاربة الاستعمار البريطانى وسياسة انجلترا فى الشرق الأدنى بوجه عام ، وحججهم التى كانوا يستشهدون بها كانت فى معظمها حججاً قانونية تاريخية ، أما القانون فهم رجاله وقد درسوه ومارسوه ، وأما التاريخ فقد أقبلوا على دراسته ليستعينوا به فى مجالات دفاعهم عن قضيتهم الكبرى ، قضية مصر واستقلالها ، ولهذا نجد معظم رجال هذه المدرسة الوطنية يؤلفون كتباً فى التاريخ تتصل بالمسألة الشرقية ، أو الدولة العثمانية ، أو عدم شرعية الاحتلال البريطانى أو مركز الاحتلال البريطانى لمصر والسودان من الناحية الدولية ، أو تاريخ المشاكل التى مهدت للاحتلال ، كمشكلة الامتيازات الأجنبية ، ومشكلة قناة السويس ، ومشكلة السودان ، ومشكلة الملحقات ، وهكذا . وسنورد فيما يلى نماذج من المؤلفات التاريخية التى كتبها رجال هذه المدرسة الوطنية لتأكيد ما ذكرناه :

فقد ألف الزعيم الأول للحزب الوطنى مصطفى كامل كتاباً من جزئين فى تاريخ المسألة الشرقية (القاهرة ١٨٩٨) ، وكتاباً آخر عن اليابان بعنوان « الشمس المشرقة » .

وألف الزعيم الثانى للحزب محمد فريد كتاباً فى تاريخ الدولة العلية العثمانية ، (طبع فى القاهرة سنة ١٨٩٦) ، وكتاباً آخر

فى تاريخ محمد على عنوانه : « البهجة التوفيقية فى تاريخ مؤسس العائلة الخديوية » (القاهرة ١٣٠٨ هـ) ، وكتاباً ثالثاً فى « تاريخ الرومانيين » (طبع فى القاهرة ١٩٠٠) .

وكتب عمر لطفى[1] من كبار المحامين ومن قادة الحزب الوطنى كتاباً عن « الامتيازات الأجنبية » (طبع فى القاهرة ١٣٢٣ هـ) .

وكتب الدكتور أحمد فؤاد — وهو من رجال الحزب الوطنى البارزين — كتاباً عنوانه : « مصر والسودان فى نظر العلم والتاريخ » .

وكتب على فهمى كامل سيرة أخيه مصطفى كامل ، كما ترجم الرسائل المتبادلة بينه وبين مدام جولييت آدم عن الفرنسية إلى العربية ، وترجم كذلك كتاباً آخر لهذه السيدة عنوانه « انجلترا فى مصر » . . الخ . . الخ .

والتزم هذا التقليد رجالات الحزب الوطنى فى القرن العشرين ، وكان آخر من كتب منهم فى التاريخ عبد الرحمن الرافعى مؤرخ الحركة القومية فى مصر .

---

(١) توفى سنة ١٩١٢ وترجمته فى مجلة الهلال سنة ٢٠ ، ص ٣٢٣ ، زيدان ، تاريخ الآداب العربية ٤/٢٦٧ .

— ٧ —

المؤرخون السوريون فى مصر

فى القرن التاسع عشر

هاجر إلى مصر فى أوائل القرن التاسع عشر عدد من السوريين ، وقد ألحق محمد على بعضهم مترجمين فى مدارسه العليا الجديدة وفى إدارات حكومته ، وقد ساهموا فى حركة الترجمة فى عصر محمد على ونقلوا كثيراً من الكتب عن الفرنسية أو الإيطالية إلى اللغة العربية .

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر — وخاصة فى عصر إسماعيل — هاجر إلى مصر فوج آخر من السوريين واللبنانيين ، وقد شارك هذا الفوج فى النهضة الثقافية فى القرن التاسع عشر وما بعده بجميع ألوانها ، فاشتغلوا بالصحافة والتمثيل والتأليف ، وقد نبغ منهم عدد ممن ألف فى التاريخ ، ولا نستطيع أن نتكلم عن التاريخ فى مصر فى القرن التاسع عشر دون أن نشير إليهم .

سليم نقاش :

من هؤلاء المؤرخين السوريين سليم خليل نقاش[١] المتوفى سنة ١٨٨٤ ، وبيت النقاش بيت مشهور فى لبنان ، اشتغل كثيرون من أفراده بالعلم والأدب والصحافة ، وكان سليم أديباً صحفياً ، وقد جاء إلى الاسكندرية وتعاون هناك مع صديقه أديب إسحاق على تحرير جرائده التى أنشأها فى الإسكندرية والقاهرة ، مثل العصر الجديد ، والمحروسة ، والتجارة ، وقد شاهد أحداث الثورة العرابية بنفسه ، وأرخ لها فى كتابه الموسوعى الضخم « مصر للمصريين » الذى يقع فى ٩ أجزاء ، وقد قسم كتابه ثلاثة أثلاث ، الأجزاء الثلاثة الأولى أرخ فيها لأسرة محمد على إلى أوائل عهد توفيق ، والثلاثة أجزاء الثانية أرخ فيها لعهد توفيق وانتهى فيها بإخماد الثورة العرابية واحتلال الإنجليز لمصر ، والأجزاء الثلاثة الأخيرة خصصها لمحاكمات العرابيين .

وقد طبعت الأجزاء الستة الأخيرة من الرابع إلى التاسع فى مطبعة جريدة المحروسة سنة ١٨٨٤ قبيل وفاته ، أما الأجزاء الثلاثة الأولى فقد أشار المؤلف إلى أنه سيبدأ طبعها بعد الانتهاء

(١) ترجمته في : جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٢٤٨–٢٤٩ ؛ وسركيس : معجم المطبوعات العربية .

من طبع الأجزاء الستة الأخيرة ، ولكنها لم تطبع ، ويقال إنها طبعت وأعدمت بأمر الحكومة المصرية لأنه تحدث فيها عن محمد على وإسماعيل بصراحة لم ترض عنها الحكومة .

والأجزاء التى طبعت سجل هام جداً لدراسة الثورة العرابية . وخير ما يميز هذا الكتاب أنه ملىء بالوثائق الرسمية ، المصرية والأوربية عن هذه الثورة ومقدماتها وأحداثها ورجالها ، وعن موقف الدول من مصر إبان هذه الثورة وقبلها وبعدها ، ويبدو أن النقّاش كان حريصاً على جمع هذه الوثائق بأنواعها المختلفة ومن كل مكان ، ففيه صور برقيات وقرارات ورسائل متبادلة بين قناصل الدول الأوربية والحكومة المصرية ، وفيه صور للمراسيم الصادرة بتولية الوزارات ، وللخطب وقصائد الشعر التى كانت تلقى لإثارة الحماس فى نفوس المصريين ، وفيه سجل بأسماء الأماكن التى احترقت فى الإسكندرية بنتيجة لضرب الإنجليز لها بقنابلهم ، وفيه صور للمنشورات الموجهة إلى المصريين من عرابى أو من الخديو توفيق أو من السلطان .

وأهم ما فيه النص الحرفى الكامل لاستجواب المتهمين من زعماء الثورة ورجالها ومحاكماتهم .

وقد رجع النقاش إلى السجلات المصرية ، كما رجع إلى مجموعات الوثائق الأجنبية ، فهو قد رجع مثلاً إلى الكتاب

الأزرق الذى تصدره الحكومة الإنجليزية ، يقول فى ح ٥ ، ص ٣٦ : « وقد رأينا فى الكتاب الأزرق صورة رسالة تلغرافية بعث بها اللورد دوفرين سفير إنجلترا بالإستانة إلى اللورد غرنفيل وزير خارجيتها .. الخ » .

نعوم شقير :

ومن هؤلاء المؤرخين السوريين نعوم شقير ، وقد تلقى علومه الأولى فى الجامعة الأمريكية ببيروت ، ثم رحل إلى مصر ، والتحق بخدمة حكومة السودان ، وتوفى فى القاهرة سنة ١٩٢٢ ، وقد أفاد شقير كثيراً من إقامته الطويلة فى السودان ، فألف كتاباً كبيراً فى تاريخه سماه « تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته » ، وطبع فى القاهرة سنة ١٩٠٣ ، ولعله أول كتاب تفصيلى بكتب فى تاريخ السودان باللغة العربية .

ولنعوم شقير كتابان آخران ، أحدهما فى « تاريخ سينا » ، وقد طبع فى القاهرة سنة ١٩١٦ ، ولا يقل أهمية عن تاريخه للسودان ، والثانى قد يدخل فى باب الأدب فعنوانه « أمثال العوام فى مصر والسودان والشام » (طبع فى القاهرة ١٩٠٣) ، ولكن المؤرخ يستطيع أن يفيد منه كثيراً عند دراسة الحياة الاجتماعية فى هذه الأقطار الثلاثة .

جورجي زيدان .

وكبير المؤرخين السوريين فى مصر فى أواخر القرن التاسع عشر هو جورجى زيدان[1] ، وقد ولد جورجى فى بيروت سنة ١٨٦١ ، والتحق بالجامعة الأمريكية ليدرس الطب ، ولكنه لم يكمل دراسته ، ورحل إلى مصر لإتمام هذه الدراسة بمدرسة قصر العينى الطبية ، غير أنه لم يلبث أن تحول عن دراسة الطب . واشتغل بالأدب والصحافة فأشرف على تحرير جريدة الزمان لمدة سنة ، ثم رافق الحملة النيلية إلى السودان فى سنة ١٨٨٤ مترجماً بقلم مخابراتها ، وعاد بعد ذلك إلى بيروت فدرس فيها اللغتين العبرية والسريانية ، ثم رحل إلى لندن ، وعاد منها إلى مصر واستقر بها إلى أن توفى . وفى مصر أشرف أول الأمر على تحرير مجلة المقتطف ثم استقال وأنشأ لنفسه مجلة الهلال فى أواخر سنة ١٨٩٢ ، وانقطع إلى التأليف التاريخى فأخرج عدداً كبيراً من المؤلفات التاريخية القيمة ، ومعظمها فى تاريخ العرب والإسلام ، وفيما يلى أهم هذه المؤلفات :

١ — أنساب العرب القدماء ، القاهرة (بدون تاريخ) .

---

(١) أنظر ترجمته فى آخر الجزء الرابع من كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ؛ سركيس . معجم المطبوعات العربية .

٢ — تاريخ انجلترا ، القاهرة ١٨٩٩ .

٣ — التاريخ العام منذ الخليقة إلى الآن ، الجزء الأول ، بيروت ١٨٩٠ .

٤ — تاريخ الماسونية العام القاهرة ١٨٨٩ .

٥ — العرب قبل الإسلام ، القاهرة ١٩٠٨ .

٦ — تاريخ التمدن الإسلامى ، ٥ أجزاء ، القاهرة ١٩٠٢ — ١٩٠٦ .

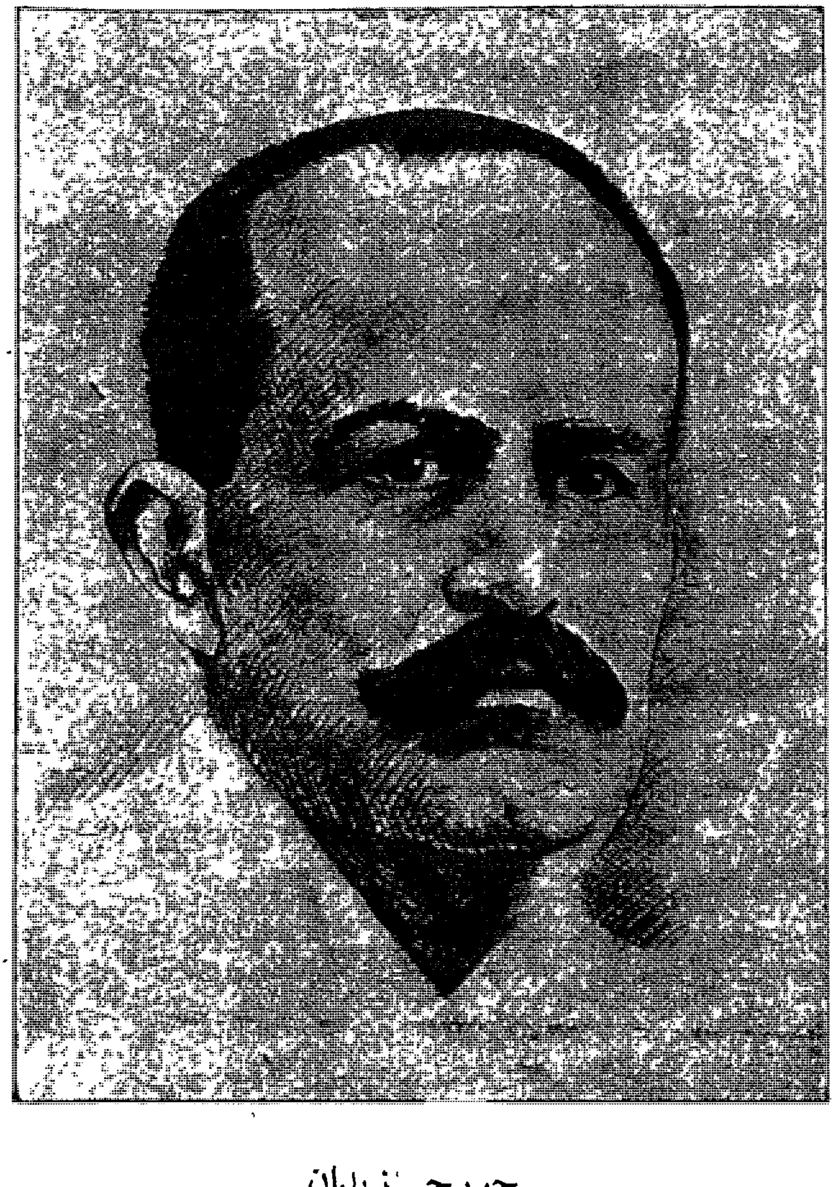
٧ — تاريخ آداب اللغة العربية ، ٤ أجزاء القاهرة ١٩١١ .

٨ — تاريخ مصر الجديد من الفتح الإسلامى إلى الآن ، جزءان ، القاهرة ١٩١١ .

٩ — تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر ، جزءان ، القاهرة ١٩٠٧ .

وجورجى زيدان يعتبر الرائد الأول فى كتابة القصة التاريخية ، فقد ألف ثمانى عشرة قصة طويلة استقاها من تاريخ الإسلام والعالم الإسلامى منذ عهد الرسول إلى عصر محمد على .

وإلى جانب هذه الفئة من السوريين والمسيحيين ظهرت فئة أخرى من السوريين المسلمين ، وقد اشتغلوا عند استقرارهم فى مصر — كما اشتغل مواطنوهم المسيحيون — بشئون الثقافة والصحافة



جورجي زيدان

والتأليف ، ولكنهم كانوا أكثر عناية بالثقافة الإسلامية وبالتاريخ الإسلامى وأحواله الماضية ومستقبله بوجه عام ، ومن هؤلاء محمد كرد على ، وعبد الرحمن الكواكبى ، ومحمد رشيد رضا ، ورفيق العظم

محمد كرد على :

أما محمد كرد على فقد اشتغل فى مصر بالصحافة وقتاً ما وأنشأ مجلة « المقتبس » وظل يشرف على تحريرها سنوات طوالاً ، وألف بعض الكتب التاريخية ، ولكنه لم يلبث أن عاد إلى وطنه ، وكان له هناك فى النصف الأول من القرن العشرين نشاط علمى ضخم ، ليس هنا مجال التحدث عنه ، فإن كرد على يعتبر من كتاب ومؤرخى القرن العشرين .

عبد الرحمن الكواكبى :

وأما عبد الرحمن الكواكبى ، فقد كتب الكثير من الفصول والمقالات فى الصحف المصرية ، وزار كثيراً من أجزاء العالم الإسلامى ، ومال بكتابته إلى الفكر السياسى أكثر من ميله إلى التاريخ ، وخير إنتاجه فى هذا الميدان كتاباه القيمان : « أم القرى » و « طبائع الاستبداد » .

١٩٠

رشيد رضا :

وأما رشيد رضا فقد تتلمذ على الشيخ محمد عبده ، واتجه إلى العناية بالدراسات الدينية ، ولعبت مجلته المنار دوراً هاماً فى هذا الميدان داخل مصر وخارجها ، وقد خدم التاريخ خدمة جليلة بكتابه الضخم الذى وضعه للتأريخ لحياة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

رفيق العظم :

وأما رابعهم رفيق العظم فقد كان أكثرهم توفراً على دراسة التاريخ والكتابة فيه ، ورفيق ينتمى إلى أسرة العظم الشهيرة فى سوريا ، ولد فى دمشق سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) ، ونشأ محباً للتاريخ والأدب ، وقد جاء إلى مصر حوالى سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٤ م) واتخذها له وطناً منذ ذلك التاريخ ، وقد كتب كثيراً من المقالات والأبحاث فى صحفها ومجلاتها ، وقد ألف فى التاريخ كتباً كثيرة ، هذا بيانها :

١ — أشهر مشاهير الإسلام ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٠٣ م

٢ — البيان فى التمدن وأسباب العمران ، القاهرة ١٩٠٤ م

٣ — تنبيه الأفهام إلى مطالب الحياة الاجتماعية فى الإسلام ، القاهرة ١٣١٨ .

٤ — الجامعة الإسلامية وأوربا ، القاهرة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) .

٥ — رسالة فى بيان كيفية انتشار الأديان ، وكون الدين الإسلامى قام بالدعوة لا بالسيف . القاهرة (بدون تاريخ) .

القسم الثاني

دراسة مقارنة

القسم الثانى

دراسة مقارنة

تقدمة :

نقصد بهذه الدراسة أن نلقى نظرة عامة على التاريخ والمؤرخين وحركة التأليف التاريخى فى مصر فى القرن التاسع عشر ، لنحدد بها أطوار الحركة واتجاهاتها وتياراتها ، ولنتعرف على فنون التاريخ وألوانه التى كتب فيها المورخون المصريون فى هذا القرن ، وعلى ثقافاتهم المختلفة وأثر هذه الثقافات فى كتاباتهم وفى منهجهم وأسلوبهم ، ولنوضح أخيراً أغراض هذه الحركة ومراميها وأهدافها ، ولنتبين إلى أى حد أثرت فى المجتمع المصرى .

١ — بوادر النهضة الثقافية التلقائية

فى أواخر القرن الثامن عشر

والذى نلاحظه أن مصر بدأت فيها فى أواخر القرن الثامن عشر بوادر نهضة علمية ثقافية تلقائية ، أى أنها نبتت نباتاً داخلياً

فى مصر ، ولم تكن متأثرة بأى مؤثر خارجى ، شرقى أو غربى ، بدت هذه النهضة واضحة فى ظهور مجموعة من رجال الفكر المصريين لم تعرف مصر شبيها لهم فى القرون الثلاثة السابقة ، ففى ميدان الدراسات الرياضية والفلكية ظهر الشيخ حسن الجبرتى ، وفى ميدان الشعر والنثر ظهر رجال كالشيخ محمد الشبراوى ، والشيخ حسن العطار — وقد وليا مشيخة الأزهر — والشيخ إسماعيل الخشاب . وفى ميدان الدراسات اللغوية والدينية ظهر السيد محمد المرتضى الزبيدى ، وفى التاريخ ظهر الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ؛ وكان من الممكن أن تسير هذه النهضة فى طريقها ، وتتطور تطوراً طبيعياً ، وأغلب الظن أن هذا التطور كان سيأخذ شكلا بعثياً إحيائياً ، بمعنى أن هذه النهضة كانت ستعمل على بعث أمجاد الماضى العلمية ونشر التراث القديم .

غير أن هذه النهضة التلقائية أصيبت بقطع أو انفصال وقتى عند مجىء الحملة الفرنسية إلى مصر ، فقد أتى مع الحملة عدد من العلماء الفرنسيين ، وكان هؤلاء العلماء ، بل كانت الحملة كلها تحمل معها إلى مصر مظاهر نهضة علمية مختلفة عن مظاهر النهضة المصرية اختلافاً بيناً فى كل شىء ، وزار نفر من العلماء المصريين المعهد الذى أنشأه العلماء الفرنسيون فى القاهرة ، وزاروا المكتبة والمطبعة ، وبهرهم ما رأوه ، وبدأوا يفكرون ويقارنون

بين ما فى أيديهم من علم وما فى أيدى هؤلاء الفرنسيين من علم .

وجلت الحملة عن مصر ، وحدثت اضطرابات ، واستقر الأمر لمحمد على والياً على مصر ، وأدرك النظام الجديد أنه لا بد من النقل عن الغرب إذا كانت مصر تريد نهضة حقيقية تساير بها العالم ؛ وفتحت المدارس الجديدة ، وأرسلت البعثات إلى أوربا ، ووقفت حركة التأليف مؤقتاً لتبدأ حركة الترجمة ولتستمر طوال عصر محمد علي .

٢ — تطور الدراسات التاريخية فى مصر

في القرن التاسع عشر

يعنينا من تتبع هذا التطور أن نتعرف على موقف علم التاريخ وأن نتتبع حركة التأليف فيه ، وعندنا أن النهضة فى كتابة التاريخ التى بدأها الجبرتي كان يمكن أن تستمر وأن يظهر فى المجتمع المصرى مؤرخون آخرون على نمطه ، كان من الممكن أن يقبل صديقا الجبرتي : إسماعيل الخشاب وحسن العطار على كتابة التاريخ ، فقد بدت ميول الخشاب التاريخية فى المحاولة التى حاولها وفي التاريخ الذى لم يتمه ولم يصلنا ، وبدت ميول العطار التاريخية فى نوع الكتب التى كان يقرؤها ، وكانت فى معظمها كتباً

تاريخية وجغرافية ، كما بدت واضحة كذلك فى توجيهاته لتلاميذه ، وأولهم رفاعة رافع الطهطاوى .

وكان من الممكن أن يظهر فى المجتمع المصرى مؤرخون آخرون من تلاميذ العطار من أمثال : رفاعة الطهطاوى ، ومحمد عياد الطنطاوى ، ومحمد عمر التونسى ، وقد بدت لكل واحد منهم ميول تاريخية واضحة ظهر أثرها فى بعض ما كتبوا ، ظهر أثرها عند رفاعة فى رحلته « تخليص الإبريز فى تلخيص باريز » ، وفى الكتب التاريخية الكثيرة التى ترجمها هو وتلاميذه فى مدرسة الألسن ؛ وظهر أثرها عند محمد عياد الطنطاوى[1] فى نوع الكتب التى اختارها لتدريس الأدب فى الأزهر ، وفى بعض الكتب التاريخية التى ألفها أثناء إقامته فى روسيا ؛ وظهر أثرها عند محمد عمر التونسى[2] فى رحلتيه اللتين وصف فيهما لأول مرة بعض أقطار السودان ، وهما رحلة دارفور ، ورحلة وداى .

غير أن مجىء الحملة الفرنسية واتجاه مصر بعد ذلك إلى النقل عن الغرب ، وحركة الترجمة فى عصر محمد على ، كل ذلك أوقف حركة التأليف التاريخى التى بدأها الجبرتى ، ووجه الجهود كلها إلى

---

(١) و (٢) انظر : الشيال : دكتور برون والشيخان محمد عياد الطنطاوى ومحمد عمر التونسى ؛ مجلة كلية الآداب بجامعة اسكندرية ، العدد ٢ ، ١٩٤٤ .

الترجمة ، وكانت معظم الـكتب التي ترجمت كتباً علمية وحربية لخدمة المؤسسات الحديثة في الجيش والمدارس والدواوين إلى أن فتحت مدرسة الألسن ، وبدأ رفاعة يضع مشروعه لترجمة عدد من الـكتب لتغطية تاريخ العالم .

وانتهى عصر محمد على ورفاعة وتلاميذه غرقى فى حركة الترجمة ، وكان الأمل معقوداً عليهم أن يخطوا بعد قليل الخطوة التالية الطبيعية فيتركوا الترجمة إلى التأليف بعد أن قرأوا وفهموا وهضموا ، ولـكن النكسة التى أصابت الحياة الثقافية بتولية عباس الأول أوقفت هذا التطور مؤقتاً ،حتى إذا كان عصر إسماعيل انطلق رفاعة وتلاميذه يؤلفون ، وانضمت إليهم مجموعة جديدة من أعضاء البعثات ، هى مجموعة على مبارك ورفاقه من خريجى الهندسة أو من المعنيين بالآثار .

وكانت ثقافة الفريق الأول ثقافة أزهرية إسلامية ، طعمت فيما بعد بالثقافة الفرنسية التى تلقاها بعضهم فى باريس ، والتى تلقاها البعض الآخر فى مدرسة الألسن ، أما رجال الفريق الثانى فقد كانت ثقافتهم الأولى ثقافة علمية هندسية فلـكية أو أثرية ، ثم طعمت هذه الثقافة كذلك بالثقافة الفرنسية ، ولهذا نلاحظ أن أفراد هاتين المدرستين قد تأثروا فى كتاباتهم التاريخية بهذين النوعين من الثقافة ، فهم يستخدمون المراجع العربيـة القديمة كما

يستخدمون المراجع الفرنسية الحديثة وهم يرجعون إلى الطبري ، وابن عبد الحكم ، والمسعودى ، وابن خلدون ، والمقريزي ، والسيوطى ، كما يرجعون إلى ڤولتير ، وروسو ، ومونتسكيو ، وجيزو ، وكاترمير ؛ فمعظم المؤرخين المصريين فى القرن التاسع عشر قد أفادوا من المزج بين الثقافتين ، ومع هذا لم ينسوا وطنهم وتاريخه ، بل كانت دراستهم فى أوربا حافزاً لهم على العناية بتاريخ بلادهم وإعادة كتابته من جديد على ضوء ما وصلت إليه البحوث التاريخية والأثرية فى عهدهم ، فهم عندما بدأوا يؤلفون لم يؤلفوا فى تاريخ أوربا والعالم ، وإنما ألفوا فى تاريخ مصر ، فزعيم المدرسة الأولى رفاعة بدأ بوضع كتاب متعدد الأجزاء فى تاريخ مصر من أقدم العصور إلى وفته ولكنه لم ينجز منه إلا جزئين اثنين ، وعلى مبارك زعيم المدرسة الثانية بدأ بتأليف كتابه فى خطط مصر .

٣ — التيارات والمؤثرات التي أثرت فى كتابة التاريخ فى هذا القرن

١ — الحركات القومية :

ثم كانت الحركة الإصلاحية الوطنية فى أواخر عصر إسماعيل ، وتبعتها الثورة العرابية فى عهد توفيق ، وانتهت الثورة بالاحتلال البريطانى لمصر ، وكان الاحتلال مثيراً جديداً للحركة الوطنية التى

تزعمها أول الأمر مصطفى كامل ؛ وكان لهذه الحركة الوطنية بشعبتيها أثر واضح فى كتابة التاريخ فى أواخر القرن التاسع عشر ، فاتجه الكتاب إلى معالجة شؤون مصر والتأريخ لهذه الحركة الوطنية ولأنفسهم ولمصر الحديثة وللأسرة العلوية الحاكمة ، وكانوا وهم ينظرون لأنفسهم ولوطنهم وتاريخه ينظرون فى نفس الوقت إلى العالم الخارجى المحيط بهم والذى سبقهم فى مدارج الحضارة ، وبوجه خاص إلى أوربا التى تسيطر عليهم وعلى بلدان الشرق الأخرى ؛ ولهذا كانوا تارة يؤرخون لمصر وتارة يؤرخون للعالم ، فظهرت لهم فى أواخر القرن التاسع عشر كتب فى تاريخ مصر وأحداثها ، وكتب فى تاريخ العالم مثل « البحر الزاخر » لمحمود فهمى ، و « الكافى » لشاروبيم .

ب — العناية بالآثار :

وصحب هذا كله العناية بالآثار والتنقيب عنها ودراستها منذ فجر هذا القرن ، وكان لهذه الدراسة أثرها فى مؤلفات المصريين الذين كتبوا فى التاريخ فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

هذه هى التيارات أو المؤثرات العامة التى أثرت فى حركة التأليف التاريخى فى مصر فى القرن التاسع عشر ولونتها هذه الألوان .

وقد أثرت فى تنشيط حركة التأليف التاريخى ونموها وتطورها مؤثرات كثيرة أخرى ظهرت فى مصر فى القرن التاسع عشر ولم تكن تعرفها من قبل .

ح — الاعتراف بالتاريخ كعلم وتدريسه فى المدارس :

من هذه المؤثرات اعتراف الدوائر الثقافية فى مصر ولأول مرة بالتاريخ كعلم ، ووضع دروس خاصة به فى المدارس ، وتعيين مدرسين لتدريسه وتأليف أو ترجمة الكتب لدراسته ، والفضل الأول فى هذا يرجع إلى رفاعة الطهطاوى ، وقد بدأ هذا فى مدرسة الألسن ، ثم درس التاريخ بعد ذلك فى المدارس التجهيزية ، ثم فى مدرسة اللسان المصرى القديم ، ومدرسة دار العلوم ، وأخيراً فى مدرسة المعلمين العليا ، وكانت أولى بعثات أرسلت إلى أوربا للتخصص فى دراسة التاريخ من خريجى مدرسة المعلمين العليا ، ثم تلتها بعثات أخرى من خريجى الجامعة المصرية بعد إنشائها كجامعة حكومية فى سنة ١٩٢٥ ، ومعظم هؤلاء المبعوثين شغلوا كراسى أساتذة التاريخ فى الجامعات المصرية بعد عودتهم ، وعلى أيديهم وأيدى تلاميذهم تطورت الدراسات التاريخية فى مصر تطوراً أساسياً فى المنهج والطريقة والأسلوب والموضوعات .

د — الطباعة :

وكان لظهور الطباعة وانتشار المطابع فى مصر فى هذا القرن أثر جد واضح فى الدراسات التاريخية ، فقد عرفت مصر الطباعة فى مفتتح القرن التاسع عشر ، وكانت المطبعة العربية التى صحبتها الحملة الفرنسية معها هى أول مطبعة وجدت فى مصر ، ثم خرجت المطبعة مع الحملة عند جلائها ، وبقيت مصر بلا مطبعة إلى أن أنشأ محمد على مطبعة بولاق فى حدود سنة ١٨٢٢ ، ثم أنشئت بعد ذلك مطابع أخرى كثيرة ملحقة بالوزارات والمدارس العليا ، وفى هذه المطابع طبعت الكتب التاريخية مترجمة ومؤلفة ، وكانت تطبع من كل كتاب فى العادة ألف نسخة وخاصة الكتب التى كانت توزع على تلاميذ المدارس ، فإذا عرفنا أن الكتب التاريخية — وغير التاريخية — كانت تتداول قبل القرن التاسع عشر بطريق النسخ ، أدركنا الفرق الواضح بين الأثر الذى يتركه كتاب يقرؤه ألف — أو أكثر من ألف عن طريق التداول — ، وكتاب يقرؤه عشرة أو عشرون على أكثر تقدير .

هـ — الصحافة :

يضاف إلى هذا أثر الصحافة ، فقد عرفت مصر الصحافة لأول مرة فى هذا القرن أيضا ، وكانت العناية فى صحافة القرن التاسع عشر

بالمقالة أكثر من الأخبار ، وكان ينشر فى الصحف والمجلات المصرية كثير من الفصول والكتب التاريخية — مترجمة ومؤلفة — فكتاب رفاعة « مينتهى الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز » نشر أولا على حلقات فى مجلة روضة المدارس ، وكذلك كتاب « نبذة فى التنظيمات السياسية المختصة بالضبطية عند العرب والفرس والترك » الذى ترجم عن الفرنسية[(١)] ، نشر فصولا فى مجلة روضة المدارس .

وكتاب «حقائق الأخبار فى أوصاف البحار » لعلى مبارك ، الذى نشر أول الأمر فصولاً فى مجلة روضة المدارس ، ثم جمعت الفصول فى كتاب مستقل .

وكتاب « حماة الإسلام » لمصطفى نجيب ، نشر كذلك فصولاً فى جريدة اللواء ؛ وهناك أمثلة كثيرة أخرى لكتب وفصول تاريخية نشرت فى صحف « وادى النيل » و « اللواء » و « المؤيد » ، وفى مجلات « روضة المدارس » و « المقتطف » و « الهلال » . . الخ .

---

(١) عنوان هذا البحث بالفرنسية هو :

"Behrnauer = *Mémoire sur les Institutions de Police chez les Arabes, les Persans et les Turc.*"

وقد نشر أولا فى المجلة الأسيوية

(Journ. As 5. e serie, 1866, T. X. X V, P. 461-509 ; T. XVI, p. 114-190).

و — إحياء التراث التاريخي القديم :

ونتيجة لانتشار المطابع في مصر - حكومية وغير حكومية - بدأ المصريون يحسون حاجتهم للتعرف على تراثهم التاريخي القديم ، ويعملون على نشر هذا التراث وطبع كتبه ليحصل أكبر عدد ممكن منهم على نسخ من هذه الكتب ، وكان رفاعة أيضاً هو صاحب الفضل الأول في إحياء هذا التراث العربي القديم ونشره ، فقد سعى حتى حصل على موافقة سعيد باشا وصدرت الأوامر — كما يقول على مبارك — « بطبع جملة كتب عربية على طرف الحكومة ، وعمّ الانتفاع بها في الأزهر وغيره ، منها تفسير الفخر الرازي ، ومعاهد التنصيص ، وخزانة الأدب ، والمقامات الحريرية ، وغير ذلك من الكتب التي كانت عديمة الوجود في ذلك الوقت »(١).

ثم حاول نفس المحاولة بعده الشيخ محمد عبده ، ولكنه لم يلجأ إلى معونة الحكومة ، وإنما أسس في سنة ١٩٠٠ ، جمعية سماها « جمعية إحياء العلوم العربية »(٢)، وقد قامت هذه الجمعية

---

(١) علي مبارك : الخطط التوفيقية

(٢) انظر : آدمز : الإسلام والتحديد في مصر ، ص ٨٠ — ٨١ ؛ ورشيد رضا ، تاريخ الإمام ، ج ٣ ، ص ٢٤٧ ، ج ١ ، ص ٧٥٣ وما بعدها ؛ عثمان أمين : رائد الفكر المصري محمد عبده ، ص ٣٨

بطبع عدد كبير من المخطوطات العربية القديمة فى اللغة والفقه والأدب والتاريخ .

ثم أقبل نفر آخر من المصريين المشتغلين بالطباعة أو الصحافة أو الفكر بوجه عام على طبع كتب أخرى ، فطبعت فى مصر فى هذا القرن كتب كثير من المؤرخين القدامى مثل ابن الأثير وابن خلدون ، وأبو شامة ، وابن الجوزى ، وابن حجر ، وابن بطوطة ، وابن إياس ، وابن مماتى ، والبلاذرى ، والمقريزى ، والسخاوى ، والسيوطى ، وابن دقماق ، والجبرتى ، وغيرهم . .

وبدأ المصريون يقرأون هذه الكتب ويتعرفون على تاريخهم الذى نسوه ، وعرفوا أن لهم أمجاداً تاريخية كثيرة فى ميادين الحرب والثقافة والحضارة ، ونشأ لديهم نتيجة لهذا كله وعى تاريخى جديد كان ذا أثر فعال فى تقوية الروح القومية .

ز — الجمعيات العلمية والتاريخية :

ومن العوامل القوية التى أثرت فى نشر الوعى التاريخى والدراسات التاريخية فى القرن التاسع عشر ، ظهور الجمعيات العلمية ، وهذه أيضاً ظاهرة جديدة لم تعرفها مصر قبل هذا القرن ،

وقد كانت جهود هذه الجمعيات وأبحاثها ومطبوعاتها تعنى فى معظمها بتاريخ مصر فى مختلف العصور .

أول هذه الجمعيات أو المجامع المجمع العلمى الذى أنشأه نابليون عند مجيئه إلى مصر فى سنة ١٧٥٨ ، وكان أعضاؤه من العلماء الفرنسيين الذين صحبوا الحملة ، وقد جمعت ثمرات بحوثهم فى الكتاب الضخم القيم « تخطيط مصر Description de l'Egypte » ، وقد ألغي هذا المجمع عند جلاء الحملة عن مصر ، ولكنه أعيد ثانية فى الإسكندرية سنة ١٥٨٩ فى عهد محمد سعيد ، باسم l'Institut d'Egypte ثم لم يلبث أن نقل إلى القاهرة ، وكان أعضاؤه فى هذه المرة نخبة من علماء المصريين ومن العلماء الأوربيين المقيمين فى مصر ، وأنشأ المجمع له مجلة علمية ، كما كان ينشر مجلدات تذكارية سنوية Memoires ، وفى المجلة والمجلدات التذكارية نشرت عشرات الأبحاث والمقالات فى التاريخ بوجه عام ، وتاريخ مصر بوجه خاص ، والمجمع لا زال موجوداً حتى الآن ، ومجلته تنشر بانتظام .

وفى عهد محمد على كون جماعة من المستشرقين والعلماء الأوربيين المقيمين فى مصر جمعية أسموها « الجمعية المصرية[1] » "Société Egyptienne"

---

(١) انظر : Yacoub Artin Pacha : *Lettres du Dr. Perron, du Caire et Alexandrie, á m. Jules Mohl, à Paris. 1838-1854. — Le Caire, 1911.*

وقد تحدث عنها كثيراً الدكتور برون Dr. Perron في خطاباته إلى صديقه جول مول J. Mohl ، فذكر أنها أسست سنة ١٨٣٥ ، وكان غرضها الأول إنشاء مكتبة تضم أكثر عدد ممكن من الكتب ، وخاصة مايتحدث منها عن الشرق : تاريخه وجغرافيته وأدبه وعاداته .. الخ .. الخ

وقد تطورت أغراض الجمعية بعد نحو ست أو سبع سنوات من تأسيسها ، فأصبح من أغراضها طبع ونشر الكتب المتصلة بالشرق .

وقد انضم إلى عضوية الجمعية فيما بعد عدد من المصريين الذين تثقفوا ثقافة أوربية ، غير أن الجمعية انتهى أمرها إلى الانحلال في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وفي سنة ١٨٧٤ ضمت مكتبتها إلى دار الكتب الخديوية (المصرية فيما بعد) تنفيذاً لأمر أعضائها الأخيرين : حكاكيان بك ، وكانى بك ، ومسيو توربورن M. Thurborn

وفي سنة ١٨٦٨ أنشأ رجال الفكر من المصريين جمعية مصرية خالصة سموها « جمعية المعارف »(١) وهدفها نشر الثقافة بوساطة التأليف والطباعة والنشر ، وقد قامت هذه الجمعية بطبع

= و (جمال الدين الشيال : دكتور برون والشيخان محمد عياد الطنطاوى ومحمد عمر التونسى ؛ مجلة كلية الآداب بجامعة اسكندرية ، العدد الثانى ، ١٩٤٤ ، ص ١٧٩ – ٢٢١

(١) الرافعى : عصر إسماعيل ، ج ١ ، ص ٢٤٢ – ٢٤٤

عدد كبير من المؤلفات العربية القديمة فى التاريخ والفقه والأدب ، ومن الكتب التاريخية التى طبعتها : كتاب أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ، والفتح الوهبى فى شرح العتبى ، والمختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ، وتاريخ ابن الوردى . . الخ .

وفى عصر إسماعيل أيضاً أنشئت الجمعية الجغرافية الخديوية فى سنة ١٨٧٥ ، وأغراضها العناية بالأبحاث الجغرافبة والعلمية وتدوينها ونشرها ، ولهذه الجمعية مجلة قيمة جداً نشر فيها كثير من المقالات عن الكشوف الجغرافية والأبحاث الأثرية والتاريخية التى تمت فى القرن التاسع عشر .

وفى مجلات هذه الجمعيات ومطبوعاتها كانت تنشر أبحاث المشتغلين بالتاريخ من المصريين والأوربيين على السواء ، فإلى جانب أبحاث كازانوفا ، وهرنس ، ومرييت ، وبروكش وغيرهم كانت نشر أبحاث أخرى لمحمود الفلكى ، ويعقوب أرتين ، ومحمد مختار ، وأحمد كمال ، وعلى بهجت .

٤ ــ صدى هذه المؤثرات فى كتابة التاريخ

فالمدارس الجديده ، والاعتراف بالتاريخ كعلم ، وتدريسه فى هذه المدارس ، والطباعة ، والصحافة ، والجمعيات الثقافيـة والتاريخية ، وحركه إحياء التراث العربى القديم ، والعناية بالآثار ،

والنهضة القومية ، كل هذه العوامل كان لها أثرها الواضح فى ظهور الوعى التاريخى فى مصر فى القرن التاسع عشر ، فنشطت حركة التأليف التاريخى ، وألفت الكتب الكثيرة وتعددت ألوان البحث التاريخى ، فلم تعد الكتابة فى التاريخ مقصورة على مصر والإسلام كما كانت من قبل ، بل لقد طرق المؤرخون المصريون موضوعات لم تكن معروفة فى المكتبة التاريخية فى العصر الإسلامى ، وسنحاول أن نحدد فيما يلى الموضوعات التى تناولوها .

ا — تاريخ العالم :

من الموضوعات التى طرقها مؤرخو مصر فى هذا القرن لأول مرة تاريخ العالم ، وكانت الكتابة فى هذا الموضوع تطوراً طبيعياً منذ تحطمت أسوار العزلة التى كانت تحيط بمصر فى العصر العثمانى ومنذ بدأت مصر تتصل بالعالم الخارجى ، فنحن لا نسمع أن مصريا واحداً زار أوربا فى القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ، ولكننا نسمع أن عشرات المصريين أرسلوا فى أوائل القرن التاسع عشر لتلقى العلوم الحديثة فى دول أوربا المختلفة : إيطاليا وفرنسا وألمانيا وانجلترا ، ونسمع أن كثيرين من المصريين زاروا أوربا فى النصف الثانى من هذا القرن للسياحة والدراسة وزيارة المتاحف والمكتبات وحضور المؤتمرات والدعاية لقضية بلادهم ، ولقد درس هؤلاء المصريون

تاريخ العالم فى مدارس أوربا وجامعاتها ، وشاهدوا حركة التأليف التاريخى النشيطة فى أوربا فى القرن التاسع عشر ، وقرأوا لمؤرخى أوربا فى هذا القرن ، فكان من الطبيعى أن يعنوا بهذا الفرع من فروع التاريخ ، لهذا نجد رفاعة الطهطاوى يبدأ مع نفر من تلاميذه فى مدرسة الألسن بترجمة عدد من الكتب الفرنسية لتغطية تاريخ العالم بعصوره المختلفة ، وكان أحد هذه الكتب وهو تاريخ شارل الخامس من تأليف مؤرخ من مؤرخى أوربا فى القرن الثامن عشر وهو روبرتسن ، وفى أواخر القرن التاسع عشر نجد مؤرخين آخرين يؤلفان فى تاريخ العالم ، أحدهما قائد من قواد الثورة العرابية ، وهو محمود فهمى ، وقد وضع كتابه « البحر الزاخر » أثناء إقامته فى منفاه فى جزيرة سيلان ، وهو كتاب ضخم فى أربعة أجزاء ، أرخ فيه لكل بلاد العالم ، والثانى مؤرخ مصرى قبطى هو ميخائيل شاروبيم[(١)] ،

---

(١) ميخائيل شاروبيم (١٨٦١ — ١٩٢٠) ولد بالقاهرة بحارة السقايين ، وتلقى العلوم بمدرستها ، فتعلم اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية ، وفى الرابعة عشرة من عمره عين فى قلم التحريرات الإفرنجية بوزارة المالية ، وتنقل فى وظائف كثيرة إلى أن عين فى سنة ١٨٨٤ قاضيا بمحكمة المنصورة الأهلية ، ثم رئيسا لنيابة تلك المحكمة ، وفى سنة ١٨٩٩ عين فى وزارة المالية ناظراً فى إدارة أملاك الميرى الحرة ، وفى سنة ١٩٠٣ أحيل إلى المعاش فتفرغ لإتمام تاريخه الكبير الكافى ، المطبوع منه ٤ أجزاء ، =

وقد وضع كتاباً مماثلا أسماه « الكافى فى التاريخ » أرخ فيه للعالم كذلك ، وكان اعتماد الرجلين عند تأليف كتابيهما على المراجع الأوربية .

وهذا لون جديد من ألوان التاريخ ، لقد كتب المؤرخون المصريون والمسلمون من قبل فى تاريخ العالم ، ولكن العالم فى نظرهم كان هو العالم الإسلامى ، فهم لم يحاولوا أن يكتبوا فى تواريخهم العالمية عن الشعوب التى كانت تسكن خارج عالمهم الإسلامى ، فيما عدا شذرات قليلة عن الشعوب المتاخمة للعالم الإسلامى كالهنود أو الترك أو البيزنطيين .

أما شعوب أوربا بالذات فقد كان رأى المؤرخين المسلمين فيهم

= وبقى الجزء الخامس مسودة ، ولم ينشره أولاده ، وكان شاروبيم من سراة الأقباط وأعيانهم ورئيسا لجمعية التوفيق القبطية .

وقد اعتبرناه من مؤرخى القرن التاسع عشر لأنه ألف كتابه فى هذا القرن ، وطبعت أجزاؤه الأربعة فى السنوات الأخيرة منه (١٨٩٨ — ١٩٠٠) والجزء الأول يتضمن تاريخ مصر فى العصور القديمة وينتهى بفتح العرب لمصر . والجزء الثانى فيه تاريخ لمصر فى العصر الإسلامى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى ، والجزء الثالث يؤرخ للدولة العثمانية ولمصر فى عهدها ، وينتهى عند تولية محمد على حكم مصر .

وفى الجزء الرابع يؤرخ لمصر منذ عصر محمد على إلى آخر عهد توفيق ، هذا وقد نشر شاروبيم مخطوطة قديمة عنوانها « التقليد فى مذهب أهل التوحيد » لمؤلفه حمزة بن على وزير الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ، وطبع الكتاب فى القاهرة سنة ١٩١٣ .

رأياً سيئاً وكانت عنايتهم بهم ضئيلة ، فقد كانوا يعتقدون أنهم يعيشون فى عالم من الجهل والتأخر فى مكان قصى عنهم لايخشى خطره على الإسلام ذات الحضارة المزدهرة ، المشرقة ، وليس عندهم من المعارف مايقدمونه لهم(١) ؛ ينعكس هذا الرأى واضحاً فى أقوال مؤرخى العرب وجغرافييهم فى العصور الوسطى ، يقول المسعودى — أحد جغرافيي القرن الرابع (العاشر الميلادى) — :

« وأما أهل الربع الشمالى وهم الذين بعدت الشمس عن سمتهم .. فغلب على نواحيهم البرد والرطوبة ، وتواترت الثلوج عندهم والجليد ، فقل مزاج الحرارة فيهم ، فعظمت أجسامهم ، وجفت طبائعهم وتوعرت أخلاقهم ، وتبلدت أفهامهم ، وثقلت ألسنتهم .. ولم يكن فى مذاهبهم متانة .. ومن كان منهم أوغل فى الشمال فالغالب عليه الغباوة والجفاء والبهائمية » .

ويعدّد قاضٍ من طليطلة (وهو ابن صاعد الأندلسى) فى القرن الخامس (١١ م) فى كتابه «طبقات الأمم» الأمم التى عنيت بالعلم وهى : «أمم الهند والفرس والكلدانيون والعبرانيون واليونانيون والروم وأهل مصر والعرب» ، ويضيف إلى ذلك أن «أنسب الأمم الأخرى (التى لم تعن بالعلوم) هى الصين والترك» ، أما الأمم الباقية

---

(1) Bernard Lewis : *The Arabs in History. p.p. 164-165.*
والترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان « العرب فى التاريخ » قام بها نبيه أمين فارس . ومحمود يوسف زايد ؛ بيروت ١٩٥٤ ، ص ٢٣٥ — ٢٣٦ .

فكانوا موضع ازدرائه ، ويصفهم بأنهم : « أشبه بالبهائم منهم بالناس .. وأن من كان منهم موغلا فى بلاد الشمال عظمت أبدانهم وابيضت ألوانهم ، وانسدلت شعورهم ، فعدموا بها دقة الأفهام وثقوب الخواطر ، وغلب عليهم الجهل والبلادة ، وفشا فيهم العمى والغباوة .. »

وقد تكون هذه الأقوال صحيحة إلى حد ما عند ما كانت أوربا تعيش فى العصور الوسطى الأولى ، ولكن مع بدء القرن السادس عشر تغير الموقف تغيراً تاماً ، فبدأت مصر وبلاد الشرق الأدنى الإسلامية تعيش فى عزلة عريبة ، وفى ظلمة أشبه بظلمة العصور الوسطى الأوربية ، فى حين أن دول غرب أوربا بدأت تقفز بعد عصر النهضة إلى الأمام وتخطو فى طريق التقدم العلمى والحربى والاقتصادى خطوات واسعات ، ولهذا اتجهت أنظار المصريين مع نهضتهم الحديثة فى القرن التاسع عشر إلى أوربا ودولها المختلفة يقتبسون من علومها وينقلون عن لغاتها ، ولهذا اتجه المؤرخون المصريون فى هذا القرن كذلك إلى الكتابة عن تاريخ العالم بما فيه هذه الأجزاء التى لم يكونوا يعرفون شيئاً ألبتة عن تاريخها ، ولهذا كان ما كتبه المؤرخون المصريون فى كتبهم المترجمة والمؤلفة فى القرن التاسع عشر عن دول أوربا وتاريخها هو أول ما كتب عنها فى اللغة العربية .

ب — تواريخ الدول المجاورة ذات الصلة بمصر :

وإلى جانب هذه التواريخ العالمية ، عنى عدد من المؤرخين المصريين فى هذا القرن بوضع كتب مستقلة عن تاريخ بعض الدول المجاورة ذات الصلة بمصر ، فألف إسماعيل سرهنك كتابه « حقائق الأخبار عن دول البحار » للتأريخ للدول البحرية ومن بينها مصر ؛ وألف محمد فريد « تاريخ الدولة العلية » ، كما ألف مصطفى كامل كتابين أحدهما فى « تاريخ المسألة الشرقية » والثانى عن اليابان ، وألف جورجى زيدان كتاباً فى « تاريخ انجلترا » .

وظهر فى مصر فى هذا القرن أربعة كتب عن السودان ، اثنان منها بقلم محمد عمر التونسى ، وهما رحلة دارفور ورحلة وداى ، والثالث بقلم نعوم شقير ، والرابع بقلم إبراهيم فوزى .

كذلك حظى تاريخ العرب والإسلام بنصيب كبير من عناية المؤرخين المصريين ، فألف رفاعة كتابه فى سيرة الرسول ، ووضع جورجى زيدان كتاب « العرب قبل الإسلام » وكتاب « تاريخ التمدن الإسلامى » وكتاب «تاريخ آداب اللغة العربية» .

وبعض هذه الموضوعات كما نرى يطرقها المؤرخون المصريون لأول مرة ، ويرودون المكتبة العربية بأول كتب كتبت فى

تاريخ هذه الدول ، فلم يكن فى المكتبة العربية قبل هذا كتب فى تاريخ الدولة العثمانية أو المسألة الشرقية أو اليابان أو انجلترا أو الدولة العثمانية أو السودان .

حـ — المذكرات الشخصية :

ولون آخر من ألوان التأليف التاريخى التى كتب فيها المؤرخون المصريون لأول مرة فى القرن التاسع عشر وهو كتابه المذكرات الشخصية .

وكان ظهور هذا الفن نتيجة لمعرفة المصريين للسياسة بمعناها الحديث ،واشتراكهم فى أحداثها ، واضطلاعهم بمسئوليات الحكم أو قيادة الرأى العام لأول مرة ، ولهذا كان كتاب المذكرات جميعاً من هذا النوع من الرجال ، أى من رجال الحكم أو من قادة الفكر والرأى العام ، من أمثال عرابى ومحمد عبده ، وعبد الله النديم ، ومحمود فهمى .

د — تاريخ مصر العام :

وإلى جانب هذه الأنواع الجديدة من التأليف التاريخى كتب المصريون فى أنواع أخرى كانت معروفة قبلهم وألفت فيها الكتب الكثيرة ، فكتب بعضهم فى تاريخ مصر العام من أقدم العصور أو من الفتح الإسلامى إلى وقتهم ، ومن هذا النوع كتاب رفاعة

الذى أراد أن يؤرخ فيه لمصر فى كل العصور ، ولم ينجز منه إلا جزئين ، بدأ الأول بالتأريخ لمصر فى عهد الفراعنة وانتهى به إلى الفتح العربى لمصر ، وخصص الثانى للسيرة النبوية ، ثم توفى قبل أن يحرز بقية الأجزاء ، ومن الممكن أن ندخل تاريخ الجبرتى فى هــذا النوع فقد قدم لــكتابه بمقدمة مختصرة فى تاريخ مصر منذ الفتح الإسلامى ثم فصل الـكلام بعد ذلك عن تاريخها فى القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر ، ومن هذا النوع أيضاً الـكتاب الذى أرخ فيه جورجى زيدان لمصر منذ الفتح الإسلامى إلى أواخر القرن التاسع عشر ، وسماه « تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامى إلى الآن » ، وهو فى جزئين .

هـ — كتب الخطط وتواريخ المدن :

وتاريخ الخطط والمدن فن قديم من فنون التاريخ ابتدعه المؤرخون المصريون وكتبوا فيه كثيراً فـكان أول من كتب فيه أبو عمر الـكندى وآخرهم تقى الدين المقريزى ، ولم يكن يخلو قرن من القرون من مؤرخ من مؤرخى الخطط ، فيما عدا قرون الحـكم العثمانى الثلاثة ، وقد حدد هذا الفن التاريخى فى القرن التاسع عشر وبدأ بالـكتابة فيه على مبارك فأخرج كتابه القيم « الخطط التوفيقية الجديدة » فى عشرين جزءاً ، أرخ فيه للقاهرة ومدن

مصر جميعاً واعتمد فيه على خطط المقريزى ، ثم وصل بتاريخ هذه المدن إلى عصره ، أى إلى أواخر القرن التاسع عشر ، وأفاد كثيراً من البحوث والكشوف الأثرية التى تمت فى هذا القرن ، وعنى غيره من معاصريه المشتغلين بالآثار كذلك بالتأريخ لبعض المدن المصرية القديمة أو الحديثة ، المندثرة أو الموجودة ، فأرخ أحمد كمال لمدينة منفيس ولمدينة عين شمس ، وأرخ على بهجت لمدينة الفسطاط فى كتابه « حفريات الفسطاط » ، وكتب محمد مسعود تاريخاً صغيراً لمدينة الإسكندرية أسماه « المنحة الدهرية فى تخطيط مدينة الإسكندرية » .

و — تاريخ مصر فى القرن التاسع عشر والأسرة العلوية :

كذلك عنى المصريون بالتأريخ لمصر فى القرن التاسع عشر ، وللأسرة الحاكمة وهى أسرة محمد على ، فكتبوا الكتب الكثيرة فى هذا الموضوع ، وتبدأ هذه السلسلة بكتابى الجبرتى « عجائب الآثار » و « مظهر التقديس » ، ثم يكتب بعده الشيخ خليل الرجبى أحد علماء الأزهر « تاريخ محمد على » الذى لا يزال مخطوطاً ، ثم يكتب سليم النقاش كتاب « مصر للمصريين » فى تسعة أجزاء ، يؤرخ فى الثلاثة الأولى منها للأسرة العلوية من محمد على إلى إسماعيل ، وقد ضاعت هذه الأجزاء ، ويؤرخ فى الأجزاء الستة الأخيرة لعهد توفيق والثورة العرابية ، ثم كتب

بعد ذلك محمد فريد « البهجة التوفيقية فى تاريخ مؤسس العائلة الخديوية » ، والجزء الثانى من « تاريخ مصر الجديد » لجورجى زيدان ، يؤرخ لمصر فى العصر الحديث .

ز — كتب التراجم العامة :

ومن فنون التاريخ التى عالجها المصريون فى القرن التاسع عشر فن التراجم بجميع أنواعه ، فقد ألفوا كتباً فى التراجم العامة ، ترجموا فيها لمجموعة من الرجال القدامى أو المعاصرين ، ومن أمثلة هذا النوع كتاب « أشهر مشاهير الإسلام » لرفيق العظم ، وكتاب « حماة الإسلام » لمصطفى نجيب ، وهذان يضمان تراجم لأبطال الإسلام القدامى ؛ وكتاب « تراجم مشاهير الشرق » لجورجى زيدان ، وكتاب « نوابغ الأقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر » لتوفيق إسكاروس ، وكتاب « تراجم أعيان القرن الثالث عشر الهجرى » لأحمد تيمور (وهذان الأخيران من مؤلفى القرن العشرين) .

ح — السِّيَر :

وهناك مجموعة أخرى من الكتب يضم كل منها ترجمة واحدة أو سيرة لرجل واحد ، وهذه جميعاً تؤرخ لبعض البارزين من

المصريين فى القرن التاسع عشر ، ومن أمثلتها سيرة رفاعة المسماة « حلية الزمن بمناقب خادم الوطن » التى كتبها تلميذه صالح مجدى ، و « ترجمة حياة محمود باشا الفلكى » التى كتبها محمد مختار باشا وإسماعيل الفلكى باشا ، و « ترجمة حياة إسماعيل باشا الفلكى » لأحمد زكى باشا ، و « ترجمة تاريخ كلوت بك مؤسس المدارس الطبية » لمحمد لبيب ، و « ترجمة أبو السعود أفندى » لولده محمد بك أنسى » .

ط — السير الشخصية :

ويضاف إلى هذه بعض السير الشخصية ، اى التى أرخ فيها أصحابها لأنفسهم ، وخير أمثلة لهذه سيرة على مبارك التى أرخ فيها لحياته وضمنها كتابه الخطط التوفيقية عند كلامه عن مدينة برنبال ، والسيرة التى كتبها محمد عمر التونسى لنفسه فى كتابه « تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » ، والسيرة التى كتبها عبدالله النديم لنفسه فى كتابه « كان ويكون » .

ى — القصة التاريخية :

وهناك أخيراً فن من فنون الكتابة التاريخية عرفته مصر لأول مرة فى أواخر القرن التاسع عشر ، وهو فن « القصة التاريخية » وصاحب الفضل الأول فى اقتحام هـذا الميدان .

« جورجى زيدان » الذى كتب ١٨ قصة حاول فيها أن يروى قصة الإسلام والمسلمين منذ عصر الرسول إلى القرن التاسع عشر ، حقيقة لقد سبق محمد المويلحى غيره فى محاولة كتابة القصة الأدبية حين كتب « عيسى بن هشام » ، ولكن جورجى زيدان كان أول من كتب القصة التاريخية ، وقد نما هذا الفن فى القرن العشرين وبرز فيه عدد من المصريين الذين كتبوا القصة التاريخية من أمثال محمد فريد أبو حديد ، ونجيب محفوظ ، وعلى أحمد با كثير ، ومحمد سعيد العريان .

ك — التأليف فى التاريخ بلغات أوربية :

ظاهرة أخيرة تمتاز بها حركة التأليف التاريخى فى مصر فى القرن التاسع عشر ، وهى إقبال عدد من المشتغلين بالتاريخ فى مصر على كتابة مؤلفاتهم ومقالاتهم بلغات أوربية ، وباللغة الفرنسية بوجه خاص ، وهذه ظاهرة لا نجد لها مثيلا عند المؤرخين فى مصر الإسلامية قبل القرن التاسع عشر ، لقد كان بعض هؤلاء المؤرخين ورجال الفكر من المصريين يعرف بعض اللغات الأجنبية بل ويتقنها وخاصة اللغتين الفارسية والتركية ، فمن بين المؤرخين كان ابن دقماق والعينى وابن تغرى بردى وابن إياس يعرفون اللغة التركية ، ومن بين رجال الفكر كان الشيخ حسن الجبرتى يتقن اللغتين الفارسية والتركية ، وكان المرتضى الزبيدى يتقن الفارسية

والتركية والكرجية ، ولكننا لا نعرف أن واحداً من هؤلاء أو غيرهم ألف بغير اللغة العربية ، وذلك لأن اللغة العربية كانت هى لغة العلم فى الشرق الإسلامى فى العصور الوسطى .

وإذا كان بعض المشتغلين بالتاريخ فى مصر فى القرن التاسع عشر قد كتبوا باللغة الفرنسية فذلك لأن هذه اللغة كانت قد أصبحت لغة العلم ولغة السياسة فى العالم المتحضر ، وهؤلاء الذين كتبوا بها من المصريين كانوا من خريجى البعثات الذين درسوا فى فرنسا ، أو ممن درسوا اللغة الفرنسية فى مدرسة الألسن .

وفى مقدمتهم يعقوب أرتين وهو أرمنى الأصل ، أرسل فى بعثة إلى أوربا فى عصر محمد على لدراسة الإدارة الملكية ، وقد تثقف يعقوب ثقافة أوربية ، وولى وظائف كثيرة ، فكان مؤدباً لبعض أنجال الخديو إسماعيل فى سنة ١٨٧٣ ، وكاتماً أوربياً للأسرار فى المعية فى سنة ١٨٧٩ ، ووكيلاً لديوان المدارس منذ سنة ١٨٨٤[١] ، وكان من المشتغلين بالعلم المعنيين بالتاريخ بوجه خاص ، وله كتب وأبحاث كثيرة كتبها باللغة الفرنسية ، فمن كتبه :

---

(١) أحمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم فى مصر — عصر إسماعيل — ، ص ١٠ ، ٨٩ ، ١٢٠ ، ١٨٤ ، ٢١١ ، ٦١٣ ، ٨٧٤ .

— L'Instruction Publique en Egypte, Paris 1890.

وقد ترجمه على بهجت إلى اللغة العربية بعنوان : « التعليم العام فى مصر » وطبع فى بولاق سنة ١٨٩٤ .

وكتاب :

— La Propritété Foncière en Egypte, Le Caire 1883.

وقد ترجمه إلى العربية سعيد عمون بعنوان : « الأحكام المرعية فى شأن الأراضى المصرية » ، وطبع فى بولاق سنة ١٣٠٧ ه .

وكتاب :

— Considerations sur L'Instruction Publique en Egypte. Le Caire 1894.

وله عدا هذه الكتب عدد كبير من المقالات التاريخية نشرها فى مجلة المعهد المصرى

(١) "Bulletin de L'Institut Egyptien"

وممن كتب باللغة الفرنسية أيضاً محمود الفلكى ، ومن كتبه :

1— *Memoires sur Le Calendrier Arabe avant L'Islamisme, sur La Naissance et L'age du Prophet Mohammed. Journal Asiatique 1858.*

---

(١) انظر على سبيل المثال .

Artin (Yacoub) :

= *Description de Six Lampes de mosquéesи en Verre Emaillé. dans (Le Bulletin de L'Inst. Egypt. anuée 1886).*

= *Trois Differentes Armoires de Kait Bey. dans (Le Bulletin de L'Inst. Egypt. 1888).*

وقد نشر هـذا البحث أولا فى المجلة الأسيوية ثم طبع على حدة ، وترجم إلى العربية تحت عنوان : « نتائج الأفهام فى تقويم العرب قبل الإسلام وتحقق مولد النبى وعمره عليه الصلاة والسلام » ، ترجمه أحمد زكى أفندى (مترجم محافظة الإسماعيلية) وطبع فى بولاق سنة ١٣٠٥ هـ :

2– *Memoire sur L'antique Alexandrie. Copenhague 1872.*

ولمحمود الفلكى مقالات كثيرة أخرى نشرت بالفرنسية فى المجلات العلمية فى مصر وفى أوربا مثل : مجلة المعهد المصرى ، ومجلة الجمعية الجغرافية ، والمجلة الأسيوية ، ونشرات الأكاديمية الملكية البلجيكية . . الخ . . الخ .

ومن المقالات التى نشرها فى النشرات البلجيكية سنة ١٨٨٥ ، مقال عنوانه :

"*L'Age et Le But des Pyramides Lus dans Sirius*"

« عمر الأهرام والغرض من بنائها » .

ومن هؤلاء قدرى باشا ، وله كتاب :

Cadri Pacha

= Notices Géographigues, Le Caire 1869.

ومنهم على بهجت ، وله بالفرنسية كتاب :

= Les Fouilles d'El Fustat"

وقد ترجمه إلى اللغة العربية بالاشتراك مع محمود عكوش بعنوان :—

« حفريات الفسطاط » .

وله عدا هذا الكتاب مقالات تاريخية وأثرية كثيرة نشرها في مجلة المعهد المصرى(١).

ومنهم محمد مختار باشا ، وقد ولى إدارة هرر وقتاً ما عندما كانت خاضعة لحكم مصر ، ومقالاته وأبحاثه عن هرر تعتبر حتى اليوم من أهم المراجع لدراسة هذه البلاد ، وقد نشر هذه الأبحاث والمقالات فى مجلة الجمعية الجغرافية الخديوية ، ومن أهمها :

Mohamed Mouktar

= *Notes sur Les Pays de Harar (Bulletin de La Sociêtê Khédiviale de Geohraphie du Caire 1876).*

ومنهم أحمد كمال باشا وله عدا كتبه العربية مقالات فرنسية كثيرة نشرها فى مجلة المعهد المصرى .

(١) انظر على سبيل المثال :

Aly Bahgat.

= *Les Forêts en Egypte et Leur Administration au moyen-âge (Bulletin de L'Inst. Egypt. 1900).*

= *Acte de Mariage du General Abdalla menou avec La Dame Zobeidah, (Bulletin. Inst. Egypt. 1898).*

= *La Famille Nusulmane du General Abdalla Menou. (B. Inst. Egypt. 1900).*

= *Un Etude Archéologique (Mémoires Institut Egyptien. tome VIII).*

= *Un Décret. du Sultan Khoshqsdam, (B. Inst. Eg. 5 th Series, V, 30-5)*

ومنهم أحمد شفيق باشا ، وقد كتب بالفرنسية كتاب :
L'Esclavage dans L'Islam

وقد ترجمه إلى العربية أحمد زكى باشا بعنوان : « الرق فى الإسلام ، بولاق ١٣٠٩ » ، وأضاف إليه تعليقات تاريخية هامة .

وهكذا لم يعد البحث التاريخى على الأسس العلمية الحديثة مقصوراً على الأوربيين والمستشرقين ، بل بدأ المصريون يدلون بدلائهم فى هذا الميدان ، وأخذوا يؤلفون باللغة الفرنسية ، ويكتبون بها مقالات وأبحاثاً جديدة قيّمة تنشر فى المجلات التاريخية العلمية فى مصر والخارج ، وعلى صفحات هذه المجلات تبدأ تظهر أسماء محمود الفلكى ، وإسماعيل الفلكى ، ومحمد مختار ، ويعقوب أرتين ، وأحمد كمال ، وعلى بهجت إلى جانب أسماء كازانوڤا ، وهرتس ، ومرييت ، وبروكش وغيرهم .

٥ — المنهج والطريقة والأسلوب

عند مؤرخى مصر فى القرن التاسع عشر

واختلفت كتابات المؤرخين المصريين فى القرن التاسع عشر عن كتابات سابقيهم من مؤرخى العصر الإسلامى الوسيط اختلافاً واضحاً فى المنهج والطريقة والأسلوب ، فقد كان مؤرخو العصر الوسيط يعتمدون على النقل ، والنقل الحرفى فى معظم الأحيان

وخاصة عندما يؤرخون للعصور السابقة ، والجديد فى كتبهم هو الأجزاء التى يؤرخون فيها لعصرهم ، وقليل منهم من كان ينقد أو يحلل أو يقارن أو يجرؤ على إبداء رأيه .

ومعظم هؤلاء المؤرخين كانوا يتبعون طريقة الحوليات ، فيؤرخون لمصر أو للعالم الإسلامى سنة سنة ، فكان القارئ لكتبهم يجد المعلومات التى بين يديه مجزأة منفصلة تنقصها وحدة الموضوع ، وقليل منهم كذلك من حاول التأريخ للموضوعات أو للدول كما فعل ابن خلدون فى تاريخه .

أما المؤرخون المصريون فى القرن التاسع عشر فقد تأثروا بالمنهج العلمى الحديث الذى لاحظوه فيما قرأوا أو درسوا أو ترجموا من كتب التاريخ الأوربية ، لهذا نجدهم يهملون طريقة الحوليات ، ويقسمون كتبهم التاريخية إلى موضوعات أو عصور أو دول ، فيؤرخون لكل عصر أو لكل دولة فى فصل مستقل ، يظهر هذا واضحاً فى كتاب رفاعة « أنوار توفيق الجليل » وفى كتب شاروبيم ، ومحمود فهمى ، وسرهنك ، وجورجى زيدان . . . الخ .

كذلك بدأ مؤرخو هذا العصر يحاولون فيما يكتبون أن ينقدوا وأن يحللوا وأن يقارنوا وأن يصدروا الأحكام ، وبعدوا بذلك بعداً كبيراً عن طريقة النقل الحرفى التى كان يلتزمها سابقوهم .

ومن النواحى الهامة التى تأثر بها المؤرخون المصريون فى هذا القرن فى منهجهم وطريقتهم العلمية استعمالهم للعلوم المساعدة لتفسير التاريخ وفهمه ، مثل الوثائق والنميات والآثار والنقوش والكشوف الجغرافية . . الخ . . الخ .

وهذه أمور قل أن استعملها من سبقهم من المؤرخين ، حقيقة لقد أفاد بعض مؤرخى مصر الإسلامية من النقوش والوثائق مثل المقريزى فى كتابه الخطط ، أو القلقشندى فى صبح الأعشى ، ولكن مؤرخى مصر فى هذا القرن خطوا خطوات جديدة فى هذا الميدان ، فنجد الجبرتى يضمن كتابه « عجائب الآثار » كثيراً من الوثائق الصادرة عن حكام من الفرنسيين أو المماليك أو الأتراك ، كما يصرح فى مقدمة كتابه أنه رجع إلى كثير من النقوش المرقومة على شواهد القبور ، وإلى سجلات الكتبة والمباشرين ، وكذلك فعل على مبارك فى كتابه الخطط ، ونجد سليما النقاش يضمن كتابه « مصر للمصريين » مجموعة ضخمة من الوثائق المتصلة بالثورة العرابية ، وينقل فيه صورة كاملة لمحاكمات العرابيين ، ونجد مؤلفاً آخر مثل فيليب جلاد[1] يجمع مجموعة

---

(١) فيليب جلاد (١٨٥٧ – ١٩١٤) سورى الأصل ، ولد بيافا : تلقى علومه فى مدرسة الآباء اليسوعيين ، ونبغ فى اللغة الفرنسية ، ثم رحل إلى مصر واستوطنها وتولى كثيرا من الوظائف الحكومية إلى أن عين محاميا بقلم قضايا الحكومة المصرية بالإسكندرية ، وكتابه يقع فى ٦ أجزاء ، وطبع فى مطبعة لاعوداكى بالإسكندرية طبعة أولى سنة ١٨٩٢ ، وطبعة ثانية سنة ١٩٠٠ – سنة ١٩٠١ .

كبيرة من القوانين واللوائح والفرمانات والمعاهدات الرسمية الصادرة عن الحكومة منذ سنة ١٨٤٠ إلى أواخر القرن التاسع عشر ويصدرها فى كتاب أسماه « قاموس الإدارة والقضاء » .

وكان أول من عنى بالوثائق (باعتبارها مرجعاً من أهم المراجع لدراسة التاريخ) من مؤرخى مصر فى القرن العشرين أمين سامى باشا فى كتابيه « تاريخ التعليم فى مصر » و « تقويم النيل » .

أما النميات فقد أفرد لها على مبارك جزءاً خاصاً من أجزاء كتابه « الخطط التوفيقية » ، وأما الآثار والكشوف الجغرافية فقد أفاد منها كثيرون من مؤرخى مصر ، وخاصة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، والأمثلة كثيرة تجدها واضحة فى كتب رفاعة وعلى مبارك وأحمد كمال وعلى بهجت .. وغيرهم .

أما الأسلوب فقد تغير تغيراً تدريجياً ، فمؤرخو هذا القرن التزموا فى أوله أسلوب سابقيهم فكانوا يختارون لكتبهم عناوين مسجوعة ، وكانوا يلتزمون السجع أحياناً فى كتابتهم ، ويكتبون بأسلوب سهل مرسل أحياناً أخرى ، وخير مثال لهذا التذبذب رفاعة ، فهو فى الجزء الأول من تاريخه المسمى « أنوار توفيق الجليل » يلتزم السجع إلى حد كبير ، ولكنه فى الجزء الثانى الذى أرخ فيه للرسول ترك السجع وانطلق يكتب بأسلوب سهل مرسل ، ولم يكد يشرف القرن التاسع عشر

على نهايته حتى وجدنا المؤرخين المصريين — والكتاب بوجه عام — يتركون هذه المحسنات البديعية ، ويكتبون بأسلوب سهل جميل خال تماماً مما كان يعيب أساليب العصر العثمانى المتأخر من ركاكة أو عجمة ، والفرق واضح جلى بين أسلوب الجبرتى أو رفاعة ، وأسلوب عبد الله النديم أو محمد عبده .

والموضوعات التى تناولها مؤرخو القرن التاسع عشر تختلف عن الموضوعات التى كان يتناولها المؤرخون السابقون اختلافاً كبيراً ، فمعظم مؤرخى مصر الإسلامية عنوا بالتاريخ السياسى عناية كبرى ، وقل أن نجد من بينهم من أرخ للنواحى الثقافية أو الحضارية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو نظم الحكم ، أما مؤرخو القرن التاسع عشر فقد ألفوا فى التاريخ السياسى ، وألفوا فى تاريخ العالم ، كما ألفوا فى نظم الأراضى ونظم التعليم ، وفى نظم الحكم فى عهد الرسول ، وفى الرق فى الإسلام ، وفى تاريخ التمدن الإسلامى ، وفى مشاكل المجتمع المصرى فى القرن التاسع عشر ، وفى الثورة العرابية . . الخ . . الخ .

٦ — حركة التأليف التاريخى فى القرن التاسع عشر
وأثرها فى المجتمع المصرى

بدأت العناية بالتاريخ فى القرن التاسع عشر بالكتب التاريخية التى ترجمت إلى اللغة التركية بأمر محمد على وابنه

إبراهيم ، وكان أثر هذه الكتب محدوداً ، فلم يفد منها — كما سبق أن ذكرنا — غير الوالي وابنه وبعض كبار رجال الدولة ممن يعرفون اللغة التركية .

ثم ترجم في مدارس محمد علي عدد ضخم من الكتب ، كانت في معظمها كتباً حربية أو علمية أو طبية ، وهذه كانت محدودة الأثر أيضاً ، فلم يفد منها إلا تلاميذ هذه المدارس ، أما الكتب المتصلة بالعلوم الإنسانية من تاريخ وجغرافيا وفلسفة ومنطق التي ترجمها رفاعة وتلاميذه في مدرسة الألسن فقد كانت أقوى أثراً في المجتمع المصري وفي القراء المثقفين من خريجي المدارس الحديثة ومن رجال الأزهر على السواء ، ولقد حاول الشيخ محمد عبده أن يقلل من أثر هذه الكتب التي ترجمت في عصر محمد علي فقال إن أثرها لم يتعد جدران المدارس وأن معظم هذه الكتب كان يودع بعد طبعه في المخازن ، إلى أن بيع بعد ذلك للوراقين ، قال في مقال له بعنوان « آثار محمد علي في مصر » نشر في « مجلة المنار »(١) سنة ١٩٠٢ بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور مائة سنة على تولي محمد علي حكم مصر : « وجد كثير من الكتب المترجمة في فنون شتى من التاريخ والفلسفة والأدب ،

---

(١) مجلة المنار ، المجلد الخامس ، الجزء الخامس ، ١٩٠٢ ، وطبع هذا المقال ثانية في الجزء الثاني من « تاريخ الأستاذ الإمام » لرشيد رضا .

ولكن هذه الكتب أودعت فى المخازن من يوم طبعت ، وأغلقت عليها الأبواب إلى أواخر عهد إسماعيل باشا ، فأرادت الحكومة تفريغ المخازن منها ، وتخفيف نقله عنها ، فنثرتها بين الناس ، فتناول منها من تناول ، وهذا يدلنا على أنها ترجمت برغبة الرؤساء من الأوربيين الذين أرادوا نشر آدابهم فى البلاد ، ولكنهم لم ينجحوا لأن حكومة محمد على لم توجد فى البلاد قراء ولا منتفعين بتلك الكتب والفنون . . الخ » .

ولكنا نرى أن محمد عبده كان مغالياً فى حكمه هذا ، وأن هذا الحكم إن صدق على الكتب الحربية والعلمية فإنه لا يصدق على الكتب التى ترجمت فى الألسن ، فقد ظل المثقفون من المصريين يقبلون على قراءتها طوال القرن التاسع عشر وشطراً من القرن العشرين ، والشواهد على هذا كثيرة ، فقد كانت ترجمة رفاعة لجغرافية ملطبرون Malte Brun ضمن الكتب التى طلبها عبد الله النديم ليقرأها فى مخبئه ، وكتب الشيخ مصطفى عبد الرازق — وهو تلميذ محمد عبده — فى أول القرن العشرين مقالا ينقد فيه ترجمة الدكتور طه حسين والأستاذ محمد رمضان لكتاب الواجب لجول سيمون ، وأشار فى هذا المقال إلى أنه قرأ الكتب التى ترجمها رفاعة وأفاد منها ، قال عند كلامه عن طريقة الترجمة الحرفية : « وأذكر أننى فى ما وقع إلى من معربات الأستاذ رفاعة بك رافع وجدت دقة فى تطبيق هذه القاعدة

تدل على ما كان فى طريقة الأستاذ من نفحات العلم الحديث »[١] .

أما الكتب المؤلفة فقد كان أثرها فى المجتمع المصرى قوياً واضحاً ، وأوضح ما يكون هذا الأثر فى ناحيتين :

— خلق الحاسة التاريخية ودفع المصريين للعناية بالتاريخ كعلم بوجه عام ، وبتاريخ مصر فى عصورها المختلفة بوجه خاص .

— تغذية الروح القومية .

وقد ساعد على تحقيق هذين الأثرين عوامل كثيرة شرحناها بالتفصيل فى الفصول السابقة ، وأهمها فى رأينا الفهم الجديد لتاريخ مصر القديم ، وللحضارة المصرية باعتبارها وحدة متصلة كانت تشع من أضوائها على شعوب العالم جميعاً ، والاعتداد بأمجاد هذا التاريخ وهذه الحضارة ، ثم العناية بالآثار والتنقيب عنها وحفظها وصيانتها باعتبارها نماذج لهذه الحضارة المصرية فى عصورها المختلفة .

وقد بدأ هذا الفهم — كما أسلفنا القول — رفاعة الطهطاوى ، ثم ردد أقواله ومفاهيمه غالبية المؤرخين والكتاب الذين أتوا بعده .

---

(١) مقال نشر فى الجريدة ، الأربعاء ٢٩ يوليو ١٩١٤ م . ونشر ثانية فى كتاب (من آثار مصطفى عبد الرازق ، نشر على عبد الرازق ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٤٦) .

وكان لكتب التراجم التى ألفت فى القرن التاسع عشر أثرها القوى كذلك ، فمؤلفوها لم يترجموا لطبقات معينة من الناس كالأطباء أو النحاة أو الفقهاء ، ولم يترجموا لرجال قرن برمته كما كان يفعل مؤلفو كتب التراجم فى العصر الإسلامى ، وإنما كان كل واحد منهم يتخير مجموعة بعينها من الأبطال والعظماء فيترجم لهم مبيناً نواحى البطولة فى حياته وأعماله ، هكذا فعل رفيق العظم فى « أشهر مشاهير الإسلام » ، ومصطفى نجيب فى « حماة الإسلام » ، وجورجى زيدان فى « تراجم مشاهير الشرق » ، فكل شخصية ترجم لها فى هذه الكتب كانت توحى — دون شك — إلى الشبان المصريين بمعانى البطولة ، وتضع أمام أعينهم نماذج من العظماء الذين آمنوا بالمثل العليا والفداء والتضحية .

وكتب التراجم الفردية لا تقل أهمية عن كتب التراجم العامة ، فتراجم رفاعة ، وعلى مبارك ، وأبو السعود ، ومحمود الفلكى وغيرهم كلها تؤرخ لمصريين عصاميين نشأوا فى قلب الريف المصرى ، واستطاعوا عن طريق العلم وبجدهم واجتهادهم أن يصلوا إلى أعلى المناصب فى الدولة ، وأن يؤدوا لوطنهم خدمات كثيرة جليلة .

والتأريخ لحركة البعث القومى وللمقاومة الشعبية للاحتلال الأجنبى التى تبدو واضحة فى ما كتبه الجبرتى فى كتابيه التاريخيين ، والتأريخ للثورة العرابية وبواعثها وأهدافها فى كتاب « مصر للمصريين » ، وفى كتابات ومذكرات قادة الثورة ، كل هذا كان

له أثره الواضح القوى فى إشعال الحركات الوطنية وتقوية الروح القومية بين المصريين فى القرن العشرين ، ولا يستطيع أحد أن ينكر تأثر حركة مصطفى كامل وحركة سعد زغلول بل وحركة جمال عبد الناصر بهذه العوامل جميعاً .

وساعدت حركة إحياء التراث القديم وطبع الكثير من الكتب التاريخية على تعريف المصريين بأمجادهم التاريخية فى العصر الإسلامى ، فبدأوا يحسون بأنفسهم ويعملون على بعث هذا الماضى المجيد .

ولكننا نأخذ على حركة التأليف التاريخى فى القرن التاسع عشر أنها لم تقم على أكتاف مؤرخين محترفين أعدوا أنفسهم إعداداً كاملا لدراسة التاريخ وتدريسه والتأليف فيه ، فنحن إذا استثنينا الجبرتى الذى ركز جهوده للتأليف فى التاريخ ، أو رفاعة الذى أعد نفسه إعداداً ما للكتابة فى التاريخ ، نجد أن بقية المؤرخين المصريين فى القرن التاسع عشر كانوا من الهواة ، فهم أصلا ذوى ثقافات متعددة مختلفة فى القانون أو الهندسة أو الأدب أو الحرب أو العلوم الدينية ، ثم شغفوا حباً بالتاريخ فكتبوا فيه ، هذا الوضع سيتغير فى القرن العشرين ، فترسل أول الأمر فى العشر الثانية بعثات من خريجى مدرسة المعلمين ، إلى جامعات أوربا للتخصص فى دراسة التاريخ .

ثم تفتح الجامعة المصرية الحكومية فى سنة ١٩٢٥ ، وينشأ بها قسم خاص لدراسة التاريخ بجميع فروعه ويقوم بالتدريس فيه أول الأمر عدد من أساتذة التاريخ الأوربيين وعدد من مبعوثى المعلمين العليا بعد عودتهم ، ثم ترسل بعثات أخرى من خريجى هذه الجامعة ومن خريجى الجامعات المصرية الأخرى بعد إنشائها ، وتنشأ بأقسام التاريخ فى هذه الجامعات أقسام للدراسات العليا ، وخريجو هذه الأقسام وأعضاء هذه البعثات هم الذين يشغلون الآن كراسى التاريخ فى الجامعات ، ولجهودهم وجهود تلاميذهم فى التأليف والترجمة والنشر طابع جديد خاص ، أيسر ما نقوله عنه إنه طابع علمى رصين .

جمال الدين الشيال

ملحـــق

فيه بيان بأسمـاء المؤرخين فى مصر

فى القرن التاسع عشر وأهم مؤلفاتهم التاريخية

أرتين (يعقوب باشا)

توفى ١٩١٩

١ — الأحكام المرعية في شأن الأراضى المصرية ، ترجمه إلى العربية سعيد عمون ، بولاق ١٣٠٧ هـ

٢ — الكتاب السابق كتب أصلاً بالفرنسية ، وعنوانه :

— *La Propriété Fonciére en Egypte. Cairo* 1883.

٣ — القول التام في التعليم العام ، عربه على بك بهجت ، بولاق ١٨٩٤ .

٤ — الكتاب السابق كتب أصلا بالفرنسية وعنوانه :

—*L'Instruction Publique en Egypte Paris 1890.*

5— *Letters du Dr. Perron, du Caire et d'Alexandrie à m. Jules Mohl, à Paris (1838-1854). Le Caire, 1911.*

6— *Lettres Inédites du Dr. Perron à m. J. Mohl. (B.I E. 5 eme Serie. t. III, 1909. p.p. 137-152).*

الأفغانى (جمال الدين)

١٨٣٨ — ١٨٩٧

تتمة البيان في تاريخ الأفغان ، مطبعة الموسوعات ١٣١٧هـ (١٩٠٠ م).

بهجت (على بك)

١٨٥٩ — ١٩٢٤

١ — الآثار العربية ، ترجمه عن مكس هارتس بك ، مطبعة دار الآثار ١٩١٠ .

٢ — تاريخ جامع السلطان حسن ، معرّب ، بولاق ١٣١٩ هـ ، ومعه ٢٠ لوحة كبيرة بالألوان .

٣ — تقرير عن دار الكتب الخديوية ، مطبعة الجريدة ١٩٠٨ .

٤ — فهرست مقتنيات دار الآثار العربية ولمعة فى تاريخ فن المعمار وسائر الفنون الصناعية بمصر ، معرب عن مكس هارتس بك . بولاق ١٣٢٧ .

٥ — قاموس الأمكنة والبقاع التى يرد ذكرها فى كتب الفتح ، مطبعة التقدم ١٣٢٤ هـ .

٦ — قانون ديوان الرسائل لابن الصيرفى ، نشره لأول مرة مع تحقيقات وتعليقات كثيرة على بهجت ، القاهرة ١٩٠٥ .

٧ — القول التام فى التعليم العام معرب عن يعقوب أرتين باشا بولاق ١٨٩٤ م (انظر : أرتين — يعقوب —) .

٨ — محاضر جلسات لجنة حفظ الآثار العربية وتقارير قسمها الفنى (تعريب على بهجت) من المجموعة الأولى إلى المجموعة السادسة والعشرين عن سنة ١٩٠٩ هـ ، مطبعة

ديوان عموم الأوقاف ، المجموعة ٣٦ طبعت سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م).

9 — *Les Fouilles d'Al Fustat*

١٠ — حفريات الفسطاط ، وهو ترجمة عربية للكتاب السابق ، قام بها المؤلف بالاشتراك مع محمود عكوش ، مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٩٢٨ .

11 — *Les Forêts en Egypte et Leur Administration au Moyen âge (B.I.E, année 1900).*

12 — *Acte de mariage du General Abdalla menon avec La Dam Zobeidah (B.I.E. an 1898).*

13 — *La Famille Musulmane du Général Abdulla Menou (B.I.E.- an. 1900).*

14 — *Un Etude Archeologique (mem. I.E. tome VIII.)*

15 — *Histoire de La Houdjra de Médine, ou Salle Funéraire du Prophète a Propos d'un Chandelier Offert par Qayt-Bay. (B.I.E. 5 th Serie, T. VIII).*

16 — *Les Manufactures d'Etoffe en Egypte au Moyen Age, (Communication faite à L'Institut Egyptien dans La Séance du 6 avril 1903) Le Caire, 1904.*

التُرك (نيقولا)

١٧٦٣ — ١٨٣٧ م

١ — ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد

الشامية ، طبع طبعة أولى مع ترجمة فرنسية بقلم مسيو ديجرانج Desgranges فى باريس سنة ١٨٣٩ ، ونشر النص كاملاً مع ترجمة فرنسية وتعليقات الأستاذ جاستون ڤييت .G. Wiet ، القاهرة ١٩٥٠

التونسى (الشيخ محمد عمر)

١٢٠٤ — ١٢٧٤ (١٧٩٠ — ١٨٥٨)

١ — تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، طبع طبع حجر بإشراف الدكتور « برّون Perron » ، باريس سنة ١٨٥٠ ، وترجمه برون إلى الفرنسية ، ونشرت الترجمة بعنوان «Veyage au Darfour» باريس سنة ١٨٥٥

٢ — رحلة ودّاى ، لم ينشر النص العربى للرحلة ، وإنما نشرت الترجمة الفرنسية التى قام بها دكتور برّون وجعل عنوانها «*Vayage au wadday*»، باريس سنة ١٨٥١

الجبرتى (عبد الرحمن)

١١٦٧ — ١٢٤٠ (١٧٥٤ — ١٨٢٥)

١ — عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ٤ أجزاء طبع فى

بولاق سنة ١٢٩٧ هـ ، وفى المطبعة الشرقية بالقاهرة ١٣٢٣ هـ ، وطبع الجزء الثالث منه فقط بعنوان « تاريخ الفرنساويين فى مصر » وأشرف على تصحيحه صاحبا جريدة مصر ، الاسكندرية ١٨٧٨ م ، وطبع كاملاً بهامش كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير ، القاهرة سنة ١٣٠٢ هـ .

وترجمه إلى الفرنسية شفيق منصور يكن بك ، وعبد العزيز كحيل بك ، وجبرائيل كحيل بك ، واسكندر عمون بك ، وطبعت الترجمة فى ٩ أجزاء ، القاهرة ١٨٨٨ م .

٢ — مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس ، توجد منه نسختان خطيتان بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، رقم ٣٣٠ تاريخ و ١٠١ م .

وقد طبع أخيراً طبعة سقيمة كثيرة الأخطاء المطبعية ضمن مجموعة « اخترنا لك » ، جزءان ، القاهرة ١٩٥٨ .

وتوجد منه نسخة خطية ثالثة فى مكتبة حودت باشا رقم ٧٦ ، ونسخة رابعة بمكتبة سوهاج رقم ٢٠١ تاريخ ، ويوجد من النسختين الأخيرتين فيلم مصور بمعهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، وقد ترجمه إلى الفرنسية مسيو كاردان

Cardin وطبعت الترجمة فى الاسكندرية سنة ١٨٣٥ .
وترجمه إلى اللغة التركية السيد أحمد عاصم افندى ، وتوجد نسخة خطية من هذه الترجمة فى دار الكتب المصرية رقم ٨٨٥٤ .

الخشاب (الشيخ إسماعيل)

توفى ١٢٣٠ هـ (١٨١٥ م)

١ — تاريخ حوادث وقعت بمصر من سنة ١١٢٠ إلى دخول الفرنسيس ، توجد منه نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بباريس ، ومنها صور شمسية بالمكتبة التيمورية رقم ٢١٠٧ تاريخ ، ومنها فيلم بمعهد المخطوطات العربية .

الرجبى (الشيخ خليل ابن أحمد)

القرن الثالث عشر الهجرى

١ — منه نسخة خطية بدار الكتب رقم ٥٨٥ ، ومنها صور شمسية بنفس الدار رقم ٥٠٢ ، وتوجد نسخة خطية أخرى بمكتبة سوهاج رقم ١٠٥ تاريخ ، ومنها فيلم بمعهد المخطوطات العربية .

رفاعة رافع الطهطاوى

١٢١٦ — ١٢٩٠ هـ (١٨٠١ — ١٨٧٣)

١ — أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى إسماعيل ، الجزء الأول فى تاريخ مصر فى العصور القديمة ، بولاق سنة ١٢٨٥ هـ .

٢ — تخليص الإبريز إلى تلخيص باريس أو « الديوان النفيس بإيوان باريس » ، بولاق ١٢٥٠ و ١٢٦٥ هـ ؛ والقاهرة ١٢٣٣ هـ .

وقد ترجمت هذه الرحلة إلى اللغة التركية ، ترجمها رستم افندى بسيم بعنوان « سفارت نامهٔ رفاعة بك » ، وطبعت فى بولاق سنة ١٢٥٥ هـ .

٣ — قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر ، تأليف دبنج Depping وترجمة رفاعة ، بولاق ١٢٤٩ هـ .

٤ — نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز ، مطبعة روضة المدارس ١٢٩١ هـ .

زكى (حسين)

١ — تاريخ الأمم الشرقية القديمة ، مطبعة المقتطف ١٨٩٢ .

٢ — يقظة الغافلين عن سير وحكم أشهر الفلاسفة الماضين ، معرب ، القاهرة (بدون تاريخ) .

زيدان (جورجى)

١٨٦١ — ١٩١٤

١ — أنساب العرب القدماء ، القاهرة (بدون تاريخ) .

٢ — تاريخ آداب اللغة العربية ، ٤ أجزاء ، مطبعة الهلال ١٩١١ ، وطبع طبعات أخرى كثيرة آخرها سنة ١٩٥٨

٣ — تاريخ انجلترا ، القاهرة ١٨٩٩ .

٤ — تاريخ التمدن الإسلامى ، ٥ أجزاء ، القاهرة ١٩٠٢ — ١٩٠٦ (ويطبع الآن طبعة ثانية ، القاهرة ١١٥٨) .

٥ — التاريخ العام منذ الخليقة إلى الآن ، الجزء الأول فقط ، بيروت ١٨٩٠ .

٦ — تاريخ اللغة العربية باعتبار أنها كائن حى نام خاضع لناموس الارتقاء ، مطبعة الهلال ، ١٩٠٤ .

٧ — تاريخ الماسونية العام ، القاهره ١٨٨٩ .

٨ — تاريخ مصر الجديد ، جزءان ، مطبعة الهلال ، ١٣٠٦ هـ (١٩١١) .

٩ — تاريخ اليونان والرومان ، القاهرة (بدون تاريخ) .
١٠ — تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٠٧ ، وطبعة ثانية ١٩١١ .
١١ — العرب قبل الإسلام ، مطبعة الهلال ١٩٠٨ ، وطبعة ثانية ١٩٥٨ .

(وله عدا هذا ثمانية عشرة قصة تاريخية عرض فيها تاريخ الإسلام منذ ظهوره إلى العصر الحديث) .

سرهنك (إسماعيل باشا)

توفى ١٩٢٤ م

١ — حقائق الأخبار عن دول البحار ، الجزء الأول بولاق ١٣١٢ — ١٣١٤ ، والجزء الثانى بولاق ١٣١٦ ، والقسم الأول من الجزء الثالث بولاق ١٩٢٣ م

أبو السعود (عبد الله)

١٢٣٦ — ١٢٩٥ (١٨٢١ — ١٨٧٨)

١ — تاريخ الديار المصرية فى عهد الدولة المحمدية العلية ، تأليف برنار ، وترجمة أبو السعود ، مطبعة وادى النيل ١٢٩٢ هـ .
٢ — الدرس التام فى التاريخ العام ، لم يكمل بل وصل فيه المؤلف إلى الفصل الخامس ، المطبعة الشرقية ١٢٨٩ هـ .

٣ — فرجة المتفرج على الانتيقه خانه الخديوية ، تأليف ماريت بك ، ترجمة أبو السعود ، مطبعة وادى النيل ١٢٨٦ ﻫ .

٤ — قناصة أهل العصر من خلاصة تاريخ مصر (تاريخ قدماء المصريين) تأليف ماريت بك ، وترجمة أبو السعود ، بولاق ١٢٨١ .

٥ — منحة أهل العصر بمنتقى تاريخ محي مصر (منظومة فى تاريخ محمد على) مطبعة وادى النيل ١٣٦٣ ﻫ .

٦ — نظم اللآلى فى السلوك فيمن حكم فرنسا ومن قابلهم على مصر من الملوك ، ترجمه عن الفرنسية ، وهو تأريخ لملوك فرنسا من الدولة الميروفنجية إلى عهد الملك لوى فيليب ، ثم أضاف إليه ملحقا أرخ فيه لولاة مصر من الفتح العربى إلى عهد السلطان عبد المجيد ، بولاق ١٢٥٧ ﻫ .

٧ — كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين لأبى شامة ، نشره أبو السعود لأول مرة فى جزئين ، مطبعة وادى النيل بالقاهرة ١٢٨٨ ﻫ .

شاروبيم (ميخائيل)

١٢٧٧ — ١٣٣٦ (١٨٦٠ — ١٩١٨)

١ — الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ، ٤ أجزاء ، بولاق ١٨٩٨ — ١٩٠٠ .

الشرقاوى (الشيخ عبد الله)

١١٥٠ — ١٢٢٧ (١٧٣٧ — ١٨١٢)

١ — تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين ، طبع طبعات كثيرة : مطبعة مصطفى وهبى بالقاهرة ١٢٨١ ﻫ ؛ وبولاق ١٢٩٦ ﻫ ؛ ومصر ١٣٠٠ ؛ وبهامش أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول للاسحاقى المنوفى ، وبهامش فتوح الشام للواقدى ١٣٠٠ ﻫ .

٢ — التحفة البهية فى طبقات الشافعية ، منه نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٥٧٨ تاريخ ، ومنها فيلم بمعهد المخطوطات العربية .

شقير (نعوم بك)

توفى ١٩٢٢

١ — أمثال العوام فى مصر والسودان والشام ، ٣ أجزاء مطبعة المعارف ١٩٠٣ .

٢ — تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، مطبعة المعارف ١٩٠٣

٣ — تاريخ سينا ، القاهرة ١٩١٦

الطنطاوى (الشيخ محمد عياد)

١٢٢٥ — ١٢٧٨ = ١٨١٠ — ١٨٦١

١ — تاريخ حياته بقلمه ، ولم ينجز منه إلا قطعة صغيرة ، نشر أصلها العربى ومعه ترجمة ألمانية (j. G, Kosegarten) فى مجلة :

(Zeischrift für die Kunde des Morgenlandes, 1850, 43-67, 197-200).

٣ — أحسن النخب فى معرفة لسان العرب ، وهو كتاب فى اللغة العامية المصرية ، ألفه وهو فى روسيا ، وطبع فى « ليبسك » سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨) ويشتمل هذا الكتاب على ألفاظ وجمل وأمثال ، ورسائل وقصص ، وأغان مصرية عامية ، ومعها ترجمتها إلى الفرنسية

٣ — مسودات تاريخ العرب ، ومعها ترجمة الباب الأول من كتاب « كلستان » لسعدى الشاعر الفارسى (مخطوط)

٤ — كتاب فى تاريخ روسيا عنوانه : « تحفة الأذكيا فى أخبار بلاد روسيا » كتبه بخط يده ١٢٦٦ (١٨٥٠)

٥ — رسالة عن الأعياد المصرية (مخطوطة)

وللتعريف بالكتابين الأخيرين انظر :

(Comptes-rendus de l'Academie des Sciences de Russie, 1926, p. 23-26 ; 1924, p. 102 sqq ; 1927, p. 181 sqq.)

و (جمال الدين الشيال : دكتور برون والشيخان محمد عياد الطنطاوى ومحمد عمر التونسى ، مجلة كلية الآداب بجامعة اسكندرية ، العدد الثانى ١٩٤٤ ، ص ١٧٩ — ٢٢١)

عرابى (أحمد باشا)

١٢٥٨ — ١٣٢٩ (١٨٤٢ — ١٩١١)

١ — تقرير (أحمد باشا عرابى) عن الحوادث العرابية ، مطبعة الجامعة (بدون تاريخ)

٢ — كشف الستار عن سر الأسرار (مذكرات عرابى باشا عن الثورة العرابية) ، محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، رقم ١٥٤٢ تاريخ ، وطبعت أكثر من طبعة .

العظم (رفيق)

١٢٨٣ — ١٣٤٣ (١٨٦٦ — ١٩٢٤)

١ — البيان فى التمدن واسباب العمران ، مطبعة الأعلام ١٣٠٤ هـ

٢ — أشهر مشاهير الإسلام فى الحرب والسياسة ، ٤ أجزاء ، مطبعة هندية ١٩٠٨ .

٣ — تنبيه الأفهام إلى مطالب الحياة الاجتماعية فى الإسلام ، مطبعة الموسوعات ١٣١٨ ه .

٤ — رسالة فى بيان كيفية انتشار الأديان ، وكون الدين الإسلامى قام بالدعوة لا بالسيف ، القاهرة (بدون تاريخ) .

الفلكى (محمود باشا)

١٢٢٠ — ١٣٠٣ = ١٨٠٥ — ١٨٨٦

١ — رسالة فى المقاييس والمكاييل العملية بالديار المصرية ، مطبعة الجوائب بالاستانة ١٢٩٠ ه .

٢ — ٣ نتائج الأفهام فى تقويم العرب قبل الإسلام ، ألفه أولا باللغة الفرنسية بعنوان : Mémoires sur le

Calendrier Arabe avant l'Islamisme et sur la Naissance et l'age du prophèt Mohammed (J.A. 1858).

وترجمه إلى العربية أحمد زكى ، بولاق ١٣٠٥ ه .

4— *Memoire sur l'Ancienne Alexandrie. Copenhagen 1872).*

5— *l'Age et le But des Pyramides lue dans Sirius (Academie Rayale Belge).*

فهمی (محمود باشا)

توفی ١٣١١ ﻫ (١٨٩٤)

١ — البحر الزاخر فی تاريخ وأخبار الأوائل والأواخر ، أتم منه ٤ أجزاء ، بولاق ١٣١٢ — ١٣١٣ ﻫ .

فوزی (إبراهيم باشا)

١ — السودان بين يدی غوردون وكتشنر ، جزءان ، مطبعة المؤيد ، ١٣٠٩ ﻫ .

قدری (محمد باشا)

Notices Géographiques, Cairo 1869.

كمال (أحمد باشا)

١٢٦٧ — ١٣٤١ ﻫ = ١٨٥١ — ١٩٢٣

١ — بغية الطالبين فی علوم وعوائد وصنائع وأحوال قدماء المصريين ، الجزء الأول ، مطبعة مدرسة الفنون والصنائع ، ١٣٠٩ — ١٣١٢ ﻫ .

٢ — ترويح النفس فی مدينة الشمس ، بولاق ١٢٩٦ .

٣ — الحضارة القديمة ، يتضمن المحاضرات التی ألقاها علی

طلبة الجامعة المصرية ، نشرت تباعا فى مجلة الجامعة المصرية ، ثم طبعت فى مجلد (القاهرة بدون تاريخ) .

٤ — الخلاصة الدرية فى آثار متحف الإسكندريه ، تأليف الدكتور بونى أمين متحف الاسكندرية ، مطبعة عين شمس ١٣١٩ هـ (١٩٠١) .

٥ — الخلاصة الوجيزة ودليل المتفرج بمتحف الجيزة ، القاهرة ١٣١٠ هـ .

٦ — الدر المكنوز فى الخبايا والكنوز ، الجزء الأول ، عربى وفرنساوى ، القاهرة (بدون تاريخ) .

٧ — الدر النفيس فى مدينة منفيس ، القاهرة ١٩١٠ .

٨ — دليل دار التحف المصرية الفاخرة لمدينة القاهرة ، تأليف ماسپيرو ، ترجمة أحمد كمال ، بولاق ١٩٠٣ .

٩ — صفائح القبور فى العصر اليونانى والرومانى ، جزءان ، القاهرة (بدون تاريخ) .

١٠ — العقد الثمين فى محاسن أخبار وبدائع آثار الأقدمين من المصريين ، بولاق ١٣٠٠ هـ .

١١ — الفرائد البهية فى قواعد اللغة الهيروغليفية ، طبع حجر ، بولاق ١٣٠٣ هـ .

١٢ — اللآلى الدرية فى النبات والأشجار القديمة المصرية ، طبع حجر بمطبعة مدرسة الفنون والصنائع ١٣٠٦ هـ .

١٣ — الموائد القديمة من الطبقة الوسطى إلى عهد الرومان ، جزءان القاهرة (بدون تاريخ) .

مبارك (على باشا)

١٢٣٩ — ١٣١١ = ١٨٢٤ — ١٨٩٤

١ — حقائق الأخبار فى أوصاف البحار ، نشر أولا فى مجلة روضة المدارس ، ثم طبع فى مطبعة وادى النيل ١٢٨٧هـ .

٢ — الخطط التوفيقية الجديدة ، ٢٠ جزءا ، بولاق ١٣٠٦ هـ .

٣ — خلاصة تاريخ العرب ، تأليف سيديو ، ترجمة على مبارك ، مطبعة محمد مصطفى ١٣٠٩ هـ .

٤ — الميزان فى الأقيسة والمكاييل والأوزان ، القاهرة ١٣٠٩هـ .

٥ — نخبة الفكر فى تدبير نيل مصر ، مطبعة وادى النيل ١٢٩٨ هـ .

مجدى (السيد صالح)

١٢٤٢ — ١٢٩٨ = ١٨٢٧ — ١٨٨١

١ — حلية الزمن بمناقب خادم الوطن (سيرة رفاعة رافع

الطهطاوى) نشر وتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٩٥٨ .

محمد عبده (الأستاذ الإمام)

١٢٥٨ — ١٣٢٣ (١٨٤٢ — ١٩٠٥)

١ — الإسلام والرد على منتقديه ، مطبعة السعادة ١٣٢٧ ه .

٢ — الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، مطبعة المنار ١٣٢٣ ه .

٣ — تاريخ أسباب الثورة العرابية ، نشرت أجزاء منه فى « تاريخ الأستاذ الإمام » ح ١ ، ص ١٥٩ وما بعدها ؛ وأجزاء أخرى فى كتب مستر « بلنت » وفى رسالة الدكتور محمد صبرى باللغة الفرنسية عن نشأة الروح القومية المصرية التى طبعت فى باريس ١٩٢٤ .

٤ — تاريخ إسماعيل باشا .

٥ — فلسفة الاجتماع والتاريخ .

والكتابان الأخيران مفقودان .

محمد فريد

توفى ١٩١٩

١ — البهجة التوفيقية فى تاريخ مؤسس العائلة الخديوية ، بولاق ١٣٠٨ هـ .

٣ — تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مطبعة محمد مصطفى ١٨٩٣ .

٣ — تاريخ الرومانيين ، الجزء الأول ، القاهرة ١٣١٨ هـ .

٤ — رحلات محمد بك فريد :

الأولى سنة ١٩٠١ فى بلاد الأندلس والجزائر ومراكش .

الثانية سنة ١٩٠٢ إلى أيطاليا وتونس والجزائر وطرابلس الغرب ومالطة .

والثالثة سنة ١٩٠٣ إلى تريستا .

والرابعة سنة ١٩٠٤ إلى بلاد النرويج .

طبع بالإسكندرية (بدون تاريخ) .

مختار (محمد باشا) :

١٢٦١ — ١٣١٥ (١٨٣٥ — ١٨٩٧)

١ — التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية ، بولاق ١٣١٠ هـ .

٢ — رسالة فى تحديد أطوال المقاييس والموازين والمكاييل المستعملة فى مصر ، بولاق ١٨٩١ .

٣ — المجموعة الشافية فى علم الجغرافية ، ومعها أطلس جغرافى ، بولاق ١٢٨٩ هـ .

٤ — مختصر فى بيان كيفية حساب التقويم لأوقات الصلاة (؟)

٥ — نبذة تتضمن إقامه البرهان على معرفة قدماء المصريين لحقيقة شكل الأرض .

مصطفى كامل :

١٨٧٤ — ١٩٠٨

١ — الشمس المشرقة ، مطبعة اللواء ١٩٠٤ .

٢ — المسألة الشرقية ، مطبعة الآداب ١٨٩٨ .

٣ — رسائل مصرية فرنسية (مجموعة من الرسائل المتبادلة بينه وبين مدام جولييت آدم ، ترجمها إلى العربية أخوه على فهمى كامل) .

نجيب (أحمد) :

١ — الأثر الجليل لقدماء وادى النيل ، موضح بالصور ، وطبع فى بولاق ١٣٦١ هـ .

٢ — العقد النظيم فى مآخذ جميع الحروف المصرية من اللسان القديم ، ترجمه عن كتاب لأستاذه هنرى بروكش ، مطبعة المدارس الملكية ١٢٨٩ هـ .

٣ — القول المفيد فى آثار الصعيد ، بولاق ١٣١٠ .

النديم (عبد الله) :

١٢٦١ — ١٣١٤ = ١٨٤٥ — ١٨٩٦

١ — سلافة النديم (مختارات من رسائله ومقالاته) ج ١ ، القاهرة ١٨٩٧ ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٠١ .

٢ — كان ويكون ، مطبعة المحروسة ، ١٨٩٢ .

٣ — مقالات النديم ، القاهرة ١٣٢٧ هـ .

٤ - عبد الله النديم ومذكراته السياسية ، نشر محمد أحمد حلف الله ، القاهرة ١٩٥٦ .

النقاش (سليم خليل) :

١٨٨٣

١ — مصر للمصريين ، ٩ أجزاء ، طبع منه ٦ أجزاء فقط من الرابع إلى التاسع ، مطبعة جريدة المحروسة بالاسكندرية ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) .

المراجـــع

١ ــ المراجع العربية

أبو بكر (عبد المنعم) :

ــ البحوث الأثرية وأثرها فى كتابة التاريخ القديم (مقال بالمجلة التاريخية ، المجلد الخامس ١٩٥٦) .

آدمز (تشارلز) :

ــ الإســـــلام والتجديد فى مصر ، ترجمة عباس محمود ، القاهرة ١٩٣٥ .

(أمين أحمد) :

ــ زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، القاهرة ١٩٤٨ .

أمين (عثمان) :

ــ محمد عبده (مجموعة أعلام الإسلام) القاهر ١٩٤٤ .

ــ رائد الفكر المصرى محمد عبده ، القاهرة ١٩٥٥

تيمور (أحمد) :

ــ تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر ، القاهرة ١٩٤٠ .

الجبرتى (عبد الرحمن) :

— عجائب الآثار بذكر الخطط والآثار ٤ أجزاء ، المطبعة الشرقية بالقاهرة ١٣٢٣ هـ .

— مطهر التقديس فى زوال دولة الفرنسيس ، مجموعة « اخترنا لك » القاهرة ١٩٥٨ .

الجزرى الحنبلى (عبد القادر الأنصارى) :

— الدرر الفرائد المنظمة فى أخبار الحج وطريق مكة المعظمة ، ومنه نسخة بالتيمورية ، ونسخة بخط المؤلف فى مكتبة الأزهر رقم ٢٨٤٤ تاريخ .

جلاد (فيليب) :

— القاموس العام للإدارة والقضاء ، ٦ أجزاء ، مطبعة لاغودا كى بإسكندرية ١٩٠٠ — ١٩٠١ .

ابن حجر :

— الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ٤ أجزاء ، حيدر أباد الهند ١٣٥٠ (١٩٤٨) .

حداد (جبرائيل) :

— تاريخ الحرب السودانية ، القاهرة ١٨٨٧ .

حسين (محمد الصادق) :

— رفاعة الطهطاوى (مقال فى السياسة الأسبوعية ، السنة الثانية ، العدد ٦٤) .

حمادة (عبد المنعم) :

— الأستاذ الإمام محمد عبده ، القاهرة (بدون تاريخ)

حمزة (عبد اللطيف) :

— أدب المقالة الصحفية فى مصر ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٠ .

ابن خلدون (عبد الرحمن) :

— المقدمة ، المطبعة الخيريه بالقاهرة ١٣٢٢ هـ .

خلف الله (الدكتور محمد أحمد) :

— على مبارك ، سيرته ومؤلفاته ، القاهرة ١٩٥٦ .

الرافعى (عبد الرحمن) :

— تاريخ الحركه القوميه فى مصر ، عصر محمد على ، القاهرة ١٩٣٠ .

— عصر إسماعيل ، جزءان ، القاهره ١٩٣٢ .
— الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى ، القاهرة ١٩٣٧ .

الرجبى (الشيخ خليل بن أحمد) :

— تاريخ محمد على باشا ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٨٥ تاريخ .

رصد (سليمان) :

— كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر ، القاهرة ١٣٢٠ هـ .

رضا (محمد رشيد) :

— تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، الجزء الأول القاهرة ١٩٣١ ، الجزء الثالث القاهرة ١٩٠٦ ، والجزء الثانى القاهرة ١٩٠٨ .

رفاعة رافع الطهطاوى :

— تخليص الإبريز فى تلخيص باريز ، القاهرة ١٣٢٣ .
— أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى إسماعيل ، القاهرة ١٢٨٥ .

— التعريبات الشافية لمريد الجغرافية ، معرب عن الفرنسية ، بولاق ١٢٥٠ .

— قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر ، معرب عن الفرنسية ، بولاق ١٢٤٩ هـ .

— نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز ، القاهرة ١٢٩١ هـ .

— مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية ، القاهرة .

— المرشد الأمين فى تهذيب البنات والبنين .

رفعت (محمد) :

— جبر الكسر فى الخلاص من الأسر ، مطبعة الآداب والمؤيد ، القاهرة ١٣١٤ .

رمضان (محمد رفعت) :

— على بك الكبير ، القاهرة ١٩٥٠ .

زيادة (محمد مصطفى) :

— المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ، القاهرة ١٩٤٩ .

سامى (أمين باشا) :

— التعليم فى مصر ، القاهرة ١٩١٧ .

— تقويم النيل وعصر محمد على ، القاهرة ١٩٢٨ .

السخاوى (شمس الدين عبد الرحمن) :

— الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دمشق ١٣٤٩ .

سركيس (يوسف اليان) :

— معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مطبعة سركيس بالقاهرة ١٣٤٦ (١٩٢٨) .

الشرقاوى (محمود) :

— مصر فى القرن الثامن عشر ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٥٥ .

الشيال (جمال الدين) :

— تاريخ الترجمة فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية ، القاهرة ١٩٥١ .

— تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على ، القاهرة ١٩٥٢

— رفاعة الطهطاوى (مجموعة أعلام الإسلام) القاهرة ١٩٤٥ .

— رفاعة رافع الطهطاوى (مجموعة نوابغ الفكر العربى) دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٨

— الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق الإسلامى الحديث ، الجزء الأول (الهند وبلاد العرب) ، القاهرة ١٩٥٧

— الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق الإسلامى الحديث ، الجزء الثانى (مصر والشام) ، القاهرة ١٩٥٨ .

— حلية الزمن بمناقب خادم الوطن ، تأليف صالح مجدى ، نشر وتحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٨ .

— الدكتور برون والشيخان محمد عياد الطنطاوى ومحمد عمر التونسى (مقال بمجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية العدد الثانى ، ١٩٤٤) .

— الاسكندرية ، طبوغرافية المدنية وتطورها منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، القاهرة ١٩٥٢ .

شيبوب (خليل) :

— عبد الرحمن الجبرتى ، العدد ٧٠ من مجموعة « اقرأ » ، القاهرة ١٩٤٨ .

شيخو (لويس) :

— الآداب العربية فى القرن ١٩ ، جزءان ، بيروت ١٩٠٨ — ١٩١٠ .

صبرى (الدكتور محمد) :

— مصر فى أفريقيا الشرقية (هرر وزيلع وبربرة) القاهرة ١٩٣٩.

طوسون (عمر) :

— البعثات العلمية فى عهد محمد على ، الاسكندرية ١٩٣٤ .

الطويل (توفيق) :

— الشعرانى — مجموعة من أعلام الإسلام — القاهرة ١٩٤٥ .

— تاريخ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى ، القاهرة ١٩٤٦ .

عبده (إبراهيم) :

— تاريخ الوقائع المصرية ، بولاق ١٩٤٢ .

— أعلام الصحافة العربية ، القاهرة ١٩٤٤ .

عبد الرازق (مصطفى) :

— محمد عبده ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٤٦ .

— من آثار مصطفى عبد الرازق ، نشره أخوه على عبد الرازق ، دار المعارف القاهرة ١٩٥٨.

عبد الرحمن (الدكتور إبراهيم حلمى) :

— محمود الفلكى (فصل من كتاب : سلسلة أحاديث كلية العلوم بجامعة القاهرة ، المجموعة الثانية ، القاهرة ١٩٤٥) .

عبد الكريم (أحمد عزت)
— تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، القاهرة ١٩٣٨ .
— تاريخ التعليم فى مصر — عصر عباس وسعيد وإسماعيل — ، القاهرة ١٩٤٥ .

غربال (محمد شفيق) :
— محمد على الكبير (مجموعة أعلام الإسلام) ، القاهرة ١٩٤٤ .

قاسم (محمود) :
— جمال الدين الأفغانى ، حياته وفلسفته ، القاهرة ١٩٥٧ .

قرألى (الخورى بولس) :
— السوريون فى مصر ، الجزء الأول (عهد المماليك) ، القسم الثانى ، للوثائق الخطية (١٧٥٠ — ١٨٠٥) مطبعة جريدة العلم ، بيت شباب ، لبنان ١٩٣٣ .

الكتانى عبد (الحى) :
— الترتيبات الإدارية فى عهد الرسول .

كلوت بك (الدكتور) :
— لمحة عامة إلى مصر ، الترجمة العربية بقلم محمد مسعود ، جزءان ، القاهرة (بدون تاريخ)

لطف الله (ميرزا) :

— جمال الدين الأسد آبادى ، ترجمه عن الفارسية إلى العربية صادق نشأت وعبد النعيم حسنين ، القاهرة ١٩٥٧ .

لويس (برنارد) :

— العرب فى التاريخ ، ترجمه عن الإنجليزية نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد ، بيروت ١٩٥٤ .

الين (إدوارد وليم) :

— المصريون المحدثون ، شمائلهم وعاداتهم الترجمة العربية بقلم عدلى طاهر نور ، القاهرة ١٩٥٠ .

المخزومى (محمد باشا) :

— خاطرات جمال الدين الأفغانى ، بيروت ١٩٣١ .

هيكل (الدكتور محمد حسين) :

— تراجم مصرية وغربية ، القاهرة ١٩٢٩ .

وافى (على عبد الواحد) :

— لمحة فى تاريخ الأزهر ، القاهرة ١٩٣٦ .